

كتاب

الوافي

في المسئلة الشرقية ومتعلقاتها
وتاريخ الحرب الاخيرة بين الروس والعثمانيين
سنة ١٨٧٧ - ١٢٩٤

ويشتمل

على كتاين في ستة اجزاء

لامين بن ابراهيم شميل

اعتنى

بمراجعة وطبعه سليم بن خليل تقلا
صاحب جريدة الامرام

طبع بمطبعة الامرام باسكندرية مصر

سنة ١٨٧٩ - ١٢٩٦

الطبع محفوظ

المقدمة

بسم الله المبدى المعيد

الحمد لله المبدع بكلمة قدرته كل شيء من مشهود وغير مشهود . والموبد بروحه الرسل والانبياء
شهوداً بالحق على المعدوم والموجود . والمطلق والمحدود . حمداً بزللنا اليه ويعصمنا به فانه مصدر
الرحمة والمجود . والصلوة والسلام على رجاله العظام . واصفيائهم الكرام . منارة الهدى . وملاذ النفي .
وملجأ الصواب . ومحجة الكمال والثواب

وبعد فلما كان التاريخ من الذما تالفة النفوس الطلعة وثانسة الخواطر . وتلى به الحيرة
وترسم به صور الماضي والحاضر . فهو خزانة آثار الادهار . ومرآة الاعصار والاثار . وموعظة العاقل
الفكر . وعبرة الباحث الناظر . وقدوة الحكيم الفاضل . ومدرسة الغافل الجاهل . انصرفت لذلك
الى انقائه في كل عصر هم الرجال . وتساقبت الى قيد اوابده . واولو الفضل والكمال . فحق
له الانضمام في سلسلة العلوم الادبية . والاندرج ما بين فنون التهذيب الاكاديمية . فلم تخل مدرسة
موسسة على الاصول المرغوبة من انوار ضيائه . ولا كمل انسان في محاسن الاخلاق والاعمال بدون
ورود مناهله واجترار مائه . وقد ظهر في كل امة ودهر اناس صرفوا جل عنايتهم لجميع ماجرياته
من غث وسمين . حتى عادت خزائنه بما بذلوه من الجهد تزهر بكل جليل وثمين . فلم تكن العرب
ومن هذا حذوم وراء غيرهم فقد امتاز منهم نحو الف وخمسمائة مؤرخ في كل معنى . وسادوا على عجم
التعقيب والتدقيق في جمع متفرقاته بكل مبنى ومبنى . لا سيما خلال الاجيال الوسطى عند ما كانت
اوربا وجوارها غافلة عن كل فائدة علمية . نائمة عن كل منفعة امية

ثم لما كانت الحرب الاخيرة بين دولتي آل عثمان والروس من ام ما جرى في هذا القرن لما
فيها من المعامل السياسية والمادية . وجمعت من المنافع والاضرار الدينية والدنيوية . وانطوت عليه
من العلل الاصلية والفرعية . وامتازت به من العناصر الداخلية والاجنبية . استحضت ان يرقم حوادثها
وما جرياتها كل مؤرخ متبحر مدقق . وان تكون غاية مهمة لكل كاتب متامل محقق . فبقي ذلك
اثراً بعد عين ودليلاً لما سيكون مما كان . وعبرة لما رفته فلم المحاضر على صحائف الزمان والمكان .

ولولا ان النفس مطاع وثوق خواضة الاخطار . لكان ذلك حجة علينا ان لا نتعرض لمثلها فنعرضها
للتدبير والانتكار . فاني لنا فرص اللبابة التي كانت لسلفنا في اعصار اشرقت شمس فضلها في الآفاق
العميمة . وحظيت مساعي اهتمامهم فيها بحماية الملوك والامراء العظيمة . او كيف لنا وسائل اهل العصر
من الافرنج في نولهم خزائن من الكتب النفيسة في تحت امرهم كبحا توجهوا ومتى ارادوا . وتسابق
اهل وطنهم الى الحصول على مولفاتهم فيجازوا اعمالهم بالشكر والمال عما اجادوا به وافادوا . ان
نحن الا منطلقون على صناعة الاداب . ومجازفون في توم سرا بنا ماء ولأما في السراب . فرحم الله من
ثامل وعذر . وعرف ما في ذلك من الصعوبات واعتبر . هذا ولما كانت طوارئ الحرب المذكورة
من النوادر الغنية . نظراً الى ما تنطوي عليه من الصالح والعناصر المتنوعة الكلية . لم يكن رقم
حوادثها كافياً لمن اراد الاطلاع على الاسباب المختلفة . اذ ليست هي كبقية الحروب والمبارزات الجارية
الموتلفة . بل هي حلقة من سلسلة ما بدعوه اهل السياسة في عهدنا هذا بالمسالة الشرقية . المندرجة في
سلاسل الطوارئ العالمية . وهي المسالة التي عاشت القرون الطويلة فلم يكن ما يفتيها . لها السلم
كالسيف وما يميئها بجيها . فلو تتبعنا التاريخ من اول ما اشتغل به الناس لما وجدنا مدة تميزت
بكثرة الدول والحروب نظير المدة الاخيرة من لدن ما ولد في الامة العربية . وافرغت دولنا
الروم والفرس الى الدولة الاسلامية

قالوا انه منذ البدء انقسم ملك العالم الى دولة دينية وديوية فكانت الاولى قبل الطوفان في
شيث وبنو الى نوح . ثم قامت بعد الطوفان دولة الاولياء من نوح الى موسى وكانت الدول الديوية
في المشرق دولة الفراعنة والاشوريين واهل بابل ومادي . ثم افرغت دولة الاولياء الى دولة قضاة
اليهود . وهذه الى دولة ملوكهم . وافرغت هذه الى الكلدانيين . وامتزج الملك الديني حينئذ بالدنيوي
الا ما كان في ايدي الاحبار . وافرغ الكلدانيون الى الفرس . والفرس الى المجوس . والمجوس الى
الاسكندر ملك الاغريق . والاسكندر الى قواده البطالسة والاناطخة والاذارنة . وهؤلاء الى الرومان .
وانقسم الرومان الى شرقي وغربي فالشرقي مملكة الروم وهذه افرغت الى العرب . والعرب افرغوا
الى المغول . والمغول الى الاتراك فعليو تكون الدولة العثمانية المالكة الان الدولة الثانية عشرة
المنقرغ اليها الملك في المشرق من لدن الطوفان وقد ظهر واخفى منذ افراغ الروم الى العرب نحو
ستون دولة اسلامية ما بين صغيرة وكبيرة كلها انقرضت وانتهت اليها . فهي من الدول العظام القديمة
التي ملكت المشرق من القرن السابع للهجرة

والمسالة الشرقية لم تظهر الا بعد ان ظهر المشرق شارحاً دينياً ودان المغرب بدين النصرانية
وامتدت التعاليم المسيحية في كل ناد من العالم لما في مبادئها من الحرية والاخوة والاسوة ومحبة

القريب ما يوافق العاهذ في صومعتو والمالك في مملكتو والرعية في رعاتهم ونحو ذلك . ون ذاك الوقت يورخ الحمل بالمسالة المذكورة

ولما تمكنت النصرانية من العقول ظهر وسط الخطة العربية نبي جديد ينتهي الى نسل الاولياء الى بشرية صدق بها شريعتي سالفو موسى وعيسى الا انها في ظاهرها وسياستها مخالفة لها ولشريعة المجوس فهبت ريج الاختلافات الهاجعة على اوقيانوس المطامع البشرية فصدمت امواج الامة الجديدة وطلاتها حدود مملكتي الروم والعجم فانهالت امامها ضعفاً وثبت قدم الاسلام بسرعة غريبة في بسيطها حتى امتطى سراه اعظم دائرتها في مدة قصيرة . فانتفضت اعصاب المغرب من هذه الصدمة العنيفة وافاق من غفلتو وقف ثابتاً امام قوة عدو فاقونها بعد ان تمكنت في بسيط الممالك الرومانية وعاد القتال بين الفريقين تتجالات الى يومنا هذا فالمسالة المذكورة ولدت في ولادة رسول العرب وترعرعت وشبت وتمكلت في عهد خلفائو للان . وهي على ما يرى نظير فصول السنة اذا بلغت نهايتها القصوى تجددت فلا يكاد يرى لها اخر فانها بنت الدين والدنيا والسليسة وتدوم بدوامها ولاجل هذه الاسباب كان تاريخ هذه الحرب مما يقتضي النظر في توارخ كثيرة لاسيا تاريخ الاسلام في العرب اولاً ثم في الاتراك كما يبناء في النبد التاريخي الانية . وقسمنا مولفنا هذا الى كتابين (الاول) يختص بالمسالة الشرقية من لدن الاسلام ويشتمل على ثلاثة اجزاء احدها من اول الاسلام الى اخر الربع الاول من القرن الرابع عند نهاية خلافة الرازي وهو العشرون من العباسيين وفيه اخبار الفتوحات والامتداد الاسلامي شرقاً وغرباً ووصول القوة العربية الى معظمها ثم ظهور الضعف والانقسام وتقوي العنصر الاجنبي في احكامها . فانهينا كل ذلك بخلاصة جامعة ابنا فيها خطأ الاراء السياسية والخروج عن محجة الصواب حتى نشا ما نشا عن ذلك من البلابل والشور

والجزء الثاني ياخذ من اول الربع الثاني من القرن الرابع الى خراب بغداد وانتهاء الدولة العباسية (سنة ٦٥٦-١٢٥٨) وفيه نذكر الفرعين الاسلاميين الاسبوي والافريفي وجميع الدول الظاهرة في المملكة الاسلامية وتواريخها من الدولة المروانية (سنة ١٢٩) في الاندلس الى الدولة العثمانية (سنة ٦٢٠) في اسيا الصغرى وتاريخ حروب التتار والافرنج المعروفة بحروب الصليب في الجبل الحادي عشر للنصرانية وتبع التاريخ العباسي الى اخره . وفي مدة مهمة في امر هذه المسالة والجزء الثالث ينتدى من الدولة العثمانية وتغلبها على تلك الدول الاسلامية الباقية والتتار الى بداية الحرب المذكورة (سنة ١٨٢٧) وفيه ذكر تاريخ العثمانيين والروس وشرح بعض الامم البائدة وما كان من الحروب بين آل عثمان وروسيا الى ابتداء الخلاف الاخير في المرسك والبوسنة ثم حرب الجبل الاسود والسرب وموتمر القسطنطينية والمداولات الدولية وتوضيح البغض والمقصد الموسمين بين

الروس والترك بنوع لا يمكن زوالها وعنها يتجمع من وقت الى اخر مواد كافية لاحداث حرب وسفك دما كما جرى قبلاً . فان هذا القرن وحده قد شاهد ثلاث حروب غيرها ولم يكمل بعد . وهذه مدة طويلة نحو ستمائة وعشرين سنة اي من خراب بغداد (سنة ١٢٥٨ الى ٢٤ نيسان سنة ١٨٧٧) وهو يوم شهرت روسيا بالحرب على الدولة العثمانية . وقد سلكتنا في ذلك على ارباع قرون اي ذكر ما حدث في كل ربع منها ضمن الاجزاء الثلاثة المذكورة

(والكتاب الثاني) من التاريخ المذكور يختص بالحرب المرقومة وقد جعلناه ثلاثة اجزاء ايضاً الاول من اول الحرب الى اخذ بلونة والثاني من اخذها الى الشام برلين والثالث من الالتئام الى ختام (سنة ١٨٧٨) مع خلاصة تاريخية عامة

وقد اضعنا الى كل من هذه الاجزاء السنة الصور اللازمة من مشاهير ملوك وقواد ومدن ومواقع حربية ونحوها نحو مائة رسم من الرسوم المختارة في غاية ما يكون من الاتقان ما يخص للقاري حقائق الامور واوضاع رجالها

وقد اعتمدنا من التأليف ما تيسر لنا من التواريخ الشهيرة العربية والتركية والافرنجية مثل ابي الفدا واي الفرج الملطي وابن العميد وابن الاثير وابن الوردي وابن خلدون وابن سعيدو المقرئ وابن عرب شاه وراغب باشا والادريسي وافريدون بك وفون هامر ورصل وبزنكور ولمرئين وكرايدي وانسكلو بذيات مختلفة وكرافرين وكوكص وكاسل وما انصو ومراسلات الديلي نيوز والهرايد والنمس والديباه والنورد وعدة مذكرات تلغرافية وجرنالية وغيرها

فلم نترك جهداً الا بذلناه في تحري المواد ورقم ما ثبت منها . ولم ندع لليل سلطاناً علينا وقد سلكتنا الطريق العادل في اختيار اللغة فلم نهبط الى حضيض المعاني بغية الارتقاء الى اوج الانفاظ الخاصة السب الرنانة ولا سقطنا الى حضيض اللهجة المنكرة طلباً للحصول على معاني سامية فعالة بل اجتمعنا بان يكون مولفنا هذا مع سهولة فهمه صحيح الوضع جلي العبارة حسن الاعراب . خالياً من التعقيد والاعراب . فالتزمنا في بعض الاماكن الى استخدام الفاظ اثبتها استعمال رغماً بالتفضيل على ما يرادفها من الانفاظ القديمة المجهولة الان للعامة اولاً لا يوجد لها مثل في اللغة فاقضى تعريبها ضرورة

ولقد ساء عملنا هذا البعض ممن القوا بالتنديد فرجوا واخترعوا لنا ما لا اصل له من العيوب وبذلك وبما افسدوه من صريح العبارة اقاموا علينا الهجمة الساقطة فكانوا يعلمهم هذا بانين ما ارادوا هدمه . ونأشرين فضل ما قصدوا دمه .

واذا اراد الله نفعنا فضيلة طوبت اتاح لها لسان حمود

وقد اخترنا كذلك اسقاط الجمل الا نشائية التي استعمالها اكثر الكتاب لاسيما من المسئلة الافاضل
عند ايراد ذكر الانبياء وغيرهم من اهل الفضل والشان مثل صلى الله عليه وسلم . وعلو السلام . وقديس الله
روح . ورضى عنه . وعفى عنه . ورحمه الله . واشباهها لالا لنا ننكر استحقاق من انشئت لاجلهم بل لاختلافنا
راباً عنهم نظراً الى لياقة الجمل المستعملة فيه فانها في رابنا حرية بان تدرج في الكتب الدينية
والمعابد الخاصة لافي الكتب العلمية والتواريخ المولفة لعموم الناس . وذلك اولاً من كون البشر
متفرقين في مذاهبهم ما بين مومن ومحد ومصل على هذا الذي ومترض على ذاك الولي على خلاف
بينهم فيجئ من ايراد هذه العبارات تعريض الانبياء والصحاء للاحتقار لدى اناس تباينت اراؤهم
الدينية ولا سيما في هذا العصر الذي قد اخذ الكبر في كل ماخذ وسطط جيوش الكفر على جنود
الايمان والحال ان الانبياء واهل الفضل في غني عن كلو بل ان في تركها احتراماً اعظم . فاسقطنا ذلك
انشائياً لا غير تاركين للقرءاء من كل مذهب ان ينشئوها بحسب اعتقادهم عند مرورها عليهم بالاصالة
عن انفسهم والنيابة عنا ان ارادوا . ولا يبق لاحد ان ينكر علينا ذلك فقد جاء هذا الاسقاط في كلام
الاولين مثل قول ابي بكر الصديق للانصار في اجتماع السقيفة على امر الخلافة بعد الرسول « نحن
اولياء النبي وعشيرته واحق الناس بامرهم وانتم لكم حق السابقة فمنع الامراء وانتم الوزراء » وقول بشير
بن سعد الخزرجي الانصاري وقتله « الا ان محمداً من قريش وقومه احق واولى ونحن وان كنا اولى
فضل في الجهاد وسابقة في الدين فما اردنا بذلك الا رض الله وطاعة نبيه فلا نبتغي به من الدنيا
عوضاً ولا نستطيل به على الناس » فانها لم يستعملوا شيئاً بعد ذكر الله نع والرسول وهما شاهدان
عادلان على جوازه

ثانياً فراراً من التكرار والاسهاب فان هذه الجمل وما يتبعها ناخذ محلاً عظيماً وتذهب احبائنا
من طولها بالمعنى مع عدم افادتها الموضوع الصحيح شيئاً . ولهذا السبب ايضاً رقمنا التواريخ بالارقام لا
بالالفاظ وجعلناها هجرية ومسيحية مستقلة ضمن هلالين بحيث ان قراءتها وعدوها لا تخل بالمعنى . وقد
استخدمنا الهلالين المذكورين ايضاً مرة للاستفهام ومرة للتفسير واخرى للاشارة الى ما ذكر قبل
تحت اسم مختلف ونحو ذلك وكلة بهم من قرائن الاحوال . وقد ضمنا كل عبارة منقولة ما بين هاتين
الاشارتين « - » وسلكنا مسلك المولدين المحدثاء في التنقيط والتبويب والتفصيل ونحو ذلك .
وبالاجمال فاننا جعلنا كل اهتمامنا في تحري المواد قبل اثباتها فاذا جئنا بامر مشبوه او حادثة
اختلافية كان ذلك بقصد ترك الحكم للقاري وحفظاً للسباق التاريخي غير متقطع . فان عدم اتفاق
التريق الواحد على صحة امر ما لا يكون دائماً حجة على عدم صدقه . وكل غايته في جعل هذا
المولف جامعاً مفيداً غير مل منه يستغنى به عن المطولات والتواريخ القديمة والحديثة في هذا الشأن

ويتضح منه الماضي والحاضر وتظهر المسالة الشرقية بمنافعها واضرارها . فاذا ذكرت لا يعجب السامع من انكماش اعصاب السياسة . منها لانها بالحقائق اعظم معتل للناس وبها تمام الاية » ما جئت لاتي سلاماً بل سيفاً »

فجاء بحولو تعالى جامعاً سير الاوائل والاواخر على نمط غريب . شافياً وافياً بكل امر ومعنى عجيب . فدعونا له الوافي طالين اليه تعالى ان يثيب بغناه
 اتعابنا . ويعفو بفضله عن زلاتنا . ويبي بكرمو انتظارنا . فنقدمه
 لكم ايها الاخوة الكرام ابناء الوطن الاعزاء . فتلقوه وقفاً منا
 عليكم بحسن القبول وصدق المودة والاخاء . واسبلوا
 بدون اختلاف جنس ومذهب ذيل المساهلة والكرم
 على ما طغى به القلم . وزلت به القدم . لازلت
 مقصد الفضل والفضائل وملجأ
 الجلل والجلال . ما اشرق
 القمران . واستقر
 الدوران

الجزء الأول

من الكتاب الأول من الوافي

في

المسألة الشرقية

والحرب الأخيرة بين الروس والعثمانيين

سنة ١٨٧٧ - ١٢٩٤

لامين بن ابراهيم شميل

بسم الله المحي القيوم

نبذة تمهيدية

نبذة اولى
في بواعث الحرب

على نحو ٨٥٠ كم من القسطنطينية عند ساحل بحر الادرياتيك توجد معاملة هي الهرسك (هرزكوفين) في شمالي الجبل الاسود اكثر اهلها من الروم الارثوذكسين وقد كانت قديماً قسماً من الخرواط وبعد ان تداولتها ايدي الفاتحين اضيفت الى البشناق (بوسنيا) التي كانت تابعة لمملكة هنكارييا ثم استولى عليها قهرآل عثمان (عام ١٢٨٩) ولبثت دائماً شاقة عصا الطاعة تدافع عن حرمها الى ان ضمت بموجب عهدة كارلويتز (سنة ١٦٩٩) الى تركيا كما ضمت هنكارييا الى اوستريا. واذ كان ذلك على رغم منها كان يرجى والحالة هذه ممن فوّضت اليهم الحكومة المركزية ادارة امرها ان يكونوا قد اهتموا باستمالة قلوب الاهلين واصلاح ذات بينهم واقضاء اهل الشقاق على نحو ما تقتضيه السياسة الصادقة ولكنهم اهلوا ذلك. ولبثت الحال على هذا المتوال الى ان سخط الفرصة فنبذت الطاعة ظهرياً واجاهرت بالعدوان (في اول تموز عام ١٨٧٥) وآل الامر بعد اضطراب وارتياب الى ابقاء المسئلة الشرقية غيب ان هجعت نحو عشرين سنة فحفق لها قلوب العالم خوفاً وماجت الممالك جزعاً. وبعد ان ثارت الحروب الاهلية واخذ الانتقام كل ماخذ وجري من الامور المنكرة ما سوّد صحف التاريخ كما سنبينه مفصلاً انتهى الامر الى ايقاد هذه الحرب بين الدولتين العثمانية والروسية التي نحن في صددنا

ولما كان غرضنا في هذا المؤلف البحث ايضاً عما يدعوه اهل السياسة المسئلة الشرقية وكانت المسئلة الشرقية عبارة عن عناصر متنازعة نشأت في احضان الدين والدنيا وريست تحت اكناف السياسة مدة اجيال كان لا بد للحصول على الفائدة المرغوبة من النظر في توارخ الاعصار الخالية ولذلك اردنا قبل الفروع في قيد الحوادث الحربية ان نستقرى من تاريخ الامتين وغيرها ما يفي بالمقصود

نبذة ثانية

في منشا آل عثمان .

على تلك الرعي الواسعة من الكرة المعروفة بنجاد التتارية الكبرى بين تخوم الصين وجبال تبت الى بحر الخزر تبسط مروج ذات اراض جميلة رعية ومراع خضراء نضرة لم ينشأ فيها من بدء العالم المعروف غير بشر وانعام . ولا وطئت قط ارجل منها قدم انسان . فكان الطبيعة قد خصتها بالخصب والكثرة لتكون مذكراً انسياً عظيماً محفوظاً لأمور مهمة . فاعدت له في در انعامها الغزير شراً . وفي سمنها ولحمها السمين غذاء . على سراه خيلها الجياد تحمله . وفوق اقناب ابلها النشاط ترفع مضاربة . وبصوف الصان وشعر الماعز تكسوه وتدفعه . في رياض اوريف ندي ليس للاشجار فيه حظ فتفي بظلمها وحشاً موزباً . هنالك تربة عميقة لاصرار فيها كانت اغوار بحر ذات صلصال جيد ارتفعت وانحسر عنها الماء بفعل الخوارق الطبيعية . فلا يبيت فيها غير الكلاء مرتوباً من مستحلبات تلك الجبال العليا . ومحفوظاً من زهر يرشتائها الطويل ببسط من الثلج النقي . حيث تسخن في زمن الربيع شمس لا يجللها سحاب . وبقية نكاية الحر نسيم لطيف رطب . هنالك وجد الربيع له وطناً منيعاً لا يغازه فيه شجر او ثمر ولا تعلقه منجل حصاد او ندوسة وحوش كاسرة ورزقت السائمة خير مرعى وارحب ضيافة . هناك الحيوان يكتنز ويكتسي وينمو ويدّر حياً لسوده فاذا ما انقضى ترك له جلده لاحتياجانو الاهلية هذه هي العيشة الرعائية الطبيعية حيث يكفي الا انسان قوت حاصل الطبيعة فلا بهم بزرع وحصاد بعناض عن بيوت الحجر بيوت الشعرو عن الاراضي المحرزة بلرض الله الواسعة الفلا حراً يستنبح ماشيته ابن شاء وشاءت . يستنبح مناطق الروض مغبراً وجه السماء بحسب الفصول . رافعاً مضاربة على اكناف الظعن وشاداً على ثيرانه مركبات ترفع بيوتاً متخللة لعيالو تلك عيشة عشت بالهم فلم تستدع من الصرورات الا يسيرها

وملافي تلك الشعوب ليست الا التصابي والبلذ . واتجاه القلب احياناً الى الخشوع في تلك الليالي الزاهيات . ومسامرة الكواكب ورعايتها . ومجاذبة اطراف الاناشيد . ونظم التريض على طيب الحموة البدوية وقصص العشيرة ومفاخرها ونوادرها ولما ساقط الحاجة وضرورات الرزق الى تنجاني السلام طلباً لسعة العيش والسلطة الابوية في السلطة الوحيدة الموقرة عندم بتقادون اليها عن طيب خاطر جيلاً بعد جيل . فاذا صارت العشيرة فصيلة والنصيلة فتخذ والنخذ بطناً والبطن حمارة والعمارة قبيلة او سبطاً اتجهوا لم اباة سياسيين يدعون عندم خانات وم كالمشايخ عند العرب . فاذا نوا الى قبائل عديدة انضموا الى شعب او امتوجرت حينئذ السلطة الابوية المتعلقة بهر وساء الاسباط بموجب

العوائد الاهلية وهرامي الخانات . ومتى غزوا وواحتلوا ارضا فتحوها اخذوا في تغيير عوائدهم فتوسس
 وقتل المالك و قدس الدول وتعتبر كاتها الهة او ظل الله على الارض
 هؤلاء هم التتار اهل التتارية الكبرى التي خرج منها بالتوالي وبارق مختلفة اربعة وعشرون شعباً
 تركياً هم في الولادة تنار . وفي العوائد عرب . وفي الديانة ام . وفي العيشة رعاة . وفي القلوب ابطال
 ولنغض الان عن حل منهم بالتركستان وحدود بحر الخزر والصين واودية الارمن فتحوها ونقتف
 اثر اولئك الذين بعد ان اخناروا الاسلام ديناً اجنازوا سورية واسيا الصغرى واسسوا المملكة
 العثمانية

نبذة ثالثة

في الاوغز والفر الذين منهم آل عثمان و اراء المؤرخين
 ولما كان لكل امة اخبار متوارثة وتواريخ خاصة اردنا ان نذكر شيئاً من ذلك قبل الشروع في
 ما صار عليه الاعتماد

جاء في الاخبار المتواترة ان اوغزخان بن قراخان من ذرية ترك جد الاتراك كلهم كان ملكاً
 عظيم الشأن في عهد ابرهيم الخليل وكان يتولى امر التركستان وهي ما يسميها الفرس توران . وذكرت
 التواريخ القديمة ان المملكة اقسمت بعد اوغزخان الى خانيات . منها ثلث وتدعى (الاسم الثلثة)
 كان نصيبها الاوغز الشرقي الى حدود الصين . ثم ثلث اخر تسمى (الحاطمة) احداها خانية الجبال
 وهي منشأ الفر المتأخرين والتركمان . والثانية خانية البحر ومنها الترك السلاجقة سلاطين خراسان
 وقونية . والثالثة خانية السماء والقبه الزرقاء . واعل المراد بذلك ما بين الجبال والبحر . ومنها سبط كاي
 الذي نشأ عنه آل عثمان . وقد وفي الاوغز المذكورون حقوق الحرب مع العرب والعجم فتحول بخاري
 وسمرقند . ووسع بوغراخان هرون نطاق مملكته الى تخوم الصين . وفي الجيل الخامس للهجرة شجّت
 نيران الحروب الاهلية ففرقت لغيرهم المقرون وصبرت ذاك الشمل الجميع شتيماً وتمزق قلب المملكة
 كل ممزق فاضرقت وقام على اثارها الاسراء السجوقيون

وفي التواريخ المتأخرة ان في الربع الاول من الجيل السابع للهجرة (وقيل في الربع الثاني منه)
 في الجيل الثالث عشر للنصرانية عام ٦٢١ هجرية ايام قدم جنكيزخان سلطان المغل على خراسان
 نهض سليمان شاه بن كاي الب من سبط كاي المقدم ذكره وكان يقيم وقتئذ باهان من البلاد
 المذكورة وهاجر في طليعة خمسين الفا من قومه الى ارض فغان و خلاط من بلاد الارمن وان بعد
 ذلك بسبع سنين طرق السلاجقة الفر خراسان وخوارزم فتحوها فقتل سليمان شاه بقومه

الى موطنه . وبينما كان يجناز الفرات عند جعبرمات غرقا فاقام له رجاله هناك مزارا لا يزال الى يومنا هذا ويدعى ترك مزارى . وقد خاف اربعة بنين وهم ستورزنكي وكونطغدي وارطغريل (ومعناه المستقيم) وكوندز . وبعد دفن سليمان شاه انقسم القوم فمنهم من اخناروا استقراء المسير الى بلادهم ومنهم من فضلوا البقاء بالبلاد الغربية فانضموا الى الامير ارطغريل واخيوا الامير كوندز وكانوا نحو ٤٠ عشيرة فيها ٤٤٤ فارسا شاكى السلاح . فقصدا النواحي الغربية حتى وصلوا الى مكان فيه جيشان يستعدان للقتال وكان احدهما اقل من الثاني عددا . قال ارطغريل بك بقوه الى الجانب الضعيف وانخرط في سلكهم . وانتفى ان هذا الجيش كان للسلطان علاء الدين السلجوقي من ذرية ملكشاه بن قلمج ارسلان والثاني من المغول اعداء الاتراك الالدهاء فانصب ميزان الحرب وبسر الله الظفر للسلاجقة بمساعدة ارطغريل بك وقوموه . ولما انفض القتال استدعى السلطان علاء الدين رئيس اولئك الغرباء وبعد ان استقصى عن حقيقة امرهم خلع عليهم وعلى اخيوا وحلها وقومها براعي تومانية وارمينية وقيل ببجبال قراجاطاغ عند انغره . وقام ارطغريل بمساعدة السلطان علاء الدين في اكثر حروبه ضد المغول والروم . فاقطعه اخيرا معاملة في حدود مملكته ومملكة الروم تدعى سلطانية او صرايحيق من اعمال فريجييه . وفي اواخر الجبل السابع للهجرة توفي ارطغريل بك ودفن في منحنى كروم عند مدينة درولية الشهيرة في حروب الصليب على قرب من قرية (اتبورنو) حيث كان يقطن الشيخ اده بالي ابو لمخاتون الجميلة التي سباني ذكرها ودرولية هذه هي التي يذكرها ابو تمام في قصيدته التي مطلعها « ما عهدنا كذا بكاء المشوق » بقوله

ثم اتى على درولية البرك م محلا باليمن والتوفيق

وقال بعضهم ولم يعين السنة ان سليمان شاه احد امراء السلاجقة ترك تركستان بخمسين الفا من قومه ومن الغز سكان جهات نهر جيحون فرارا من المغول الذين كانوا قد استولوا على الممالك العربية وبعد ان تجاوز ارض مادي ووصل الى حدود سورية توفي فذهب قسم من رجاله الى الجنوب وتوجه الباقي مع ولده ارطغريل بك الى اسيا الصغرى ونزلوا عند سلطان قونية علاء الدين كيقباز فرحب بارطغريل واكرمه رجاء ان يساعد على المغول اعدائهم . قال وبعد ان اخذ ارطغريل انتفهره جزاء انما هو امام علاء الدين وتملك قوطاهية من الروم (سنة ١٢٨١ - ٦٨٠) توفي (سنة ١٢٠٠ - ٦٩٩) موسسا ملكا جديدا

واعتمد كاسل في تاريخه الحرب الاخيرة على ان سليمان شاه امير الغزنهض من خراسان بقوموه (١٢٤٢) وقصد البلاد الغربية لمساعدة الاتراك الذين هناك على المغل ففرق بقطعه الفرات اما بذهابه او بابايه وان ارطغريل بك ولده بقي في البلاد الغربية الى ان التقى بالعسكرين المذكورين وكان

من امره ما كان

وقال ادوردس فوكوك صاحب الترجمة اللاتينية على تاريخ ابي الفرج الملقب التي قدمها لكارلوس الثاني ملك بريطانيا (سنة ١٦٤٨ - ١٠٥٨) ما معناه انه لا يوجد ما يعتمد عليه في امر سليمان شاه جد آل عثمان قال قتلوا انه نحو سنة ٦١١ هجرية ترك سليمان شاه بلاد ما هان من العجم هارباً من جنكيزخان سلطان التتر الذي كان قد تغلب على اكثر البلاد وذهب بقوم قاصداً دولة السلاجقة الشهيرة وانه غرق عند اجنيزو الفرات فائنان من بني الاربعة وما ستورزكي وكونطندي ذهبا ببعض القوم جنوباً والاخران وما ارطغرل بك وكوندز توجهوا بالباقي الى عاصمة السلطان علاء الدين صاحب قونية ووجدوا نعمة لديه واحلها في قره جيطاغ . قال وبقي ارطغرل بك هناك الى ان توفي (سنة ١٢٨٨ - ٦٨٧)

وذكر ابن خلدون في آخر كتابه الخامس ما ياتي « ولما ملك سليمان بن قطلومش قونية بعد ابيه وفتح انطاكية (سنة ٤٧٧) من يد الروم طالبة مسلم بن قریش بما كان له على الروم فيها من الجزية فانف من ذلك وحدثت بينها الفتنة وجمع قریش العرب والتركمان مع اميرهم (جى) وسار الى حرب سليمان بانطاكية فلما التقيا مال التركمان الى سليمان لعصبة الترك وانهم مسلم بن قریش وقتل واقام اولئك التركمان ببلاد الروم ايام بني قطلومش موطنين بالجبال والسواحل ولما ملك التتري بلاد الروم وايقول على بني قطلومش ملكهم وولوا ركن الدولة قلع ارسلان بعد ان غلب اخوه عز الدين كيكائوس وهرب الى القسطنطينية وكان امراء هولاء التركمان يومئذ محمد بك واخاه الياس بك وصهره علي بك وقريه سونج والظاهرانهم من بني (جى) فانتقضوا على ركن الدولة وبعثوا الى هولاء بطاعتهم وقرير الاثر عليهم وان يبعث اليهم باللواء على العادة وان يبعث شحنة من التتري يختص بهم فاسعهم بذلك وقلدتم وهم من يومئذ ملوك بها

ثم ارسل هولاء الى محمد بك الامير يستدعيو فامتنع من المسير اليه واعذر فاعز هولاء الى الشحنة الذي ببلاد الروم والى السلطان قلع ارسلان بمحاربو فساروا اليه وحاربوه ونزع عنه صهره علي بك ووفد على هولاء فقدم مكان محمد صهره ولقي محمد العساكر فانهزم وابتعد في المفر ثم جاء الى قلع ارسلان مستأمناً فامنه وسار معه الى قونية فقتله واستقر صهره علي بك اميراً على التركمان وفتحت عساكر التتري الى اسطنبول والظاهران بني عثمان ملوكهم لهذا العصر اعقاب علي بك واقاربته يشهد بذلك اتصال هذه الامارة فيهم مدة هذه المائة سنة ولما اضحل التتري من بلاد الروم واستقر بنو (ارتنا) بسواس واعمالها غلب هولاء التركمان على ما وراء الدروب الى خليج القسطنطينية ونزل ملكهم مدينة برصا من تلك الناحية وكان يسمى ايرخان بن عثمان جى

فانخذها داراً ملكهم ولم يفارق الخيام الى القصور وإنما يتزل في خيامه في بسيطها وضواحيها وولي بعده ابنه مراد بك وتوغل في بلاد النصرانية وراء الخلع وافتتح بلادهم الى قريب من خليج البنادقة وجبل جنو وصار اكثرهم ذمة ورعايا في بلاد الصقالية بما لم يهد لمن قبله واحاط بالقسطنطينية من جميع نواحيها حتى اعتقل ملكها من اعتاق لاسكري وطلب منه الذمة واعطاه الجزية ولم يزل على جهاد ام النصرانية وراءه الى ان قتله الصقالية في حروبه معهم (سنة ٧٢١) وولي بعده ابنه ابو يزيد وهو ملكهم بهذا العهد انتهى »

وفي بعض التواريخ ان اصل الدولة العثمانية استر عن ملوك الروم بالسلالة وملوك الفرس بالكلالة . وقد نقلوا ذلك عن المورخ جرجس فرانزس الرومي المولود بالقسطنطينية من عائلة كريمة بينها وبين ملوك الروم المالبولوجية نسب بالكلالة . وكان هذا المورخ مقلداً اهم الوظائف السياسية نظراً الى علو شهرته . وقد اسره الترك ايام فتح القسطنطينية ثم خلوا سبيله . فرحل الى كورفو ودخل الرهبانية وفيها طلب اليه بعض خلواته ان يولف تاريخاً للدولة المالبولوجية المذكورة من عهد انجلوس كومينوس (عام ١١١٨) الى عهد قسطنطين الحادي عشر المعروف بدراغورس ويذكر فيه المحادثات الاخيرة المتعلقة بسقوط القسطنطينية . فاجابه الى ذلك وهذا ملخص ما قال في هذا الشأن في (سنة ١١٢٠) كان الامبراطور يوحنا كومينوس ومعه ابن اخيه اوغسطس استميدس المدعو يوحنا ايضاً يقا تل ملوك ايقونية والعجم (السلاجقة) عند نيوقيسارية وكان قد تغلب على كثير من حصونهم . قال . وبعد ان طاللت الاقامة تلك الاماكن المجرداء الباردة ونفدت الذخائر الاقليلاً ومات اكثر الخيل من قلة العلف . اخنار الامبراطور ملافاة تلك المصائب بتوزيع ما تبقى من الخيل على اشد رجاله وآلى على نفسه ألا يكمل امره الى سواه . فكان يفتقد الجند ويخنار جياد الخيل ويسلها لفرسان الروم والطلليان لانهم كانوا فوق صواعها امهر من سوام في ملاعبة الاسنة والسيوف . وبينما كان يوماً يفعل هكذا ويحارب ابن اخيه المذكور لاحت منه التفاتة فرأى فارساً جديداً من الطليان اعجبة منظره . فامر ابن اخيه بالترجل عن جواده وتسليمه للشاب المذكور . فشق الامر على يوحنا واني . فكرر عليه الامبراطور الامر فترجل وهو يشتعل غيظاً ووجهه حراً وجهه نحو ملك العجم فتلقاه بوجهه بشوش واكرمه ورفع منزله . ثم دان يوحنا بدين الاسلام فازوجه الملك بكاميرة بنتو وانعم عليه وعليها بعدة مدن وبلدان وبمبلغ من الذهب . ولقبه الشعب بالشلي حملاً على رقة ثائله وكان مهذباً بالعلوم اليونانية ومحسناً التكلم بالعربية غاية الاحسان كريماً بشوشاً انيساً لطيفاً كان على اخلاقه عيلاً . فامالت صفاته هذه اليه افتدة الجميع واعلت مكانته واذاغت اسمه بين شعوب اسيا كلها . وقد استخرج من اليونانية الى العربية عدة تواريخ لملوك الروم

وعلم الأتراك شرائع اليونان (الأغريق) . وكان يقول دائماً أن ما املكته تحت امر خلافي فكان يقسم عليهم ما عنده ويحسن إلى من قصده ويشارك اصحابه في افراحهم واتراحهم ويوفق بين المتخاصمين ونحو ذلك . فامتلك قلوب الجميع ونفذ كلمته ووقره الملك وبطائنه واشهر في تلك الاطراف اشتهار النار على علم . ورزقه الله من كاميرة عرسه ابناً سماه سليمان فهذب في العلوم واللغتين العربية واليونانية . فترعرع سليمان وشب وقد احبته الرعية واستولى على كل معاملة وبلدة قدم عليها . ولما رأى ايقاع الطليان بالملكة الرومية (الأغريقية) اغتم الفرصة ايضاً وازاد إلى مملكته جميع البلاد المجاورة ووسع نطاقها بالتدرج . وكان يحب النصارى الذين يتقادون لكلمته ويعاملهم بالرفق والاحسان ويوحنا هذا كان جد ارطغرل بك ابى الامير عثمان الاقوي ذكره

هذه هي جملة اراء المؤرخين في اصل الدولة العثمانية ولا ريب أن لكل منهم ملحوظات تاريخية يسند بها رايه ولذلك اخترنا أن نستتبع تاريخ تلك الايام القديمة علنا نلتقط من حوادثها ملخصاً معتمداً لتوزيع هذه الاراء ونطلع على جرائم المسالة الشرقية التي نحن في صدددها واعلم ان تلك المدة كان فيها من الدول التي تستحق الذكر ما يأتي أولاً الدولة العباسية في بغداد وهي الدولة الاسلامية الاولى وفيها كانت الخلافة العربية . ثم الدولة الغورية التي تسلطت على الدولة الفزنية لآل سبكتكين وامتد ملكها في العجم إلى السند والهند . ثم الدولة السلجوقية في الروم وهي فرع الدولة السلجوقية في ايران وكرمان والشام . ثم الدولة الخوارزمية التي قامت على اثار سلاجقة ايران . ثم الدولة ابووية في مصر والشام . ثم دولة الاتابك زنكي اقسنقر في الموصل ونحوها . ثم الافرنج في بعض اماكن سورية وكان بين هؤلاء وبين غيرهم من الدول المذكورة عداوة في الدين والدنيا . ثم الدولة الفالبلوغية في القسطنطينية ومتعلقاتها . ثم بينا هذه الدول تتنازع المشرق من الصين إلى مرمرة ظهر جنكيزخان سلطان التروم مد فتوحاته بسرعة غريبة وملك الفرس وبعض الهند والصين وتقدم إلى اسيا الصغرى وبحر الخزر والروس وقوت ذريته ولبت الدولة العربية وخربت بغداد (سنة ١٢٥٨-٦٥٦) واضعفت اولاشت اكثر الدول المذكورة

ولما كان لكل من هذه الدول دور عظيم في هذه الطراغذية العالمية وقد اضافت كل واحدة اوراقاً عديدة مخضبة بالدماء والدمار إلى المسالة الشرقية كان لا بد من تتبع تواريخها باختصار لائق بالمقام مبتدئين من الدولة العباسية

باب ونحة فصول

فصل

في الجاهلية الى الاسلام

يجب قبل الشروع في ذكر الدولة العباسية ان نورد خلاصة اخبار الامة العربية مع المسائل المهمة في تاريخها لاجل تمهيد ما نحن في صدده اذ الدولة العباسية ليست الا حلقة في سلسلة هذه الامة الغريبة التي مع قلة عددها وعدم انتظام قوتها وتباين قبائلها لعبت دورا اوليا في دائرة الامم الكبرى ومثلت اكثر المسكونة ديننا ودنيا فنقول

تنقسم العرب الى بائدة . وباقية . فالبائدة كانت امما ضخمة كعاد وثمود وطسم وجديس من جرم وعاليق وقد غربت عنا حقائق اخبارهم لوجودهم قبل العهد التاريخي وتقدم انقراضهم . قالوا ان شادا من قبيلة عاد هو الذي اخنط مدينة عرم العظيمة التي تغزل الشعراء العربيون بذكر محاسنها ونعيم جناتها ويقولون انها لا تزال الى الان محبوبة عن اعين الناس فيما وراء القفار المقفرة . واما العرب الباقية فيقسمها المؤرخون الى عرب عاربة . وعرب مستعربة . فالعرباء من قحطان ولعله (يقطان) المذكور في التوراة وكانوا يقطنون جنوبي العربية . اما المستعربة فمن عدنان ولد اسمعيل بن ابراهيم من هاجروم سكان الحجاز . قحطان ولد يعرب ويعرب يشعب ويشعب عبد شمس او دامت الملقب بسببا لانه كان يكثر الغزو في اقطار البلاد وهو الذي بنا السد بارض مارب وفجر اليوسعين نهرا وساق اليه السيول من امد بعيد وعمل خليجا تجري فيه المياه الى البحر وبنى مدينة مارب ودهبت مدينة سبا ومن ذلك السد كانت تسقى البساتين والمحقول بتجارة واقنية مرتبة واصبحت ضواحي مارب كثيرة الخصب . ولسبا ابناء كثيرون منهم حمير وكهلان ولهذين فروع عديدة . ويظهر ان بني حمير ملكوا على قوم سبا مدة (٢٠٢٠ سنة) وكانوا يقيمون باليمن وهم الملوك التابعة . وحمير كان على قول مؤرخي العرب اول ملك قحطاني لبس الناج وملك خمسين سنة وهو الذي طرد ثمود من اليمن الى الحجاز وقد اختلفوا في خليفته فقال بعضهم ولده وائل وقال البعض اخوه كهلان ولعل كليهما بان ملك الواحد في اليمن والآخر في حضرموت . وهذه الاختلافات بين المؤرخين الشرقيين كابي الندى وابن الاثير وابن عيسى وابن سعد المغربي والنويري والطبري والمسعودي ونحوهم كثيرة في كل انساب ملوك العرب

ومن الملوك التابعين لخمير ذور ياش ثم النعمان بن يعفر الملقب بالمعتر لقول

إذا أنت صافرت الأمور بقدره بلغت معالي الأقدمين المقاول

ومنهم شداد بن عاد بن الملقاط بن سبا وله اجتمع الملك وغزا البلاد وبني المدائن والمصانع وابقى الآثار العظيمة . ومنهم حارث الرايش ويعرف بأول فاتح في ملوك اليمن وأول من لقب بتبع اي خليفة وصار ذلك ارتقا في بني . ثم ذو القرنين وولده ذو المنار ابرهة واخوه ذو الازعار . وقبل ان ذا المنار وذا الازعار فتحا بلادا في السودان واfrica . وبعد ذي الازعار ملك واحد جاءت بلفيس ملكة سبا التي زارت سليمان بن داود كما جاء في ملوك اول وابام ثانيا وقبل في ام ملوك الحمير من سليمان

وبعد بلفيس بعدة اجيال حدث امرهم في تاريخ العرب وهو ان اعمال السدة المذكور كانت قد تعطلت مع الوقت حتى تلاشت وسقطت ونشا عن ذلك ما يدهوه العرب سبل العرم فغير كثيرا في هيئة العربية . وامر هذا السيل من المحوادث النادرة المذكورة في تاريخهم ولا يمكن تحديدها متوالا على سبيل التحمين فزعم المعلم دسائي ان حدوث ذلك كان في مبادئ القرن الثالث للنصرانية قالوا ان عمرو بن عامر الملقب هزيبيا احد امراء البلاد ولعله رئيس بني كهلان اتاه النباء عن الخراب المزيع فباع ما ائتمها جر بعدد من احياء اليمن الى بلاد (عك) ما بين زبيد وزمع وبعد موته تفرقت تلك القبائل فذهبت قبيلة جفنة بن عمرو الى بلاد الشام واستوطنت هناك الى الجنوب الغربي ومنها الملوك الفسانية اقدم الحارث ملك دمشق المذكور في عهد بولس الرسول او هو من عرب سلع الذين كانوا قبل غسان ودان غسان بدين النصارى وصاروا تابعين لمملكة الروم الى ان صار ضمها في عهد عمر الناروق الى ملك الاسلام . واقام بنو حارثة بن عمرو بن الظهران بمكة وهم فيما يقال خزاعة واما بنو عوص وخزرج من ثعلبة بن عمرو فذهبوا الى يثرب المدعوة المدينة واقام بعض بني ازد في عمان والبعض في الشام - ونزل مالك بن فهم في العراق واسس مملكة الحيرة التي قام عليها بالتتابع خمسة وعشرون ملكا في مدة خمسمائة وسبع وتسعين سنة الى ان صارت تابعة للفرس ثم ضمت الى ملك الامام - واما قبيلة طي التي تركت اليمن فانها اقامت بنجد ما بين جبلي اجا وسلمي المعروفين بجبلي طي . ويوجد من الازديك في سلسلة ملوك حمير الذين ملكوا بعد سبل العرم ما يوجد في من حكموا قبله

وكان بنو زمر والحجر الاسود الموجود في بيت مكة المسمى كعبة محترمين بين العرب من قديم الزمان اما بنو جرم المحدثاء الاتون عن جرم بن قحطان فانهم قطنوا الحجاز مدة اقامة بني يعرب باليمن وكانوا حراس وسدنة البيت مدة اجيال الى ان اغنم عمرو بن لحي من قبيلة خزاعة فرصة

الخصام بين الجراهمة والاسماعيلية وطرد بمساعدة مهاجري اليمن من (عك) وقبيلة بكر بني جرم من مكة واستلم سدانة البيت . وقيل ان السدانة كانت في بني اساعيل الى ان انتهى الامر الى ثابت فصارت السدانة بعده لجرم وعليه قول عامر بن جرم الحارثي

وكنا ولاية البيت من بعد ثابت
نطوف بفناء البيت والامر ظاهر

الى قوله

كان لم يكن بين المحجون الى الصفا انيس ولم يسر بمكة سائر
بلى نحن كنا اهلنا فابادنا صروف الليالي والمجدود العوائر
ولما رأت قبيلة بكر انه قد اخرجها من حق السدانة غريب اغناظت وتحالفت مع وجل يدعي
قصبا من قريش فاحمال قصي على ابي عيثان من خزاعة واشترى منه المفاتيح بسكرة وزى خمر
وعليه قوله

باعث خزاعة بيت الله اذ سكرت بزق خمر فبست صفة البادي
باعث سدائهما بالنذر وانصرفت عن المقام وظل البيت وللنادي

ولكن قبيلة بكر لم يتم لما المراد فان قصبا سلم المفاتيح لبني قريش ولعل ذلك كان سنة ٤٦٤
ومن قصي هذا جاء هشم للذي قيل انه اقات اهل بلاده في القحط للشهد وتشد وقد شاع ذكر
ولده عبد المطلب بانتصاره على ابرهة ملك الحبش واليمن المسيحي عند ما وكب باقيا له على مكة
بقصد تخريب الكعبة قيل انه بمعجزة خاصة تلاشت فوق ابرهة وسلت الكعبة ويدعى تلك السنة
التي اشارة الى النيل الذي كان ابرهة بركة وقد ابي التقدم عند ما رأى توجه العساكر الى جهة
المدينة المقدسة وكان ذلك (سنة ٥٧١) وفي السنة التي ولد فيها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
بن هشم نبي الامة العربية

وللعرب جميعا قبل الاسلام يعرفون بعرب الجاهلية وحالتهم مشهورة عند الامم بما لم من العز
والمنعة وكانوا طبقتين اهل مدروا اهل وبر فاعمل المدرم الحواضر وسكان القرى وكانوا يجاولون
المعيشة من الزرع والتخل والضرب في الارض للتجارة والماشية واما اهل الثور فهم قطان الصاري
وكانوا يعيشون من البان الابل ولحمها متجمين منابت الكلا مرنادين موافق القطر فيقيمون هناك
ما ساعدتهم الخصب وامكهم الثري ثم يرتحلون في طلب العشب والياها وكان ذلك دأبهم ومن الصنف
والربيع فلما جاء الشتاء واقتضت الارض انكمشوا الى اربابهم للعراى واطراف الشام فتبعوا هناك
مقلبين جهده الزمان ومضطربين على بومس العيش

وما جاء في قصة عترة ونحوها من التفرقة القديمة عن عترة ومعتهم لم يزد في تفصيها حقيقة

لم في حالتهم المحاضرة كما يذكر السباح المحدثاء ولم يغير بساطة تلك العوائد مرور الزمان بل ان
 المحذوق والنباهة والضباقة والفروسة والنصاحة التي كانت لهم قديماً ونظم الاشعار والمخطابة الى غير
 ذلك ما يتعلق بلغتهم الواسعة لاتزال لديهم قصارى افتخارهم . واديان العرب كانت مختلفة منها
 عبادة الكواكب (فحمير) عبدوا الشمس (وكنانة) القمر (وطى) سهيلاً (وقيس) الشعرى العيور
 (وميمم) الدبران (واسد) عطارد وكان لاهل سبا عاصمة اليمن هيكل للزهرة وكان بيت مكة كما
 يقال لزحل وكان فيهم من يقول بالمعاد ويعتقدان من نحرث ناقته على قبره حشد راكباً ومن لم
 نخر حشد ماشياً وكان لهم خلا الكواكب اصنام . فاللات كان لتقيف وكان لها هيكل في نخلة هدم
 في وقعة تبوك في التاسعة من الهجرة . والعزى لتريش وكنانة وصورها صورة شجرة . واساف ونائلة
 بصورتي رجل وامراة وخمسة اخرى بصورة حيوانات وبشر لتريش ايضاً . ومناة لهذيل وخزاعة ما
 عدا الالهة الصغار المخصصة بالاحياء ثم دخلت عبادة النار بين تميم في خليج العجم . وبعد خراب اورشليم
 قصد اليهود العربية بكثرة وتشيع لهم عدة قبائل لاسيما كنانة وكندة وصار لهم سلطة قوية في شبه
 الجزيرة وفي نحو الجبل الخامس دان ذونواس ملك اليمن من حير باليهودية فكان يهودياً غيوراً
 ينظم دكل من لا يهود وكانت النصرانية ايضاً قد انتشرت في العربية ودان بها قبائل حير وغسان
 وريعة ونغلب وتنوخ وطى وقضاة والحيرة ونجران واتصر لهم ملك الحبش عند ما اضطهدم ذونواس
 وركب عليه وفتح اليمن والتي ذانواس في البحر

والعرب كلهم كانوا يعتقدون بالجن ذكوراً واناثاً وقالوا في البخت واشتغلوا بالتنجيم والسحر
 وتاويل الاحلام . هذه كانت حال العرب في اوائل القرن السابع

وكانت بعض الجهات الجنوبية في جوار الشام وفلسطين ومصر قد خضعت للروم . والتي في
 حدود الفرات للفرس وكان الحبش متولين على بعض الجنوب على ان اكثر العربية كانت حرة ومجهولة
 لدى الاجانب الا ان تلك القبائل لم تكن الى ذلك الوقت مع كل شجاعتها قد انحدت تحت
 لواء واحد بل كانت اسباطها النائمة منقطعي العلاقات متفرقين في كل ناد يغزون بعضهم بعضاً ولم
 يهتدى اجمعهم كافة ولا انتظمت تلك الامة كحلقة في سلسلة الحوادث التاريخية الا بعد انذار
 ابي القاسم محمد بن عبدالله الهاشمي بالاسلام فان ما كان يتوقد في صدر النبي وخلفائه من الالهام
 والايمان الوطيد في حقيقة الدين الجديد والجرأة العربية وميل العرب الطبيعي الى القتال وركوب
 الاخطار ومبادئ القرآن المقررة وجوب نشر الاسلام والجهاد ضد غير المؤمنين واتخطا الممالك
 المجاورة الى غير ذلك هو الذي مد في اقل من جيل واحد سلطة العرب وايانهم وبلغتهم من المحيط
 الانكليزي الى السند ومن البحر الهندي وقفار افريقية الى فرنسا وبحر الروم واسيا الصغرى وبحر الخزر

ومحمد ولد في مكة لعشر خلون من شهر تشرين الثاني (سنة ٥٧١) ولما ناهز العشرين من عمره ذهب مع رفقاته ضد اصوص العرب الذين كانوا يوقعون بالحجاج القادمين لزيارة البيت وبعد ذلك بخمس سنين ذهب الى دمشق في خدمة احدى الارامل الغنيات المدعوة خديجة التي تزوجها بعده . وفي سنة الاربعين من عمره (عام ٦١٠) في ليلة القدر وهي ليلة الدعوة الالهية كما يعتقد المسلمون راي محمد في نومو الملك جبريل بدعوه الى الرسالة فقص هذا الحلم على خديجة زوجها وعلى ورقة ابن عمه وابي بكر حميه فامتلوا بكلامه وبعد ذلك بثنتي عشرة سنة ثار المكيون ضده وعادت حياته في خطر فهاجرها الى يثرب وصار ١٦ تموز (سنة ٦٢٢) وهي السنة الثانية والخمسون من عمره تاريخاً للهجرة . وفي السنة نفسها حدث خلاف عظيم انتهى الى قتال على الدين الجديد وانجلي بالانتصار على مكة ومعركة بعض القبائل له مؤمنين بان لا اله الا الله وبان محمداً نبيه ورسوله ثم اعلن محمد لزوم نشر الاسلام في كل مكان وجمع المذاهب المتفرقة الى واحد في العالم كلاً وتوفي في المدينة ثامن حزيران (سنة ٦٣٢) وعمره ثلث وستون سنة

وكانت المملكة البظنطية قد فتحت حرباً وقتت على الفرس وكان استبداد حكامها والثورات العديدة والحروب الدائمة لردع اعداء المملكة وفروغ الخزينة من النقود وكثرة المظالم واختلاف الاراء الدينية وما شاكل ذلك قد اضعفت قوتها . وكانت المملكة الفارسية قد سقطت تحت ذلك ولم تكن تعاليم زرادشت القديمة ذات فعل كالعادة فلم يكن تباعة بيالون بظهور دين وامة جديدين فمذه الحاله الردية في الملكتين ساعدت على سرعة امتداد الفتوحات العربية وكان من اسلم يحسب من الامة وقد اذن للنصارى واليهود فقط بالبقاء على دينهم بشرط دفع الخراج واما من دان بغير اديان فلم يكن له غير الاسلام او الموت وعادت الامامة الكبرى والامارة العليا متحدتين في شخص واحد يدعى خليفة

فصل

في السياسة الاسلامية الاولى

يراد بالسياسة استصلاح الخلق بارشادهم الى الطريق النجى ويمكن قسمتها الى ثلثة اقسام . الهية وهي سياسة الخالق لخلقاته اجمالاً . ودينية وهي ما استعملها الانبياء والشارعون في سياسة شرائعهم . ودنيوية وهي ما استخدمها الفاتحون والمتسلطون في تدبير فتوحاتهم وممالكهم . فالسج قبل الرسول العربي بخمسمائة وسبعين سنة جعل سياسته الرفق وسلمها بالبرهان فارسل حوارية وأوصاهم بان لا يقاتلوا الشر وبان يحبوا اعداءه قائلاً « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن » الا انه لما كان لا بد من موازنة القوة للسياسة في كل شيء

لم تكن رسالته لتنتهي بسلام وقد تنبأ هو نفسه عنها اذ قال « لا تظنوا اني جئت لاتي سلاماً علي الارض ما جئت لاتي سلاماً بل سيفاً »

اما محمد فقد جعل سياسته الاولى السلام وبعد ان جمع (سنة ٦١٥) لليلاد اربعين نفراً من اعيان بني قريش وعرض عليهم ما في نفسه قائلاً « ما اعلم انساناً في العرب جاء قومه بافضل ما جئتم به بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله تعالى ان ادعوك اليو فابكم بوازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصي وخليفتي » وبعد ان وعظ وجاهد ولم يحصل على ~~شيء~~ للتزم اخيراً بالفرار الي يثرب من وجه اعدائه قال لاصحابه حيثنذ « ان كل وسائل الاقناع كما استعملتها وقد فات وقت الصبر فانا مامور ان الانبي الاصلام وانشر شريعة الله ولو بالسيف » ومن ذلك الوقت جعل سياسته مسلحة بالقوة فارسل عبيدة في مطاردة بني قريش وارسل حمزة ضد ابي سفيان وباشربنفسه عدة غزوات كغزوة الابهاء . ثم غزوة بواط . ثم العشيرة . ثم بدر الاولى . ثم غزوة بدر العظمى . وغزوة الكدر . وغزوة السويق . وغزوة بني قينقاع . وغزوة حمراء الاسد . وغزوة احد . وغزوة بدر معونة . وغزوة بني النضير . وغزوة ذات الرقاع . وغزوة بدر الموعد . وغزوة دومة الجندل . وغزوة الخندق . وغزوة بني قريظة . وغزوة بني المصطلق . وغزوة الغابة . وغزوة خيبر . وغزوة جيش الامراء . وغزوة حنين . واخيراً غزوة تبوك في التاسعة من الهجرة وكان قد اخذ مكة وكتب الي هرقل ملك الروم وكسرى ملك العجم والناخوش ملك الحبشة والمقوقس حاكم مصر كما ياتي

الي قيصر ملك الروم

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الي قيصر ملك الروم

سلام علي من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ويشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وان محمداً عبده ورسوله وادعوك بدعاء الله فاسلم تسلم فاني رسول الله علي الناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول علي الكافرين يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهد باننا مسلمون فان اييت فعليك اثم الكافرين

والي كسرى ملك العجم بعد البسملة

من محمد رسول الله الي كسرى عظيم فارس

سلام علي من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله ادعوك فاني رسول الله للناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول علي الكافرين اسلم تسلم وان توليت فعليك اثم الجوس

والى النجاشي ملك الحبشة بعد البسلة

من محمد رسول الله الى النجاشي الاضمم ملك الحبشة

سلام عليك فاني آحمد اليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلته القاهما الى مريم البتول الطيبة المحصنة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخة لهما خلق آدم بيده ونفخة واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته وان تنبهي وتؤمن بي وبالذي جاءني فاني رسول الله وقد بعث اليكم ابن عبي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين فاذا جاؤوك فاقرم ودع التجري واني ادعوك وجنودك الى الله فلتد بلفت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى

والى المتوقس عظيم القبط بعد البسلة

من محمد عبد الله ورسوله الى المتوقس عظيم القبط

سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك برعاية الاسلام اسلم تسلم بوثك الله اجره مرتين فان توليت فعلوك اثم القبط يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا اربابًا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون وبعث سليط بن عمر الى هوذة بن علي صاحب اليمامة وبعث العلاء بن الحضرمي الى المذربن ساوي صاحب البحرين وبعث عمرو بن العاص الى جعفر صاحب عمان وبعث الشجاع بن وهب الى الحارث بن شمّر الغساني صاحب دمشق وكتب معه « السلام على من اتبع الهدى وآمن به ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » . فملك العجم تعجب من هذا الخطاب وثق الكتاب وطرد الرسول قائلاً كيف يجزيء عبد ان يخاطب سيده هكذا . والملوك الآخرون منهم من اجاب بالرفق ومنهم من لم يجب . واما العرب فاکثرهم اطاع ومن لم يطع منهم ركب عليهم خالد بن الوليد وطيعهم وكان من نية الرسول ان يركب على الشام فاتته المنية قبل ذلك وكان قد كتب كتاباً يائس به النصارى الى المسلمين جاعلاً سياسة الرفق وهو

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله الى كافة الناس اجمعين رسوله مبشراً ونذيراً وموهباً علي ودبعة الله في خلقه لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيمًا . كتبه لاهل ملّة النصارى ولن تفعل دين النصارية من مشارق الارض وغاربها قريبتها وبعيدتها فصيحها وعجمها معروفها ومجهولها جعل لم عهداً فمن نكث العهد الذي فيه وخالفة الى غيره ونعدي ما امره كان لعهد الله ناكثاً وليثاقو نافضاً وبدنو مستهزئاً وللعنتوا مستوجباً سلطاناً كان لهم غيره من المسلمين

وان احتى راهب او سائح في جبل او وادى او مغارة او عمران او سهل او رمل او بعة فانا
 اكون من ورائهم اذنب عنهم من كل غيرة لم بنفسى واعوانى واهلى وملتى واتباعى لانهم رعيى واهل
 ذمتى وانا اعزل عنهم الاذى فى المون التى يحمل اهل العهد من القيام بالخراج الا ما طابت له
 نفوسهم وليس عليهم جبر ولا اكراه على شيء من ذلك . ولا يغير اسقف من اسقفى ولا راهب من
 رهبانى ولا حبس من صومعتى ولا سائح من سياحتى ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم ويعم ولا يدخل
 شيء من مال كنائسهم فى بناء مساجد المسلمين ولا فى بناء منازلهم فمن فعل شيئاً من ذلك فقد نكث
 عهد الله وعهد رسوله ولا يحمل على الرهبان والاساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة وانا احفظ
 ذمتهم ايما كانوا من برّ او بحر فى المشرق او المغرب والمجنوب والشمال وهم فى ذمتى وميثاقى وامانى
 من كل مكروه وكذلك من يتفرد بالعبادة فى الجبال والمواضع المباركة ولا يلزمهم ما يزرعون
 لاخراج ولا عشر ولا يشاطرون لكونهم برسم افواههم ولا يعاونون عند ادراك الغلة ولا يلزمون
 بخروج فى حرب وقيام بحربية . ولا من اصحاب الخراج وذوي الاموال والعقارات والتجارات مما هو
 اكثر من اثني عشر درهما بالجملة فى كل عام ولا يكلف احد منهم شططاً ولا يجادلون الا بالتي هي
 احسن ويحفظونهم تحت جناح الرحمة يكف عنهم اذية المكروه حيثما كانوا حيثما حلوا
 وان صارت النصرانية عند المسلمين فعلها برضاها وتمكينها من الصلاة فى بيعة ولا يحال بينها
 وبين هوى دينها ومن خان عهد الله واعتد بالضد من ذلك فقد عصى ميثاقه ورسوله ويعاونوا
 على مروة بيعهم ومواضعهم وتكون تلك مقبولة لم على دينهم وفعالهم بالعهد ولا يلزم احد منهم بقتل
 سلاح بل المسلمون يدموا عنهم ولا يخالف هذا العهد ابداً الى حين تقوم الساعة وتنقضي الدنيا انتهى
 (مراسلات افريدون بك)

وكان قد امر اصحابه والمومنين « ان انفروا خفاً وثملاً وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله
 اذ قد زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لي منها »
 هذه كانت سياسة الرسول التى قررهما اخيراً فى نشر شريعته وعليها جرى خلفاؤه من
 بعده فابو بكر فى مبتدا خلافته عند ما اراد بعوث الشام ونحوها كان يوصي كل من عند له رايتمن
 اولئك الامراء بالرفق والمعاملة الجيدة ومن جملة وصاياه قوله « اوصيكم بعشر فاحفظوها ولا تخونوا
 ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا ولا تغتلبوا ولا تغرقوا ولا تغربوا ولا تقطعوا ولا تنقضوا
 شجرة ولا تدبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا للاكل واذا مررتم بقوم فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوا
 وما فرغوا انفسهم له . واذا لقيتم اقواماً فمضوا واسط رووسهم وتركوا حولها قتل العصاب فاضربوا
 بالسيف ما فخصوا عنه »

وطبارة الخاقندي . وسمنون على قوم في الصوامع رهبان يزعمون انهم ترجعوا في الله فدعوم ولا يهدموا
صوامعهم ويهدمون قوتاً اخرين من حزب الشيطان وعبد الصلطان قد حلقوا اوساط رؤوسهم حتى
كلمها اغنيس القطا فاعلوم بتسويقكم حتى يرجعوا الى الاسلام او يعطوا الجزية عن يديهم صاغرون .
وعمر الفاروق لما قام من المدينة الى بيت المقدس مر بطريقه على حي من بني مرة فاذا بقوم
منهم يعذبون في الشمس . فقال لم عمر ما بال هؤلاء يعذبون . فقيل عليهم خراج . قال فما يقولون
قالوا يقولون ما نجد ما نودى . فقال عمر دعوم ولا تكفوم ما لا يطيقون فاني سمعت رسول الله
(صلى) يقول : لا تعذب الناس في الدنيا بعدكم الله يوم القيامة . وعند وصول عمر الى القدس
جلس في خيمته وكتب شروط الصلح التي مفادها ان السكان احرار في مالهم ودينهم وان الملك
المسلمون . ثم دخل المدينة وكلم البطريرك صفرونيوس بكل بشاشة ولين جانب وزار القيامة وجلس
على الارض ولم يقبل ما قربوا اليه من البسط ثم تنحى الى بعيد وصلى وبعد ان اكمل صلاته قال
البطريرك : لم ارد الصلوة داخلاً لاني لو صليت هناك لآخذ المسلمون يوماً للكنيسة وان تكن
الشروط بالخلاف بحجة ان عمر صلى فيها مرة وهذا مخالف لمراي وانتظارك .

فصل

في حوادث الربع الاول من القرن الاول

سبق ان الرسول دعا اعيان بني قريش وعرض عليهم ما في نيتو وطلب الموازنة منهم على ان
من يبيح الى ذلك يكون اخاه ووصيه وخليفته ولما لم يلبس دعوته وقتل علي ابن عمه وهو
الذي يقول سبقتكم الى الاسلام طراً غلاماً ما بلغت اوان حلبي
فكان من المسلم به طبعاً ان ينتظر علي الخلاف بين الصحابة والانصار والامة
انجلي اخيراً عن اقامة ابي بكر خليفة في السنة الحادية عشرة من الهجرة (سنة ٦٣٢) وبايعته مكة
وكبار الامة الا بنو هاشم واستبد علي بالامر في بيتو سنة اشهر واشهد على عدم قبوله له وقد قال
جنته من ابيه طيب

ما كنت احب ان الامر منصوب	عن هاشم ثم منهم عن ابي الحسن
عن اول الناس ايماناً وسابغ	واعلم الناس بالقرآن والسنة
واخر الناس عهداً بالنبي ومن	جبريل حونه في الفسل والكنن
من فهو ما فهم لا يتروك	وليس في القوم ما فهو من الحسن

ثم وقع الوفاق وبايع علي ابا بكر واخذ المسلمون يمتدون في العراق والشام . وكانت في اليمامة

ما بين الحجاز وخليج العجم رجل يدعى مسيلة قد ادعى النبوة ومال اليه بنو حنيفة وقد كان عرض مسيلة على الرسول قسمة الارض بينها والرسول اجابه هزوا . فجهز ابو بكر عليه اربعين الفا من العرب وولى امرهم لخالد بن الوليد فحاربة وقتله وقتل عشرين الفا من اتباعه وتفرق الباقي . ثم تقدم خالد المدعو سيف الله وهول الكفار الى سواحل الفرات وقلب تحت ملوك الحيرة الذين كانوا من ستة اجيال يحكمون بالتابعة للوك الفرس وقتل ملكهم واسر واده وارسله الى المدينة واتى عليهم جزيرة كل سنة سبعين الف دينار ومن هنالك امر بالذهاب الى الشام . وبعد ان اتى ابو بكر السلام بين العرب اتدبهم اليه فاجتمعوا في جوار المدينة واجمع رايهم على ارسال عسكر لنفخ الشام وقلد ابو بكر امرهم الى ابي عبيدة . وكان خالد في طريقه قد فتح عدة اماكن وحارب الروم وملك البصرة ونهض قاصدا دمشق فالتقى بسبعين الفا من عساكر الروم ولم يكن بقي معه الا عشرون الفا فالتزم بالرجوع الى اجنادين ثم تقدم امام قومو قائلا « ان الرسول لم يدعني سيف الله عينا فمن منكم يخشى ان يحارب اعداء الله والرسول » فتشجع القوم بكلامه وصدمو عساكر الروم وبعد قتال شديد انهزم الروم وقيل انه قتل منهم يومئذ اربعون الفا وغنم منهم المسلمون اموالا كثيرة واخذوا اركه وهوران وثنية العقاب ودير خالد وتدمر والسخنة . وتقدمت عساكر خالد الى دمشق واتى عليها المحصار وكانت قد وصلت عساكر الحجاز مع ابي عبيدة . ولما راي الروم عدم امكانهم عقد صلحا مع ابي عبيدة على ان من يريد الاقامة بالشام يدفع الخراج ومن لا يريد يرحل بماله وعياله . واتفق ان في وقت دخول ابي عبيدة بالامان من الجهة الواحدة دخل خالد من جهة اخرى والسيف في يده صارخا لا يحمل ولا امان لاعداء الله وامر اصحابه بالقتل حتى جرى الدم في اسواق المدينة واخيرا اتى ابو عبيدة وامامة اعيان البلدة والفسان وم في امان بخالد وجماعته يقتلون عن عرض فصرخ ابو عبيدة بخالد ان اغمد السيف لانه كان قد اعطى الامان . فابى خالد وانكر ذلك الامان قائلا اني دخلتها بالسيف وبعد المجادلات مرة والتهديدات والتوسلات اخرى الى غير ذلك توقف خالد عن القتل وعند دخول الاسلام الى دمشق نزح كثير من الاهالي رجالا ونساء واولاد وكهنة باموالهم صحبة البطريق ثوما وكان ذلك ضد ارادة خالد الذي نهيهم بان لا امان عليهم منه بعد ان يكون مضى على ذهابهم ثلاثة ايام . وقد اجري ذلك بالفعل فان شابا شاميا اسمه يونس من اعيان دمشق كان يحب بنتا اسمها بودوصيه هرب بحبيبته ليلا لتأخير اهلها الزفاف للحوادث الكائنة وخرج بها من باب المدينة فالتقيا ببعض عساكر خالد فاخذ يونس وفرت بودوصيه وجميعة الى خالد وهدد بالموت فاسلم وكان ذلك قبل فتح البلد . فبعد فتحها دخلت بودوصيه الدير فذهب يونس اليها فازدرت به ولم تلتفت اليه لانه كان قد اسلم وذهبت مع الذين تركوا المدينة

اما يونس فاخذ يحسن لخالد ويجرضه على اتباع القوم رجاء ان يجد حبيته فاجابه خالد الى طلبه واخذه معه خيل الزحف وسار وبعد سير طويل ومشتات كثيرة لمحو عن بعد في احدى الوديان خيام الروم فقسم خالد عسكره اربعة اقسام وضربهم من اربعة جوانب واعمل السيف فيهم فقتل اكثرهم وتشتت الباقي ولكن يونس لم يستند شيئاً لان يودوصيه عند ما نظرته اخذت خنجرًا وطعنت به نفسها قدامه وماتت

وفي اليوم الذي اخذت فيه الشام وهو الخامس والعشرون من آب (سنة ٦٣٤ - ١٢) توفي ابو بكر وكان عمره ثلاثاً وستين سنة وكان رجلاً نقياً . وبعد موته اخذت البيعة لعمر بن الخطاب ودعي امير المؤمنين فراراً من قولم خليفة خليفة النبي وهو الذي امر فاقبعت قبة علي قبر النبي ثم جدد الحرب على الفرس وكان فرخزاد خسرو قد قتل . وانتقل الملك الى يزدجرد بن شهربار بن برويز بن هرمز بن انوشروان كسرى وله من العمر خمس عشرة سنة وكان يزدجرد قد خلع نفسه لرسم فركب سعد من طرف عمر امير المؤمنين وصحبته ثلاثون الفا وحل بسهولة القادسية واقتل مع العجم قتالاً شديداً ودعي اليوم الاول يوم الاغواث . لذهاب الف من الشام لنجدتهم . واليوم الثاني يوم غماس . والثالث ليلة الهرب لوقوع الحرب ليلاً وكانت اصوات الفرسان كهرير الوحوش الضاربة وفي الصباح صدم المسلمون عساكر رسم وكانت الرمح شديدة فغشي الغبار على اعين الفرس وانتصر المسلمون وقبضوا على رسم وقطعوا راسه ودعي ذلك اليوم يوم الانقراض . ومات من العجم نحو اربعين الفا ومن العرب ثمانية الاف وجرح مثلهم . وبعد حرب القادسية صارت العراق كلها اي ارض الاشوريين في يد العرب واقاموا هناك مدينة البصرة عند ملتقى النهرين . وادرك بعض المسلمين غللاً وقع في الماء وعليه تاج كسرى والمنطقة والدرع وغير ذلك مكللاً بالجوهر . وكان لكسرى بساط طوله ستون ذراعاً وكذا عرضه وكان على هيئة روضة رسمت عابو الزهور بالجواهر على قضبان من الذهب فاستوهب سعد ما ينحصر اصحابه منه وبعث به الى عمر فقطعة عمر ووجهة للمسلمين فاصاب علي بن ابي طالب قطعة فباعها بعشرين الف درهم . ثم قطع سعد الفرات وتملك المدائن وارسل جيشاً الى جلولا وكان يزدجرد مجلولاً فسار عنها واخذها المسلمون وبقي تائهاً الى ان قتله بعض اصحابه وانتهت به عائلته (سنة ٦٥٢ - ٢٢) وفتح المسلمون تكريت والموصل ثم ماسندن وقرقيسيا ثم دخلت السنة (١٧) وفيها خطت الكوفة وفتح المسلمون الاهواز ورام هرمس وتستر وحاصروا الهرمان

وفي المدائن عاصمة الاكاسرة وجدت الخزائن والتحف وغنم العرب ما لا يحصى من الخيرات قال ابن خلدون . وكان في بيت المال ثلاثة الاف الف الف مكررة ثلاث مرات تكون مجملها ثلاثة الاف مخطار من الدنانير .

وبعد خراب ملك العجم عاد الفاصل بين العرب والأتراك نهر جيحون فقطع العرب النهر
وفتحوا ما وراءه وقصد بعض قوادهم الهند واخضعوا سواحلها وكان عقبة بن نحران يحارب تلك
الاماكن الكاثنة بين جيحون وخط العرب عند ملتقى الفراتين ودخلت بحارى وسمرقند ونحوها في دين
الاسلام وخصعت لامير المؤمنين

وكانت عساكر المسلمين تنصر بالشام على تلك الجنود المدعوة شامية لبلادم وموثانية ليدينهم
ورومية للملك لان ملوك القسطنطينية اقبلوا هذه التسمية اشارة الى اصلهم الروماني ٠٠٠ وبعد ان
اخذ المسلمون دمشق ركبوا على اليوبولس عاصمة بعلبك وعلى حمص عاصمة البلاد التي بين حلب
ودمشق وفتحوا حمص وشيزر واللاذقية وجبله وانطربطوس (سنة ٦٣٦-١٥) واذا كانوا تحت اسوار
حمص سمع ابن عم خالد ينادي قائلاً «اني ارى الحور ينظرون اليّ ولو ظهرت منهن واحدة لاجذبت
بعضول العالمين» هذا ارى احداً من وفي يدها منديل من حرير اخضر وتاج من حجار كريمة تشير
اليّ وتدعوني» وبعد ان قال ذلك رى بنفسه في وسط الاعداء وقا تل حتى قتل

وكان لما راي هرقل ملك الروم تقدم العرب افاق من غفلته وسير ثمانين ألفاً الى انطاكية وقيسارية
وامدوا باربعين ألفاً من عرب غسان النصارى ونهض جم غفير من اهل الشام للدفاع عن الدين
والملك فابو عبيدة ارناى لزوم مكانه والدفاع واما خالد فاقنعه بالتقهقر قليلاً الى جهة فلسطين
قرب العربة وانتظار الاسعاف من طرف امير المؤمنين . فقامت عساكر المسلمين الى الليرسوك ونزلوا
عند بحيرة طبرية وهناك اتاه ثمانية الاف من قبل عمرو وفيه حصل بينهم وبين عساكر الروم معركة
عظيمة وكان ابو عبيدة في مؤخرة العسكر وخالد في مقدمتهم وكان كثير من النساء ممن رافقن النبي في
غزواته حاضرات بحارين وكن يحسن ملاعبة الاسنة ورشق السهام وكان خطاب القلائد المسلمين
قاطعاً الفردوس امامكم والشيطان ونار جهنم وراءكم وحارب المسلمون في ذلك اليوم كالا سود حتى
ان ابنة عتبة لما رات ابا سفيان يرتفع بنفسه انتزعت عموداً وضربت به راس جواده فارته الى الاما.
قالوا وقتل من الروم واسر في ذلك اليوم نحو مائة الف ومن المسلمين نحو ثلثين الفا وقتل القلائد عما نوبل
وانهزم جيلة امير بني غسان وذلك (سنة ٦٣٦-١٥) في اواخر تشرين الاول ومنهم من جعل هذا
الموقعة قبل ذلك

وبعد هذه الموقعة ينس الروم من استرجاع سورية وامر عمر بن الخطاب بالتقدم الى بيت
القدس فذهبوا وحاصروها اربعة اشهر وبعدما طلب البطريرك صفريونيوس وفي جهة القلائد من
عن السور ولما حضر قال له الانطونيون ان من يقدم الى الارض للقدس يذبح كالحرب يذبح
غضب الله فاجابه ابو عبيدة نحن نعلم ان القدس مدينة شريفة ولنا فيها اخوة كثيرين حتى

من البصري لا يها مولى الايما ومدفنيهم ومحل هيكل الله ومنها ارتفع نبينا الى السماء ليلاً وحظي بالدنو منه تعالى ولذلك امرنا الخليفة بان نفتحها فلما سمع البطريرك تسدد الجواب عقد معه شروط المهادنة وطلب حضور عمر نفسه لتوقيعها فالخليفة بعد ان اخذ رأي مجلس المدينة حصر راكباً على بعير احمر سداجة وتواضع لم يسبق اليها وكان كلما جلس للطعام دعا الخدم لياكلوا معه وقال له بعض جلسائهم ان يساجل ثوبك لا تناسب علو مقامك ومقام الامة التي هو اميرها فاجاب « ان الاسلام الذي نحن ذاهبون لتعرضه على الامم الغريبة هو اجل ثوب واعظم زينة واشرف حلي واتم سعادة لمن لم فيو نصيب » ولما نظر اورشليم عن بعد كبر بصوت عال وقال « الحمد لله اللهم يسر لنا هذا النصر » وبعد وصوله جلس في خيمته وكتب شروط الصلح . ومنادها ان الاهالي احرار في مالهم ودينهم وان المحكم ولاراضي المناخنة للمسلمين . ثم دخل المدينة وتكلم مع البطريرك واستخبره عما عده من قدم وذار القيامة ولما وصل اليها جلس على الارض ولم يرغب ان يجلس على البساط الذي وضع له قليلاً للبطريرك « ان هذا القليل من الارض الذي اعده الله للاسان ليجلس عليه انما هو اجل ساط ولغناه » وفي العشرة الايام التي اقامها هناك التي اساس جامع على اثار هيكل سليمان واكمله خلعاو ثم رتب العساكر وسافر الى المدينة لان غيابه كان قد ارجع افكار اهله مخافة ان يمتعه عن الرجوع اليهم قداية اورشليم او محاسن دمشق ونعيمها

ثم ان يقسمت عساكر العرب الى قسمين فالواحد بقي في فلسطين صحبة عمرو ويزيد . والاخر وهو الاكبر ذهب الى انطاكية وحلب صحبة ابي عبيدة و خالد . ووصولهم الى حلب عرضوا على اميرها والاهالي الصلح بان يكونوا احراراً في مالهم ودينهم فلم يقبلوا فالتقوا عليها المحصار . وكان فيها البطريرق يوحنا (او يوحنا) وهو رجل ذو باس واقدام ومقام عال في الدولة الرومية وقد قتل اخاه يوحنا الرابع لاشارته بالصلح وبعد حصار نحو خمسة اشهر اخذوا المدينة دون القلعة فلم يزل العرب من ذلك خيراً وقد تحملوا اموالاً لا تحصى ولا تقدر وفكر ابو عبيدة بتركها وكتب بذلك الى عمر . وكان قد حضر ركب من حضرموت واقاصي اليمن من همدان ومدان وسبا ومارب الى عمر يسالونه ان ينادمهم الى الغمام فقال لم عمره فيكم انتم بارك الله فيكم قالوا نعم زهاء اربعمائة فارس وثلاثمائة وطية مردفين وبعينا اناس يمشون على اقدامهم لاركاب لم فان كان عد امير المؤمنين ما يعملهم عليه حتى يصل الجند بونا وكان الرجال المذكورون اربعين ومائة رجل فامر عمر فاتهم بسبعين رجلاً ومارباً وكتب عمر الى ابو عبيدة هكذا « اما بعد فقد ورد علي كتابك مع رسلك فسرني ما يجمع بين النفع والنصب على احدائكم ومن قتل من الشهداء واما ما ذكرته من انصرافك الى البلاد التي من حلب وانطاكية وترك القلعة ومن فيها فهذا رأي غير صواب . تترك رجلاً قد دنوت من

دياره وملكته مدبته ثم ترحل فيبلغ ذلك الى جميع النواحي انك لم تقدر على فيضعف ذكرك ويعلو ذكره ويطمع من بطمع ويحتري عليك اجناد الروم خاصتهم وعامتهم وترجع اليه الجواسيس وتكتب ملوكها في امرك فايك ان تبرح من مجاهدتي حتى يقتله الله او يسلم اليك ان شاء الله تعالى او يحكم الله وهو خير الحاكمين . وبث الخيل في السهل والوعر والضيق والسعة واكناف الجبال والادوية وبين المغارات الى حدود القارات ومن صالحكم منهم فاقبل صلحة ومن ساءلك فسامله والله خليفتي عليكم وعلى المسلمين وقد انفذت كتابي اليك ومعه عصبة من حضرموت وغورم واهل مشايخ اليمن ممن وهب نفسه لله نع ورغب في الجهاد في سبيل الله وهم عرب وموالي وفرسان ورجال والمدد باتيك متواترا انشاء الله نع والسلام وختم الكتاب وسلته لعبد الله بن قرط واخذوا جميعا يجدون في السبر وكان ابن قرط يحدتهم عما تحمل الاسلام في حرب يوقنا وعن بسائلو وقوتو الى غير ذلك . وكان ممن يسمع كلامه هذا مولى من موالي بني ظريف من ملوك كندة يقال له داس ابو الاهوال وكان شديد السواد فارسا شجاعا قويا له ذكر عظيم في بلاد كندة واودية حضرموت وجبال هرة وارض الثخيرة وقد اخاف البادية ونهب اموال المحاضرة وكان مع ذلك لا تدركه الخيل العتاة واذا امتطى الفرس العالي تخط رجلاه بالارض . فلما سمع داس بذكر يوقنا وما فعل بالعرب كاد يتميز غيظا وحنقا . وقال لعبد الله ابشر يا اخا العرب فاني ساجلة عبرة لمن اعتبر ولما وصلوا الى حلب ورأى داس ما رأى من الروم تحرك بالحقوة العربية واخذ بطاردم وحده ومرفوقا وكان دائما يردد

انا ابو الاهول واسمي داس اكر في جميع مداعس

ثم لما طال الامر ولم يقدر العرب على شيء وقد خاب داس في كثير من حيلوا واقدامو طلب ان يعطى له ثلثون رجلا يسمعون كلامه في كل ما يامروهم يصدم القلعة فوافقه خالد واوصى ابو عبيدة الرجال بان لا يزدروا به وانه لو كان ممكنا له لتترك الامور العامة ورافقه بنفسه . وكان الراي ان يظهر المسلمون تفخيم وداس مع اصحابه يخنفون في جوانب القلعة الى الليل ويدبرون امرهم . فتخفى المسلمون . ولما اقبل الليل ذهب داس واصحابه الى القلعة وهناك طلب اليهم ان يصعدوا على ظهره فوق بعضهم بعضا ويتسلقوا السور فصعد سبعة منهم الواحد على الاخر الى ان وصل الاخير الى فوق فخرج وتبعه غيره وقتلوا المحرس . ثم رفعوا الباقين منهم بعائهم وذهب داس ليحيي الجسر الممكن رفعة الذي يوقى به الى القلعة الى ان يكون وصل خالد بالعاكر . وفي الصباح حضر خالد وخلصه من ضيقه واكمل الفوز واسلم يوقنا بعد كل تلك العداوة قبل الجميع وكانوا قد فتحوا منيع ودلوك وسرمين وتنزين وعزار ومرعش وقنسرين كرمي المملكة المنسوبة الى حلب . ثم ركبوا على انطاكية وقطعوا

الجسر الحديدي على العاصي بدون مقاومة من حامية القلعتين اللتين على جانبيه واقتتلوا مع عساكر انطاكية الخارجة لملاقاتهم وهزمهم (في ١٩ آب سنة ٦٢٨ - ١٨) ثم سلمت انطاكية دون قتال وعقدوا فيها بينهم وبينها شروط الصلح على نحو شروط بيت المقدس وكانت قيمة ما صالحت عليه انطاكية ثلثائة الف مثقال من الذهب وكان يوقنا صاحب حلب اقوى المساعدين للمسلمين للاستيلاء عليها ووضحت انطاكية احدى ولايات الاسلام من الصف الثاني بعد ان كانت تحت خلفاء الاسكندر والملك الروماني في المشرق وكانت تدعى المدينة الحرة المقدسة وسكانها داخل الاسوار سبعة الف

ولما رأى هرقل الملك كل ذلك البطش والبأس فكر ان العرب لا ينفلبون وترك سورية عن فكره وكان ابنه قسطنطين ومعه اربعون الفا في قيسارية ام ولايات فلسطين الثلاث ففر منها الى القسطنطينية واما العرب فبعد ان غلكو لبنان تسلموا طرابلس وصور بسهولة ووجدوا في مرساها خمسين سفينة وكثيرا من الذخائر . ثم سلمت قيسارية وحيث سلم ما بقي دون مقاومة وصارت الرملة وبطولمة اي عكا ونابلس اي شحيم وغزة وعسقلون وصيدا ويبروت وجبيل وقاميه وسرايوس ونحوها في يد المسلمين . وخضعت سورية كلها لامر الخليفة بعد ان كان قد اخذها بومبيوس الروماني من السلوقيين قبل ذلك بسبعة اجيال

ومن تأمل فتح المسلمين بلاد الشام في ست سنوات اخذه العجب في ذلك غير ان المسلمين كانوا يحاربون لنوال الشهادة والذهاب الى الجنة اكثر من حطام الدنيا فلم يكونوا يخافون الموت ولا العدو . وتقول ان بعض الشبان قال لوالدته واخوته عند ما ودعها ذاهبا الى الجهاد : اني لم اهب نفسي لله طمعا في التمتع الشامية ولذات الدنيا الفانية ولكن لاكتساب رضى الله ورسوله فاني سمعت احد اصحاب النبي يقول ان انفس الشهداء تذهب الى حوصلات الطيور الخضراء التي تغذي بثمار الجنة وتشرب من انهارها العذبة . استودعكم الله سنلقي في الجنة عند النايح التي اعدّها الله لخيرائه . هذه كانت صفات تلك الامة في جهادها

بشبان برون القتل مجداً وشيب في المحروب مجرينا

ثم لاعتقاد ابي عبيدة ان ليس الا الفقر والتعب يحفظان المسلمين في جرائهم ودينهم منع عنهم الارتياع الى الحمية الراضية والتمتع الانطاكية ونحام عنها . واما عمر فرفع قسوة مبادئه كتب الى ابي عبيدة بعد ان مدح غيرة ما ياتي ، من عبد الله عمر الى عامله بالشام ابي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك واني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه واشكره على ما وهب من النصر للمسلمين وجعل العاقبة للمتقين ولم يزل بنا لطيفاً معيناً . واما قولك لم تقم بانطاكية لطيفها فان الله

عز وجل لم يجرم الطبقات على المؤمنين الذين يعتقدون الصالحات قتالاً يا ايها الذين آمنوا كلوا من ثمر ما رزقناكم واشكروا لله (الأنبياء)
فكان يجب عليك أن ترجع المسلمين من نعمهم وتدعهم يرجعون في مطعمهم ويرجعون إلى ربهم من
نصب القتال من كفر بالله وأما قولك أنك متظر أمزي فالذي أمرك بذلك أن تدخل وراء العدو
وتفتح الدروب فإليك الشاهد وأنا الغائب وقد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب وأنت بخضرة عدوك
وعيونك تاتيكم بالأخبار. فان رأيت أن دخولك إلى الدروب بالمسلمين ضاراً فاجتنبهم بالمرأى
وادخل معهم إلى بلادهم وضيق عليهم المسالك. ومن طلب منك الصلح فصالح ووفّر لم يتقدر وإنما
قولك أن العرب ابصرت نساء الروم فرغبت في التزويج فمن أحب ذلك فدعه إن لم يكن له أهل
بالبحار ومن أراد أن يشتري الاماء فدعه فان ذلك اصون لفروجهم واغنى لقوسهم وما يحتاج أن
اوصيك في امر فلطآنوس صاحب رومية اوسع عليه في النفقة وعلى من معه فانه قد غارق الله
وملكه وامره ونهيه والسلام عليك وعلى جميع المسلمين»

ثم حدث طاعون عمواس فمات من العرب خمسة وعشرون ألفاً ومات ابو عبيدة (سنة ١٢هـ)
من الهجرة. وكان خالد قد ركب على منبج وبراقة وبالس واتي رجاله وامواله ومثله قلمة نجم وصالحهم
بعد رد اموالهم على مائة الف وخمسين الف دينار وتوفي خالد بعد ابي عبيدة بثلاث سنين وكان
يظن ان الموت لا يقدر عليه وان العناية كانت مهتمة به ما دام لا يساً ذاك الرداء الذي كان قد
باركته اليه فانه بعد أن صدم وقتل في الشام احد ابطال الروم فجرد جبار اخر منهم لمبارزته فقال
له صرار ارخ قليلاً ودعني اذهب اليه عنك فاجابه اني سارتاح في الاخرة من يتعب اليوم يرفع غداً
ونزل اليه وقتله فتعجب منه عساكر الاعداء

ولم يبق الاسلام باخذ الشام فقط بل تقدموا واخذوا قيليقية وطرسوس ومدوا دينهم وقوتهم الى
البحر الاسود قرب القسطنطينية وكان جبل لبنان يدم بالاشخاش لبناء المراكب وقيليقية بالملاحين
العظام. وطرديا بالف وسبعائة سفينة عمارة الروم من بحر بنيلية الى بحر سفيد الحاصل بغير مريرة
وتسلطوا على بحر الروم كلوا وغزوا قبرص ورودرس ونحوها وفي رودس وجدوا قتال ابولص
العظيم علوه سنون ذراعاً مكعباً وكان من اجل اعمال اليونان ولقد سقط على الارضين برلوكه وفي
ثانية اجمال فجمع العرب قطعة المعدودة من عجائب الدنيا وباعوها من رجل يهودي من ادمه
وفي اورفه ما بين النهرين فاخرج منها نحاساً حمل ثمانية بعير، ولا شك ان في ذلك نبالة على
انه اشتمل على المائة ثمنال العظيمة والالف صم الموجودة في مدينة الشمس في عمورة وبيرويا

هذا ما كان من امر سعد في العجم وابي عبيدة وخاله في سورية. ولتظنر ما كان من امر عمرو في فلسطين... فعمرو كان ابن امرأة بتعدد عليها خمسة من بني قريش وقد نسب الى العجمي النسي الخاص لانه كان اشبه به من غيره. وكاف يهزا اولاً بتعمد ودينه ثم اسلم وجلب سورية في خلافة ابي بكر وعمر. وكان احسن اهل عصره قائداً واشجعهم محارباً حتى لما كان يسبح عنه من الخرايب ارسل اليه يطلب سيفه ليراه فارسله فسلمه عمرو واستخروا ورجع اليه قائلاً اني لم ار في سيفك ما بال قولهم هذه. فاجابه عمرو اني ارسلت لك سيفي ولم ارسل لك ذراعي وانت تعلم ان السيف يقطع بضارب. وقيل ان ذلك جرى مع عمرو بن عبد ذي كريب

وبينا كان عمرو هذا يحارب بفلسطين خطر له ان يركب على مصر وبعد حصوله على الاذن سافر في الحال وسافر معه يزيد ابن ابي سفيان وعامر بن ربيعة ويوقنا صاحب حلب. باربعة الاف من رجاله وغيرهم. ولكنه ندم عندما راي ما امامه من مدقات السفر والخطر وكيف ان الروم لا يسلمون بسهولة انبار ملكهم فضلاً عن المصريين انفسهم ومقاومتهم الفريية. وكاف يردد في عقله عظمة الفراعنة ملوكهم القدماء المما من ذكرهم القرآن الى غير ذلك غير انه لهث سائراً على تيسير الله. وبعد ما تجاوز غزة حضره رسول من عند عمر بكتاب يقول فيه «ان كنت لم تتجاوز حدود الشام وبوصل كتابي هذا اليك فارجع والاً اذا كنت في حدود مصر فقدم ولا تخشعوا بالله وبمسلمة اخوتك» اما عمرو اما لعل عدم ثبوت الحكم على رايه ولتنبه سري فلم يفتح الكتاب. وبقي سائراً الى ان دخل حدود مصر وهناك قض ختم الكتاب وتلاوة على القواد والفلسطين. ثم سأل ابن نجران الان فقبل له في حدود مصر. فاجاب جدوا بنا الان طوعاً لا مرامير المؤمنين. وبدأ بمصارفهم (بالتبوت) واخذها بعد ثلثين يوماً ومن هناك تقدم الى اليبوبليس قرينة القاهرة الجديدة. وبعد ان وصل الى خراب منف وتامل تلك الجمال الفاتحة تذكر وتنتذر قوة الفراعنة وشاهد النيل الذي يمتد عرضه هنالك نحو ميل جانبيه متعدين بحسين من سفن فوق انحاء تسد بها جزيرة تبس (روضة) المملوءة من البساتين والبيوت. وفي الجانب الشرقي من الجسر كانت بابل او مصر القديمة وكان هناك قلعة فيها شجاني الروم تحافظ على المهر فصدد العرب تلك القلعة وحاصروها نحو سبعة اشهر فمقت خطر غرقهم بآء النيل واخيراً تجاوزوا ذلك الخندق المملوء من السلاسل الحديدية وصعدوا بالسلام الى القلعة صارخين الله اكبر وطردوا منها العسكر. ولما نظروا عمرو ان ذلك الممكن كان انسب للمواصلات بينه وبين القريية من منف ليرى يد واقام هناك جملة وقدموا فيوصلونهم بمضاربين من الصحابة. وعادته مضارب العرب يوتوا والقلعة مدينة واخضعوا لها مدينة بابل ودعيت القسطنطينية. ولما تامل عمرو مجرات مصر واخضعها كتب لأمير المؤمنين ما معناه

• تأمل لك برّا بين قفريين وبين جبلين شهيبيين بسام البعرا و بطن الفرس المستقي فان الغلال الوفرة الكثرة الناتجة من منف واصوان انما هي عن النهر العظيم الجاري في وسط الوادي النسيج وهو ينض ويجري بكل دقة وقباس كسيرا الشمس والقمر . فانه في فصل معلوم من السنة كل البنايع تودي الى رئيس الانهر هذا جزيتها السنوية المفروضة عليها من العناية فيرتفع ماؤه وتجاوز حديه ويغطي كل ارض مصر وتبقى المواصلات بين المدن والقرى بسفن صفار كمعدد الخوص فاذا روت الارض رجع ماء هذا النهر المبارك الى مكانه المعين له بالطبع . وحيث ان هذا الشعب المحروس من الله والشبه بالنخل التي تعب ولا تمنحني لنفسها يشقون وجه الارض ويلقون فيها الزرع متظنين ثمره من ذلك الذي كل ينبت وينبع به فينرخ الزرع ويلو الساق وينضج الحب بقوة النداء الغزير القائم مقام المطر في حفظ رطوبة الارض . ثم يعقب الحصاد قحط . وعلى هذا النحو يا امير المؤمنين لا تزال هذه البلاد تنقلب بالتوالي ما بين قفار مقفرة وسهول مائعة ووحول لزجة ورياض خضراء متموجة وجنان مزهرة وحقول مملوءة حبا يانعا .

ولولم يساعد العرب على اخذ مصر اهلها كما كانوا قد فعلوا قبلا مع الرومان لما قدروا على فتحها لان القبط اصحاب المشية الواحدة القاطنين فوق منف وتحتها نظروا اتحادهم مع العرب خيرا لم لحفظ معتقدهم منه مع الروم . فالنوقس بن داعبل رئيسهم وكبير اغنيائهم الذي كان يعرف الرسول واه معه مكاتبات سلم نفسه لعمر و بفضا بهرقل ملك الروم لاصطحابه اخوته الاقباط . وقال لعمر • اعلم يا اميراني انا واخوتي قد عزمنا ان نجبا ونهت علي دين عيسى بموجب شريعة الانجيل ولا نقدر ان نحضن دين نبيك لكن نريد الامان وتدفع الخراج ونطيع امر الخلفاء . فاجابه عمرو الى طلبه ورتب علي كل رجل دينارين خلا الرهبان والمشايع ومن لم تجاوز السادسة عشرة من عمره وهكذا سلموه مدينة مصر والقلة المار ذكرها . وهذه عهدة مصر الهضبة من عمر بن الخطاب

بسم الله الرحمن الرحيم - هذا ما اعطى عمرو بن العاص اهل مصر من الامان على انفسهم ودمهم واموالهم وكافتهم وصاعهم ومدم وعددهم لا يزيد شي من ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم النوب . وعلى اهل مصر ان يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرم خمسين الف الف . وعليه من جنى نصرتهم . فان ابي احد منهم ان يجيب رفع عنهم من الجزى بقدرهم وذمتنا من ابي برة . وان قص نهرم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك . ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فلما لم وعليه ما عليهم . ومن ابي واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مائة ويخرج من سلطانتنا . وعليه ما علينا اثلاثا وكل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة وذمة رسوله وذمة الخليفة امير المؤمنين وذمة المؤمنين . وعلى النوبة الذين استجابوا ان يعينوا هكذا وكذا راسا

وكذا وكذا قريسا على ان لا يفروا ولا ينعزلوا من تجارة صادرة ولا واردة

شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب ووردان وحضر (طبري)

وكان عدد الاحباط على قول بعض المؤرخين ستة ملايين كلم من اهل مصر القديمة وبامتزاج
لنهم القديمة مع لغة الاغريق نشأت اللغة القبطية وقد تغلب الدول على هذا الشعب من قدم الرومان
فاقتل الى حكم الفرس والمندونيين والرومان واليونان او الروم ثم الى الاسلام من عرب ثم انزله
وبعد ان سالم العرب الاهالي اطمان خاطرهم واظهر عمرو ثقتهم الكاملة بالقبط عند سفره الى
الاسكندرية فكانوا يتحنون له الطرق والجسور ويأتونه بالاخبار الى غير ذلك . واما اخذ مدينة
الاسكندرية فقد اتعب العرب تعباً لا مزيد عليه . فان هذه المدينة من جهة انها كانت يوماً مركز
التجـر المسكوني والعلوم كلها كانت محصنة جداً وممتدة امتداداً طويلاً اشبه بضلع قائم الزاوية
ومحاطة من كلا جانبيها بالبحر وبحيرة مريوط . ولم يكن يرى منها من البر اكثر من ١٢٥٠ خطوة
(نحو ميل) وكان العرب على قول يوتيفوس المؤرخ يظهرون في حصارها جراءة الاسود وصدوم
العدو بقوة عظيمة كلما خرج اليهم وكانوا يهجمون على السور والقلاع هجوماً غريباً حتى ان عمراً
عرّض بجراسته نفسه وعساكره للخطر الكلي وذلك انه دخل المدينة في احدى هجوات عليها دون ان
يعلم كيف يخرج وقد رجعت العساكر غير عالة بها اصاب قائدها ولم يبق معه الا رجل من اصحابه
وخادم . فقبض عليه واخذ الى الوالي ولم يكن ينتكر مع ذلك بشيء . بل كان يظهر منه السيادة
والجسارة في خطابه وجوابه حتى كاد يعرف وهو محاط بالعساكر والسيوف مسلولة لكي يقتلوه متى
صدر الامر على ان ذكاه خادموه خاصة من تلك الحالة فانه صفعه بشدة وانتهره قائلاً « قف باحترام
امام الروساء » فانخدع الحاكم الرومي من هذا العمل وظنهم جميعاً عبيداً وامر باطلاقهم غير عالم
من يكونون . فرجعوا من ساعتهم الى العساكر العربية وقامت الافراح برجوع عمرو . وبعد
حصار اربعة عشر شهراً وفقدان ثلاثة وعشرين الف نفس منهم استلموا المدينة (في ٢٢ كانون
الاول سنة ٦٤٠ - ٢٠) وقيل (في ١٩ شباط سنة ٦٤١ - ٢١) والاصح الاول و(في سنة ٦٤١ -
٢١) كانت وقعة نهاوند مع الاعجم . فاجتمع مائة وخمسون الفا من الفرس وعلمهم النيرزان
وبعد مقاتل عديدة انتصر الاسلام وفر النيرزان قتلته القعقاع راجلاً . وفيها فتحت الدبنور
والذمير وميزان واصهان ونوفي خالد ودفن في حمص وقيل في المدينة . و(في سنة ٦٤٢ - ٢٢)
فتحت اذربيجان والري وجرجان وقزوین وزنجان وطبرستان

وبعد اخذ الاسكندرية حرر عمرو بن العاصي الى عمر يقول « لقد فتحت مدينة المغرب
العظيمة ولا اقدر على تعداد ما فيها من الثنى والثمن وبالاختصار فانها تحتوي على اربعة الاف

قصر وأربعة آلاف حمام وأربعمائة مئذنة واثني عشر ألف دكان وأربعين ألف بيوت يهودي يهودون الخراج والمدينة أخذت تهيئ بدون شروط وعهود ويرغب الموهنون أن يجهزوا ثلثا ثلثهم ، أما عمر فحرر اليهود مع الذهب وبأن يحفظ غنائم البيت المال ونشر الإسلام وبأن تؤخذ الجزية من السكان . ومن ثم صدر مدح اليمانية في ذنن اليوم الملكية باستعمال عقابهم سرا . وبعد هذا بقليل توفي عمر فسلمت انطاكية وقيل غما على أخذ الاسكندرية .

ثم ما لبث شعب القسطنطينية من انتطاع الفلائل عنهم وسلك المجلس بجديد الحرب على الغرب لاسترجاع الاسكندرية فارتبطوا بهكرا غفيرا وعارة قوية ولكنهم طردوا سرين في مدة اربع سنين . وفي المرة الاخيرة حلف عمرو ليعطو ما نصب الله اذا جاءوا ثالثة عهد الى احرار المدينة والقضاء الكافر في البحر . ومهدم وتمتد بعض السور والفلال ثم جمع غنصه ببقام جامع الحلم وهذا الاصل والسلام

ولذلك كررها نبذة عن احتياقي مكتبة الاسكندرية الشهيرة بعد ان فتحها عمرو . فقلوا ان عمرا كان يحب العلوم وهذا كره الطعام . وكان قد احب رجلا عالما يدعى يحيى المعروف بالغراماطي لانه كان متكئا على عروس النجوم والفلسفة حتى لقب ايضا بفيلسوف . فبوحنا هذا سال عمرا ان يهبه اما مكتبة المذكورة لعدم انتفاعها بها فانساع عمرو ولكن اراد ان يستشير الخليفة عن ذلك فكتب اليه فاجابه بما معناه . ان وافقت كتب اليونان النصوص القرآنية فلا حاجة للإسلام بها وان خالفت يجب احرارها لانها مضرة . فلما وصل الجواب امر عمرو بتوزيع جميع الكتب على الاربعة آلاف حمام وقيل انها كفتا ستة اشهر . هذا ما جاء في ابي الفرج في التيجل السابع من الهجرة وابي الفدا في القرن الثامن . منها على ان المورخين نظروا في نفوس وغيره من المعاصرين لم يذكروه . والظاهر لي ان في ذلك مبالغة غلو فرضنا ان كل حمام اسكنه احرار في عشرين مجلدا كل يوم لفتح الله كان فيها نحو اربعة عشر مليون مجلد ولاربعمائة ألف مجلد . والحال ان مكتبة اسكندرية كانت قد احترقت اولاً في عهد القيص الروماني . وبعد جمع ما بقي واضافة مكتبة فرغامة اليها لم تسلم من النصارى الذين كانوا يجهلون في ملائمة المعتقدات الاخر فافندوا فيها في زمان نيودوسيوس الملك مجلدات عديدة حتى لم يبق الا نحو اربعمائة ألف مجلد من المختصين اللهم اذا لم يكونوا هم انفسهم زادوا عليها في السنة الاجيال الاولى من مؤلفاتهم عند انتقامهم الى احرار عديدة مثل نسطرة وبقاوية واربومية وسلكية ونحوم وبذلك يكون المسلمون عملوا خيرا باحرارها وإراحة الناس من عوانات لا فائدة منها الا بلبلة الأفكار للراثة

والعمرى عمرو سنة مصر حكما عادلا محمدا كما يظهر ما حرره للخليفة اذ يحرق

عليه ثلثة امور تعود يا لنفع لمصر . اولاً عدم ازدياد الضرائب . ثانياً حفظ جزء من الدخل العام لاقامة الجند والحوار والمصانع وتربيتها . ثالثاً تقسيم المال على الاراضي بحسب غلاتها . ومصر هي التي كتبت العربية فيها ونحوه في المجاعة التي حدثت (سنة ٦٤٢ - ٢٢) ولهذا امر عمر بن الخطاب بفتح خليج بين النيل وبحر الحجاز لكي يتهل نقل الغلة ودعي نهر امير المؤمنين . وبحر الحجاز هو بحر القلزم نسبة الى مدينة قلزم الشهيرة بين العرب يوماً وقد اقيمت الان على خرابها السويس ولذلك يدعي بحر السويس ايضاً وهو البحر الاحمر

وأمر عمر واذ كان في مصر فسار الى برقة فصالحه اهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها وفتحها عنوة (سنة ٦٤٢ - ٢٢) . وفيها غزا الاحتف بن قيس خراسان وحارب يزدجرد وفتح هراة عنوة ثم سار الى مرو وروز

وبعد ان شاهد عمر كل هذه الفتوحات اتاه موته عن يد عبد يدعي ابا لولة فيروز وهو عبد المهيمة بن شعبه وذلك ان هذا الرقيق جاء يتشكى يوماً الى عمر من سيده لانه كان ياخذ منه درهمين كل يوم وهو كل ما يكسبه . فسأله عمر عن حرفته فاجابه العمارة والنجارة . فقال له الخليفة هذا القدر ليس بناحش على من يحسن ثلاث حرف . والحال ان سيده لو اراد لامكته ان ياخذ منه اكثر من ذلك . ثم هد مخاطره وهدده بانّه سيشغله في بناء الطواحين فغضب العبد من الجواب وصرخ قائلاً « لك ابني طالعونا تشتغل فيها الى يوم القيامة » فاعياظ عمر من كلامه وطرده . ثم انطلق الى الجامع لصلاة الظهر فلما دخل الرواق اذا بالعبد قد هجم عليه وطعته بخنجر ثلاثاً وذلك بسرعة لم تتمكن الحاشية من معونه وبعد ان تحارب العبد مع الحاضرين ضرب نفسه بالخنجر ومات . ولما نظر عمر خطرامه وكان اصحابه يطلبون اليه ان يهد لولده من بعده . قال حسب قومي وجود من يقوم بحمل ثقل كهذا دون ان يخلتهم غيرهم . وعهد بالخلافة الى علي وعثمان وطلحة والزبير وبعده بعد ان عرضها على عبد الرحمن بن عوف فابى وتوفي سلخ ذي الحجة (سنة ٦٤٣ - ٢٣) ودفن هلال محرم (سنة ٦٤٤ - ٢٤)

والحاصل ان العرب في عهد عمر سفكوا من الدماء امراً وعلى قول بعض المؤرخين فتعوا سنة وثلاثين الف مكان ما بين مدن وقلاع وقرى ونحوها وهدموا اربعة الاف هيكل واقاموا الف ومائتي جامع . وقدر ما كان حكم عمر ملاشياً في الخارج كان مرتباً وشديداً في الداخل وكان يخيل على نفسه لا يأكل غير خبز الشعير ولا يشرب غير الماء ولكنه كرم على غيره . قيل انه اعطى يوماً لاجل الفقراء ستة آلاف درهم فلامه بعض خلاؤه على تفضيله الغريب على اولاده . فاجابه بما معناه . ان لاني ابا بطمية ومكسوة ويهتم بخلاف هذا الغريب فان ليس له شيء ولا من ينظر اليه

وكان بين عمر وهرقل ملك الروم مكاتبات منها عند فتح الجزيرة سنة ١٦ فانه بلغ عمر وقتئذ دخول اباد الى بلاد الروم . فكتب الى هرقل « بلغني ان حيا من احياء العرب تركوا دارنا وانوا دارك فوالله لتخرجهم او لتخرجن النصارى اليك » فاخرجهم هرقل وتفرق منهم اربعة الاف فيما يلي الشام (ابن خلدون)

ومنها عندما اسر عبد الله بن حذاقة فانه كتب اليوكا ياتي الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وصلى الله على سيدنا محمد وسلم من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى هرقل طاغية الروم وبعد فاذا وصل اليك كتابي هذا تبعك لي الاسير الذي عندك وهو عبد الله ابن حذاقة فان فعلت ذلك رجوت لك الهدى وان ابيت بعثت اليك رجالاً لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والسلام على من اتبع الهدى (مراسلات افريدون بك)

وكان عمر من اهل النباهة واحكم رجال السياسة وله الفضل الاول في تقدم العرب والاسلام ومن وصاياه على المسلمين الجهاد لاجل الايمان وفي وقت السلام اتباع احدى الحرف الثلاث الزراعة والتجارة والصناعة

وبعد موت عمر اجتمع اهل الشورى وهم علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر للتداول في خليفة جديد وبعد الاختلاف ونحوه انتهى الامر باقامة عثمان بن عفان . فانهم كانوا تركوا الحكم في الاختلاف الى عبد الرحمن وهذا بدسائس عائشة سي عثمان لانها كانت تكره علياً ثم مد كل واحد منهم يده وباع عثمان الاعلى . فقال له عبد الرحمن يا ابن ابي طالب من لا يتم بقوله كان اول من كابد غائلته . فد علي يده وباع عثمان وقر السلام

وافتح عثمان خلافة بعزل عمرو بن العاص الذي كان قد فتح اكثر سورية وكل مصر وبعض اماكن الفرس والاعنياض عنه بعبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري اخي عثمان رضاعاً . وكان عبد الله هذا اولاً كاتب الرسول وفرض عليه حفظ القرآن فاراد ان يحرف المتن فعرف الرسول ذلك وطرده فذهب الى مكة واخذ يتكلم عليه . ولكنه حضر عند ما استولى محمد على مكة وانطرح على قدميه وطلب منه العفو فثاله وليت مسلماً غيوراً وبعد من اعظم فرسان بني قريش

فصل

في الربع الثاني من القرن الاول

ثم جهز عثمان عبد الله بن سعد المقدم ذكره باربعةين الفاً وذهب الى مصر وتقدم من هناك بعسكره الى جهات المغرب لفتح الاماكن التي من النيل الى البحر في افرقية فسار في قفر البلقاء

العظيم وبعد مشقات عظيمة وصل الى نواحي طرابلس (سنة ٦٤٦ - ٢٦) وكانت قد اجتمعت الى هناك شعوب البلاد باموالهم ونازل عساكر الروم وظنرهم على الساحل . ثم قدم البطريق غريغوريوس (جرجير) الذي كان والياً على تلك الاقطار التي بين طرابلس وطنجة من طرف هرقل ملك الروم ومعه مائة الى مائة وعشرين الفا وعدد غفير من الاهالي وتجدد القتال ودام اياماً متواليها كل يوم من الصباح الى الظهر اذ ينكثون عند اشتداد الحر . وكان لغريغوريوس المذكور بنت ذات جمال بارع وجراءة عظيمة وكانت تصحب اباها الى الحرب وقد تعلمت من صغرها رشق السهام وركوب الخيل وضرب السيف وكانت تتميز عن غيرها اباءاً وسلاحاً . فكان ابوها قد وعد بان من ياتي برأس القائد العربي بزوجته بها ويعطيه مائة الف ذهب فعادت شبان افریقیة تتراعى على الموت للحصول على المرغوب ولم يكن يصدح عن ذلك الا حلول الاجل . فالتزم عبد الله بالنهي وترك امرة المجنود لغيره وذلت طلاب حور الجنان امام طلاب حور المكان

ولما طال امر الحرب امر عثمان عبد الله بن الزبير افرس اهل زمانه وهو الذي شاع صيته في فتح مصر فذهب باثني عشر الفا وجاز ارض الاعداء ووصل اخيراً الى العساكر الاسلامية وكانوا يجاربون دون قائدهم عبد الله فصرخ بهم قائلاً . يا قوم ابن اميركم . فقالوا في الخيام . فقال ايلق بقاء المسلمين ان يكون في خيمته وقت القتال . فسمع عبد الله ذلك فخرج والنقاء خجلاً وقص عليه امر تحالف العدو على قتله . فاجابه ابن الزبير ضاحكاً الست انت بقادر على تدارك نفس الحيلة بان تعد هذا الوعد الذي منادياً على رجالك ان من ياتي براس جرجير فله بنته ومائة الف ذهب . فقال ابن سعد دبر انت ما بدا لك . ففعل ابن الزبير وكان النصر عن يده . فانه امر في اليوم الثاني فخرج قسم من عساكر المسلمين للقتال وشغلوا العدو الى الظهر ثم صار الانفصال كالعادة ورفعت لجم الخيل ونزع الملبس الحريرة . وبينما عساكر الروم تاخذ راحتها اذا بابن الزبير امر برفع الوية القتال فخرجت الجنود المستريحة وصدمت العدو على غفلة صدمة قوية فهزمت بها عساكر غريغوريوس واخذت راسه واسرت بنته الجميلة وهربت رجاله شتيتاً الى سبيطله وهي مدينة على جانب منحدر في وسطها جدول ماء وعلى جوانبها اشجار اللبان وبها من الآثار ما يدل على عظمة الرومانيين وتبعد عن قرطاجنة نحو مائة وخمسين ميلاً . وحاصر ابن ابي السرح سبيطله ففتحها وكانت سهم الفارس فيها ثلاثة الاف دينار وسهم الرجل الف . وبث جيوشه في البلاد الى قنصة فسبوا وغنموا وبعث عسكراً الى حصن الاعم وقد اجتمع به اهل البلاد فحاصره وفتح بالامان

وقرطاجنه في مدينة بناها اهل فينيقية فنجحت حتى كانت اول مدينة بحرية واغنى مدن العالم وكانت قبضة رومها اعطى مدة مائة سنة الى ان احرقها شيبون القائد الروماني . ولهر الرومانيين

منها بسبب ما سلك بها من دماء رجالهم حلفوا على اقامتها خربة ولعنوا كل من اقام بها حجراً على حجر ثم اعادوا بناءها هم انفسهم . ثم فتحها (الوندل) . ثم الروم . ثم العرب . ثم خربت اصالة الى الان ولم يبق منها الا آثار قليلة لا تذكر . والسياح مع كل بجنهم لم يجدوا اثراً بقرب تونس لتلك الاسوار المثلثة والقلاع العالية والقشل الفسيحة والاسطبلات العظيمة التي كان يابى اليها مائة الف فارس وثلاثمائة فيل . حتي ولا لذلك السور العجيب المحيط بالميناء الداخل حيث كانت ترسو السفن العديدة فانه في سفر اميلاقوس الى حرب سيراكوسه سار منها الفاً سفينة حربية وثلاثة الاف للموسق وكانت كما ذكر المورخون تشمل على ستمائة الف من السكان . وبعد فتح العرب حصن الاجم عاد الافريقيون يتواردون من كل المعاملة فبعضهم لطلب الامان ودفع الجزية وبعضهم للدخول في الاسلام

ومنع العرب من التقدم الى قرطاجنة موت كثير منهم بالحرب والنصب والمرض فقفلوا الى مصر بالغنائم والاموال والاسارى بعد ان غابوا عنها خمسة عشر شهراً . وكانوا قد صالحوا اهل افريقية على مليونين ونصف مليون دينار وبعد ان رفعوا الخمس لبيت المال فرقوا الباقي على العسكر كل ذلك ومقاتل غريغوريوس لم يحضر لياخذ جزاءه مائة الف ذهب فظن انه قتل لولم يتبينه عويل البنت فاذا بوابن الزبير نفسه فعرضوا عليه الجزاء وزواج البنت فابي قائلاً اني وقتت سبني لخدمة الدين منتظراً جزاء اعظم من المال ومن جمال امراة فارسلوه حيثنذر بشيراً الى عثمان بنصرم وارسلوا معه المال خمس مئة الف دينار

ولما فتحت افريقية امر عثمان عبد الله بن نافع بن الحسين بان يسير الى جهة الاندلس فغزا تلك الجهات وعاد الى افريقية فاقام بها من طرف عثمان ورجع عبد الله بن سعد الى مصر واستاذن معاوية (سنة ٦٤٧ - ٢٧) عثمان بن عفان ان يغزو البحر فاذن له فسير معاوية جيشاً الى قبرس وسار اليها ايضاً عبد الله بن سعد من مصر واجتمعوا وقاتلوا اهلها ثم صولحوا على جزية قيمتها سبعة الاف دينار كل سنة . وفي سنة (٦٥٠ - ٤٠) امر عثمان باعتماد القران للذي كتب في عهد ابي بكر واحرق ما سواه من النسخ وكان مودعاً عند حفصة زوج الرسول . . . وفيها سقط خاتم النبي من يد عثمان في بئر يسمى بئر اريس وكان من الفضة من ثلاثة سطور «محمد» ثم «رسول» ثم «الله» وكان يتختم بويختم الكتب التي كان يرسلها الى الملوك . ثم ختم بويختمها ابو بكر ثم عمر ثم عثمان . . . (وفي سنة ٦٥٢ - ٢٢) عصت خراسان فركب عليها المسلمون وفتحوها

ثانية

هذا وعثمان اصبح ممقوتاً من المسلمين وكثرت اضداده اولاً لانه كان يبدد اموال بيت مال

الامة وبصرى لها لاصحابها واقربائهم ولما وصل مليل افريقية ومعه لمروان بن الحكم كاتبه وقد انكروا ذلك عليه . فقال ابن خلدون . الناس يقولون اعطاه اياه ولا يصح وانما اعطى ابن ابي السرح خمس الخمس من الغنم الاولى . قلت وقد تحصل من ذلك غنمة ثمانية لعمان . ثانيا لاجل ادخال الاسراف في نفوسهم نظير ملوك الفرس . وقبل لانه كلث يتناول المسكرات . ثم لاجل عزله اهل الاستحقاق من الولاية واقامة غريم من لا استحقاق لهم من مقربيه . وقد اثموا بالخديعة في امر ابن ابي السرح عندما عزله وولي محمد بن ابي بكر . وذلك انه لما اضطر عثمان الى عزل المذكور عن مصر وتولية محمد عليها ذهب محمد ومعه عدة من المهاجرين والانصار الى مصر فالتقوا في طريقهم بعبد على هجين بجدة فسالوه الى ابن فقال الى العامل بمصر فقالوا له عامل مصر هنا وأشاروا الى محمد فقال العبد بل العامل الاخر ففتشوه ووجدوا معه كتابا الى ابن ابي السرح مخنوما بختم عثمان يقول فيه . اذا جاءك محمد بن ابي بكر ومن معه بانك معزول فلا تقبل واحمل بتعلم وابطل كتابهم . فرجع محمد ومن معه الى المدينة واطلعوا اصحابهم على الكتاب فسالوا عثمان فاقربان الختم ختمه والخط خط كاتبه مروان فطلبوا منه ان يسلم الكتاب فاني فتمضوا عليه وحاصروه في قصره وكان كل ذلك يعلم عائشة لانها كانت ترغب اقامة غيره من اصدقائها الا ان عليا والزبير وطلحة ارسلوا اولادهم للذب عنه وذهب علي نفسه الى داره ودافع عنه وهزم اعداءه ثم عاد فعادوا ودخلوا دار عثمان ونهبوها وهو في الغرفة الاخيرة ثم قبض عليه محمد اخو عائشة وتناوله لمحبته وطعته بخنجر في صدره فركضت هند زوجته للدفاع عنه فجاءها ضربة قطعت لها اصبعين . وتوفي عثمان (سنة ٦٥٥ - ٢٥) وهو يتلو المصحف صائما وعمره من خمس وسبعين الى اثنين وثمانين سنة وخلافة ثنتا عشرة سنة

وبعد موت عثمان تجدد النزاع على الخلافة فكان عرب المغرب يريدون الزبير وعرب الشام معاوية بن ابي سفيان والمكيون محمدا اخا عائشة وبعضهم طلحة صديقها ولكن الحزب الاقوى كانوا يريدون علي بن ابي طالب فلبس علي رداء من قطن رفيع واعتم حاملا نعليه في البدن الواحدة موقوسة في الاخرى وذهب الى المسجد الجامع وبايعه الجميع وبايعه طلحة والزبير . وقد لاحظ العرب ان الزبير لما مد يده لبيعة علي لم يعطها كاملة فقالوا رضاه كان كيد . ناقصا

ثم شرع طلحة والزبير في التجريب ضد علي وذهبا الى مكة ثم الى البصرة وعصيا عليه ونسلا على العراق وكانت عائشة من حزبها واتهمت عليا بانه قتل عثمان وقد كانت في السبب في ذلك ثم لحقت بالزبير وطلحة واخذت لها حزبا لانها ام المؤمنين قال بعض الحكماء اذا اردت ان تعلم

الى اي حد يتوصل الانتقام البشري فعليك فخص قلب المرأة

ولما رأى عليّ ذلك نهض وأخذ صعبته عشرين ألفاً من حزيو وتسعة آلاف من الكوفة ومضى في طلب العصاة والتقى بهم عند البصرة واقتتلوا شديداً فظفر عليّ عليهم مع وفرة عديم وقتل طلحة وهذا بعث الى عليّ قبل موته رسولا يقول له «ثق فاني اموت موقناً ببرأة شانك» ولما اخبر الرسول عليا بذلك صرخ قائلاً «ان الله لم يشأ ان يدعو طلحة اليو الا بعد العفو عن ذنبه» اما عائشة فلم تزل تصرخ وتشدّد العساكر وهي راكبة على جمل وحوماً سبعون نفرًا تسوسه وأيدي عديدة قطعت على خطام الجمل . ثم امرم عليّ بقتله فقتلوا وبقيت عائشة في هودجها الى الليل فادخلها اخوها محمد البصرة وطاف عليّ على القتلى من اصحاب الجمل وصلى عليهم ودفنهم ولما رأى طلحة قتيلاً قال والله اني كنت أكره ان ارى قريشاً صرعى وانت والله كما قال الشاعر

فتى كان يدينو الثني عن صديقو اذا ما هواستغنى ويبيعه ذو الفقر

اما الزبير ففرّ طالباً المدينة فقتله عمرو بن جرموز واني براسو الى عليّ ثم أرسلت عائشة الى المدينة لتصرف باقي حياهم في جوار قبر الرسول ودعي ذلك اليوم يوم الجمل وامام معاوية بن ابي سفيان فلم يقنعه ذلك وبقي يحزب العرب على عليّ وشيع بائه هو الذي قتل عثمان وامريوتاً وهو في جامع دمشق الاكبر يحضر غفير من المسلمين فجاءوا بقميص عثمان مخضباً بدمو واصبعي هند زوجته واخذ يقول «انظروا يا مومنون افعال عليّ بن ابي طالب فاي مسلم لا يتهمس لاخذ ثاره» ويمثل هذا كان يهيج عرب الشام فمضوا لاخذ النار والتقى العسكران في صفين (وهي بلدة ما بين دمشق والعراق على جانب الفرات الغربي) واستمر القتال مائة وعشرين يوماً وكان عمرو بن العاص من جانب معاوية املاً في ان يرده والياً على مصر . واراد معاوية ان يستجلب اليو نفيس بن سعد العامل من قبل عليّ على مصر وقتله فابى فزور عن لسانه كتاباً يخدع به اهل الشام فيشددون في مضادة عليّ وقيل انه جرى بينهم تسعون موقعة وقتل من الفريقين نحو سبعين ألفاً وكان عليّ كما قال عنه ابن عباس شجاعاً لكن ليس بصاحب رأي فكان يمتاز عن معاوية جراءة وانسانية واوصى عسكره بان يحترقوا قتلى اخوتهم ويعفوا ما امكهم العفو وفي الموقعة الاخيرة امتطى عليّ جواده وتقدم امام العسكر واستل سيفه ذا القنار الشهير في تاريخ العرب وشق عساكر الشام وكان كما قيل كلما قتل رجلاً كبيراً وقد جمع لتكبيره نحوار بعامة مرة قلت لعل في ذلك مبالغة ولا شك انه يوجد من المبالغات في كل تاريخ اقدام ما يجعلنا احياناً نشك في اصل الاخبار ذاهباً . فهم وقتئذ معاوية ان يفر ولكنه تبعاً لرأي عمرو بن العاص فزع الى استعمال الحبل وخلص نفسه بتشر المصاحف في مقدمة الجيش اشارة الى طلب المهادنة . فكفّ عليّ عن القتال وعقد الهدنة ومن هناك عاد الى

الكوفة ظافراً بالمجرب ولكنه صريح السياسة وليث معاوية يحرك العجم واليمن ومصر ضد عليّ
وبينا يتحاربون المسلمون يوماً في ما هو جارٍ من الشقاق والدمار في الامة حكماً ان لاراحة الا
بقتل عليّ ومعاوية وعمرو وكان من جملة المحاضرين بعض الخارجيين فجرد منهم ثلاثة وهم عبد
الرحمن بن ملجم المرادي وعمرو بن بكر والبرك بن عبد الله التميميان من شعبة كانت قد ظهرت
من ثلاث سنوات ضد الخلافة مبادئها الحرة. وذهب كل منهم لواحد من الثلاثة المذكورين فالذي
تجرد لقتل عمرو بن العاص قتل نائبه الجالس عنه يومئذ. وقاصد معاوية جرحه فقط جرحاً خفيفاً
اما الثالث وهو قاصد عليّ فقتله وعمره اذ ذاك ثلاث وستون سنة وهي السنة الاربعون من الهجرة
والسماية والستون من الميلاد. ولما مات عليّ اخرجوا ابن ملجم من الحبس وقطعوا يديه ثم رجليه ثم
كحلوا عينيه بمسارحى وقطعوا لسانه ثم اُحرق. وقد رثى عمران بن قحطان الخارجي ابن ملجم المذكور
والمسلمون يلعنون الاثنين قال

لله در المرادي الذي فتكت كفاؤه مهجة شر الخلق انسانا
باضربة من وليّ ما اراد بها الا ليلغ من ذي العرش رضوانا
اني لا ذكروه يوماً فاحسبه اوفى الخلقة عند الله ميزانا

وهذه الشيعة من الخوارج كانوا اشبه بكون فرس الاخير وعليّ كان من الشعراء المفلّحين
والابطال الفائقين والعلماء المفلّحين وهو اول من اهتم بوضع روابط للغة فارابا الاسود ففعل ودعي
ذلك نحو اي قصد اشارة الى قصد امير المؤمنين عليّ

وذو الفقار هو احد السيوف الخمسة الشهيرة عند العرب المداة على زعمهم من يلقيها الى الملك
سليمان بن داود وهي ذو الفقار. وذو النون. والخذم. والرسوب. والضمصامة. وذو الفقار كان عند الرسول
الهدية من منبه بن حجاج في غزوة بدر. وذو النون والضمصامة انتقلا الى عمرو بن معدي كرب. والخذم
والرسوب الى الحارث بن جبلة بن الاهيم الغساني. وذكر ابو عبيدة ان الضمصامة انتقل الى خالد بن
سعيد بن العاص وذلك لما اغار خالد بن الوليد بن زبيد وكان ابن سعيد من جملة الامراء مع
خالد وقد اسر حينئذ ريمانة اخت عمرو بن معدي كرب فكان فداها الضمصامة ثم ضاع في اليوم
المعروف بيوم الدار وهو اليوم الذي فيه قتل عثمان في داره ثم وجد وبقي في ايدي بني العاص الى
ان جلس المهدي ابو هرون الرشيد على تخت الخلافة فكتب الى بني العاص يطلبه فاجابوه انه
محموظ عندهم لاجل الجهاد في سبيل الله فارسل اليهم المهدي كتاباً ثانياً في طلبه وخمسين سيقاً عوضه
قائلاً ان الجهاد بخمسين سيقاً اولى من واحد فبعثوه اليه. ولما نهض موسى الهادي اخوه هارون
اخرج السيف من الخزنة وامر الشعراء بوصفوه ففعلوا ومن ذلك قول بعضهم

حاز مصامة الزبيدي عمرو من جميع الانام موسى الامين

ما يبالي من اتضاء لضرب اشمال سبط يو ام بين

ولم ينزل الصمصامة ينتقل من خليفة الى اخر في بني العباس الى عهد المتوكل وهذا اعطاء الى غلام تركي وهو الذي قتله فيما بعد من ثم تداولته ايدي سبا ولا يعلم ما حل به بعد ان صار تركيا واما بقية السيف فلا خبر عنها سوى ان ذا الفقار المار ذكره كان عند علي بن ابي طالب وعمر بن معدي كرب بن عبد الله الزبيدي المكي بابي ثور له غارات كثيرة ووقائع وافرة واسلم عن يد الرسول وهو راجع من غزوة تبوك وعاش الى دهر عثمان وكان علة لا تتصارح الاسلام في غزوات كثيرة منها وقعة القادسية ووقعة يرموك . وثقل المدايني ان عمرا في بعض غزواته مع سليمان بن ربيعة امير الجيش قال له سليمان وقد نظرفرسه يا عمرو ان هذا الفرس هجين فقال عمرو ولا بل عتيق فاراد سليمان بن ربيعة اثبات هجتو فاتي بزردية وملاها ماء وعرضها على بعض العتاق فشربت بلا توقف فعرصها على فرس عمرو فرفع يده وضرب بها الارض ثم شرب فقال سليمان يا عمرو هذه علامة الدرس الهجين فان فعل عمرو وقال والله لا يعلم الهجين الا الهجين . فتكدر سليمان من جوابه ووصل الخبر الى عمر بن الخطاب فامر ان يكتب لعمرو على هذا المعنى « لقد بلغني تطاولك على امير جيوش الاسلام واغترارك بسيفك الصمصامة فاعلم ان سفي مويد من لدن الله تع ان جعلته على فرق راسك قطعك نصيون الى وسطك فان اردت ان تعلم حقيقة ذلك فاعد ما قد قلته » (والهجين من الخيل ما كان في نسيه هجنة اي عيب والعتيق الخالص النسب الخالي من العيب والنقص)

وتأمل علي في جامع الكوفة ولهذا يظن انه دفن هناك فاخفى قبره عن بني امية وقتل ولم يظهر الا فيما بعد مدة طويلة فاقام على خراب الكوفة ججرة وجانيح وبلدة تدعى مشهد علي . والهاجج اتباعه من العجم قاطنين بانة خليفة الله ويعتبرون الحج الى مشهد كالحج الى الكعبة ومن هذا جاء الاختلاف بين السنة والشيعة فان الشيعة لا يسلمون الا بخلافة علي وبلغنون الخلفاء الثلاثة الاولين ويقولون بكرامة قاتل عمر ويرفضون ما نقلوه عن الرسول وما اوصوا به المومنين وهم السنة اما السنية فيقولون بحجة خلافة الجميع دون فرق ويعتقدون بضرورة السنة وفي الحديث النبوي والمحدثون عن الرسول سنة اوائل وهم عائشة ام المومنين زوج النبي بنت ابي بكر وابو هريرة جديقة الخاص ولين عباس بن عوف وعمر امير المومنين وجعفر بن عبد الله بن ابي طالب وقد جمع ذلك كله الزميري في الملة من الهجرة في كتاب يدعى الخالص وكان يقطن دمشق وحجة المنقول

عن النبي ما اجمع الجميع على صدق خمسة الاف وستون حديثاً

وبعد موت علي بن ابي طالب خلفه ابنه الحسن ولقب بالامين لتفضيله الامان في المسلمين على خيرة نفسه . وقد كان ميل اولاً الى اخذ النار من معاوية وعزله عن دمشق لولا تذر العساكر من طول الحرب والشتاق في الامة حتى ان احدهم جرحه بيده اليسار لكي يعدل عن ذلك فخلع نفسه عن الخلافة مفضلاً السكينة بقرب قبر الرسول على الإقامة بصروح الكوفة . ومن بعد ذلك دامت الخلافة لبني امية اعني لبني ابي سفيان الذي كان يجارب النبي وعادت ارضية فيهم غيب ان كانت شوروية وكان الحسن تقياً عادلاً صنوحاً حتى انه عفا عن الذي سقاه السم بامر معاوية ولم يحب فضيحة مع المحاح حزبه عليه ليشتموا منه . فكان يقول لم يا اخوتي الحيوة الدنيا فانية فدعوا الخائن يستريح قلباً فاننا سوف نلتقي في حصرة الله تعالى وهناك يجازي على عملو . والحسن تزوج نساء كثيرة . وكان مطلقاً وقد سقته السم زوجته جمدة بنت الاشعث باغراء معاوية وقيل ولده يزيد فانه وعدها بانه يتزوج بها ففعلت ولم يفعل ومات سنة ٤٩

ثم انفذ معاوية الولاة والعمال فبعث الى الكوفة المغيرة بن شعبه وهذا استعمل كثير بن شهاب علي الري وكان يغزو الديلم وولي على البصرة بسر بن اوطاة ثم عزله وولي ابن عامر وجعل ائيو معها خراسان وسجستان سنة ٤١

وكان قد ولي على خراسان قيس بن هيثم السلمي وكان اهل بلخ وباذغيس وهرات وبوشنج قد نهضوا فصار الى بلخ وحاصرها حتى استامنوا . ثم قدم قيس على ابن عامر فضربه وسجده وولي عوضه عبد الله بن حازم وولي على المدينة سنة ٤٢ مروان ابن الحكم وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام وكان زياد بن سمية بنارس فامتنع ولم يخضع لمعاوية فصالح بينها المغيرة وعاملة معاوية بالرفق وحاسبه على مال البلاد بموجب قوله وقيل انه صالحه على الف درهم

واستعمل ابن عامر على الثغور فجعل عبد الرحمن بن سمرة على سجستان وكانوا قد رجعوا عن الاسلام فحاربها وفتح اكثرها حتى بلغ كابل وحاصرها اشهرًا وركب عليها المتخيفات وثلث ثغورها ودخلها عنوة . ثم الى «نسف» فلما عتوقه ثم الى «حسك» فصاحوه ثم الى «الرجج» ففتحها ثم الى رابستان وهي «غزنه» واعمالها ففتحها ثم عاد الى كابل وقد نكث اهلها ففتحها واستعمل على الهند عبد الله بن

سوار المصدي فغزا «التيهان» وغنم واهدى معاوية من خيولها ثم غزا «ثانية» واستنجد بالترك فقتل ثم اقام عوض بن هيثم عبد الله بن حاتم فخاف قيساً فبعث رجلاً من «يشكر» وقول اسلم بن زرعة الكعاني ثم بعث عبد الله بن حاتم

ثم وجد ابن عامر ليتاً على السفن فعزل وولى مكاة الحارث بن عبد الله الأزدي . ولما استلحق معاوية زياداً سنة ٤٤ ولاة على البصرة وخراسان وسجستان ونحوها وولى زياد خراسان لاربعة فاقام امين بن احمد اليشكري على مرو . وخليد بن عبد الله الحنفي على نيسابور . وقيس بن الهيثم على مرو وروز والعاريات والطالقات . ونافع بن خالد الطاحي على هراة وباذغيس وبوشنج

وبعد ان استوثق الملك لمعاوية م على اكمال فتح افريقية والركوب على القسطنطينية وكان الافريقيون انفسهم قد دعوه اليهم لما كانوا يحملون من جور بطربرك قرطاجنة وكان يسوسهم في الزمانيات ايضاً . واول قائد توجه من طرف معاوية الى افريقية هزم عسكرياً من ثلاثين الفا من الروم واسر منهم ومن الاهالي ثمانين الفا واغنى عساكر الشام ومصر من المكسب . اما لقب فاتح افريقية فقد حق لعقبة بن نافع فان هذا الامير ترك الشام بعشرة الاف وبعد ان جمع الوقا من الافريقيين انفسهم سار نحو البحر المتوسط ولا يعلم اي طريق اتخذ وقاد به عساكره ولعله طريق طنجة وهي التي كانت العرب تقول عنها لغناها ان اسوارها من حديد واغالي ابنتها الشاحمة من الذهب والفضة وانه تقدم من هنالك قاطعاً الفنا حيث اقام خلفاؤه بعده مدينتي فاس ومراكش ووصل الى ساحل المحيط (سنة ٤٥ - ٦٦٥) وقابل هنالك بجواده تلك الامواج المتعلجة صارخاً بصوت عال « والله العظيم لولا هذا البحر الواسع المظلم لسرت الى ممالك المغرب وناديت بوحدة الله القدوس وقتلت بحد السيف العصاة التي تسجد لغيره نع » لكث مع كل هذا الادعاء لم يقدر على ضبط عساكره في الاماكن التي فتحها وتركته السودان والام التي كانت قد انضمت اليه ووجد نفسه اخيراً محاطاً بقوم خائنين وجرع كأس المنية مكرهاً واخر موقعة في حياته كانت نموذجاً شريفاً لكرم طباع العرب وذلك انه كان قد قبض على احد القواد الذي كان ينازع عقبة على الامارة وجمي به الى عقبة فظن العصاة من الجنود ان القائد المذكور لبغض عقبة يوافقهم لاريب على قتله ففانحوه بذلك اما هو فغضب ورفض طلبهم واعلم به خصمه فامر عقبة ان يحمل من قيوده في الحال ويترك سبيله اما ذلك الامير فاني الذهاب مفضلاً ان يموت معه وحينئذ تصافحا وتلاثما وودع احدهما الاخر وانتضيا سبيلهما واوقعا بالعصاة المتحالفين وبعد ان اثخنهم وقعا مجتدين وقام بعد عقبة ابن الزبير وهو اخذ بشار سالتو ثم لاقى ما لاقاه لان السودان كانوا يتفقون مع العرب ويدعونهم ما وجدوا لم يجدوا رجعوا الى عوائدهم ودينهم وغدروا بالمسلمين

وعقبة هو الذي بني القبروان (سنة ٦٧٠ - ٥٠) في واسط افريقية نحو خمسين ميلاً عن زويله وبرقه واقام لها سوراً من الآجر دائره ثلاثة الاف وستمائة خطوة وبنى في خمس سنوات عمراً عظيماً واقام بها جامع كبير على خمسمائة عمود من الكرانيت وصارت كرسى الملك والعلوم وهي الان

بعد انحطاطها تعتبر المدينة الثانية في اماره تونس

وولي معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان فقطع جيحون الى سمرقند والصغد وهزم الترك وسار الى ترمذ وقبضها بالامان ومعه قتل قثم بن عباس ودفن بسمرقند ومات اخوه عبدالله بن عباس فدفن بالطائف واخوهما الفضل بالشام ومعبد باغريقية فحضر المثل ببعد مدافن هذه الاخوة الاربعة

ودخل المسلمون (سنة ٤٢) الى بلاد الروم فهزمهم وقتلوا جماعة من البطارقة ثم دخل بسر بن اوطاة ارضهم (سنة ٤٣) وبلغ القسطنطينية ثم دخل عبدالله بن خالد وكان على حصن فشنى بهم وغزاهم بمرتلك السنة بجزيرة ثم دخل اليها عبد الرحمن السبيعي (سنة ٤٦) فشنتي بها وشنتي ابوه على انطاكية ثم دخلوا (سنة ٤٨) فشنتي عبد الرحمن بانطاكية ودخل عبدالله بن قيس الفزاري في تلك السنة بالصائفة وغزاهم مالك بن هيرة الشكري في البحر وعقبة بن عامر الجوهني في البحر ايضا باهل مصر واهل المدينة ثم دخل مالك بن هيرة (سنة ٤٩) فشنتي بارض الروم ودخل عبدالله بن كرز الجبلي بالصائفة وشنتي يزيد بن ثمره الرهاوي في بلاد الروم باهل الشام في البحر وعقبة بن نافع باهل مصر كذلك

ولما نظر المسلمون امتداد قوتهم وان لاشي يقدر على مقاومتهم سير معاوية (سنة ٦٦٨ - ٤٨) وقيل (سنة ٦٧٠ - ٥٠) جيشا كثيفا الى القسطنطينية مع سفيان بن عوف فاوغلوا في بلاد الروم واثبتوا الحصار على المدينة وكان في الجيش ابن عباس وعمرو بن الزبير وابو ايوب الانصاري الذي شهد بدرًا وأحد وحرب صفين وتوفي في مدة الحصار ودفن بقرب سور القسطنطينية وبعد ان صدموا المدينة عدة مرات لم يقدروا على شي بل هزمهم الروم بجراءة وعربست النار الاغريقية حركاتهم فكانت تخرج من فوق ومن تحت الما وكان معهم يزيد بن معاوية وقد اصابهم الجوع والمرض فانشد في ذلك وبلغ معاوية

ما ان ابالي بما لاقت جموعهم بالندفد اليد من حى ومن شوم

اذا انطأت على الانماط مرتقيا بدبر مران عندي ام كلثوم

وام كلثوم امراته بنت عبدالله بن عامر ثم رجع يزيد والعساكر الى الشام

والنار الاغريقية التي فقدت الان قبل ان الذي اخترعها كان كاليينيكوس من اليا بولس الشامية لا المصرية فان هذا الرجل خدم في دار القياصرة وكان من المهندسين والكيمييين المعتبرين ودعت الاغريقية لان الاغريق اول من استعمالوها ولم يسمحوا بها لاحد بل حفظوا كل ذلك سرا عميقا ولا كتبوا عنها فعادوا يجهنون عليها فيما بعد قالوا ان النفط احد اجزائها لكنه لا يعلم مقدار ما يوضع

منه مع الكبريت والقطران

وكان يخرج من هذا المركب دخان كثيف ولهب محرق يستمر مدة ولم تكن ترتفع على خط مستقيم فقط بل كانت تحرق على الجوانب والاسافل وكان الماء يزيد ما اشتعالاً جهش ان يطفئها وكان الروم يدعونها النار المائعة والجرية ويستعملونها برًا وبحرًا في الطراد وفي الحصار برميهم لها من فوق السور بالخلاقين والحجار وقطع الحديد والحربات ونحوها ملفوفة بالكثبان المتخس بالزيت وكانوا يضعونها احيانًا في قوارب حديد ويشعلونها ثم يطلقون تلك القطارب فتسير وتحرق اماكن عديدة وكانوا احيانًا يرشقونها بمكعبات حديدية مركزة جاعلين افواه تلك المكعبات كرووس تانين ووحوش ضارية تقذف من اجوافها نارا وكانت موادها محفوظة بكل صرامة في القسطنطينية لا غير ولما كان الروم يقدمون عساكرهم للرومان لم يكونوا يسيحون بسرهما وعند ما سئل قسطنطين فورفرغنيطوس عن ذلك اجاب ان ملاكًا اعلن ذلك السر لرئيس النصارى فلا يقدرون ان يعلموا به احداً وابثت محفوظة هكذا اربعة اجيال الى ان ذاقها رجال معاوية وقيل تعلموها واستعملوها وبقيت هذه النار مستعملة الى الجيل الرابع عشر عند ما اكتشف على البارود المركب عن النطرون والكبريت والنفث وعلى ذلك فيكون اختراعها في الجيل الثالث للنصرانية ولكن لا برهان صريح على اكتشاف العرب لها واستعمالها في حروبهم الا ان يكون ذلك بعد ركوبهم على القسطنطينية وانهم كانوا يستعملونها قليلاً وعلى خفاء ولعل فيما قد جاء من انهم استعملوا النفط وكانوا يحرقون به البلاد اشارة الى ذلك . وهذه اول مرة صادفت عساكر المسلمين صدًا في تقدمهم مدة الخمسين سنة الاولى من حروبهم وقد اراقوا انهمرا من الدم وخربوا مئات من العواصم والمدن والوقا من الدساكر والقرى وهزموا ربوات من الرجال وبتموا ورموا ما لا يعد من البشر والوقا اساس ملك يهدد العالم بأسره بالدمار لاجل الدين اولًا ثم لاجل الدنيا وعند ما دانت لم الممالك وكثرت الغنائم وجزات لم الثروات وجدوا في مداومة الفتح افضل خير وسعة من سكن النار .

فصل

في الربع الثالث من القرن الاول

ولما طرد العرب من امام القسطنطينية التزموا بعقد شروط المهادنة في مجلس دمشق في محضر الامراء الى ثلثين سنة على ان يقدم امير المؤمنين كل سنة خمسين نجيبًا وخمسين حموكا وثلاثة الاف ذهب . وبعد ذلك اراد معاوية ان يقضي بقية عمره بسلام لكنه لم يسلم من تعدي موارنة جبل لبنان مع ان العرب والعجم والهند وافريقية كانت ترتعد من ذكره فكانوا يصلون بغزواتهم الى

ابواب دمشق وصلوا سنداً قوياً للملوك الروم الى ان اساموا معاملتهم ايام فاضل سلاهم وقتلهم الى مكان ثان

وتوفي معاوية (سنة ٦٨٠ - ٦٠) وعمره بين السبعين والخمسين وكان عندما ثقل مرضه وعاده الناس يظهر تجلده وقد قال

وتجلدي للشامتين اريهم اني لربب الدهر لا انضضع
واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل نعمة لا تنفع

وكان معاوية ملكاً عادلاً حازماً داهية عالماً بسياسة الملك وكان اول من استعمله على الشام عمر بن الخطاب مدة اربع سنين واقامه عثمان مدة خلافتي اثني عشرة سنة ثم تغلب عليها محارباً عليها فكان اميراً وملكاً اربعين سنة وخلافتي نحو تسع عشرة سنة وكان ملكاً قاهراً افضى وجوده غالباً منة وما ثقل عنه في تاريخ القاضي جمال الدين بن واصل ان اروي بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة فقال لها معاوية مرحبا بك يا خالة كيف انت . فقالت بخير يا ابن اخي لقد كثرت النعمة واسأت لابن عمك الصعبة وتسميت بغير اسمك واخذت غير حقك وكنا اهل البيت اعظم الناس في هذا الدين بلاه حتى قبض الله نبيه مشكوراً سعيدة مرفوعة منزله فوثبت علينا بعدة تيم وعدى وامية فاهتزونا حقنا ووليم علينا فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون وكان علي بن ابي طالب بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى فقال لما عمرو بن العاص فاتح مصر « كفى ايها العجوز الفضالة واقصري عن قولك مع ذهاب عهلك » فقالت « وانت يا ابن النابغة تتكلم وامك اشهر بني مكشور اخصن اجرة وادعاك خمسة من قريش فستلت امك عنهم فقالت كلهم اتاني فانظروا اذبيهم يا فالحقوة يا فقلب عليك شبه العاص بن وائل فالحقوك يا . . . فقال لها معاوية عفا الله عما سلف ماتى حاجتك . فقالت اريد اني دينار لا اشتري بها عينا فواره في ارض خراة لتكون لفقراء بني الحارث بن عبد المطلب والي دينار اخرى ازوج بها فقراء بني الحارث . والي دينار استعين بها على شدة الزمان . فامر لها معاوية بسعة الاف دينار

ومعاوية اول من بايع ولده ووضع البريد وعمل المقصورة في المسجد وخطب جالسا قالوا ولما عهد لولده يزيد بايعة اهل الشام والعراق وكان مروان بن الحكم واليا في الحجاز فاصب مبايعة فامتنع الحسين بن علي وعبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الله بن الزبير في المدينة وامتنع الناس لامتناعهم فحضر معاوية بالف فارس وكلم عائشة في امرهم فبايعة الناس الا الاربعة وما آخذوا هو معاوية استلحقه زياد بن سمية جارية الحارث بن كلفة القتيبي التي كان قد زوجها

المحارث بعبد له رومي يسمى عبيدًا وولدت سمية زيادًا على فراشه وهو ولد عبيد شرعًا وقد الحقت معاوية بنسب بني أمية (سنة ٤٤) وذلك لأن أبا سفيان (أبا معاوية) كان قد سار في الجاهلية إلى الطائف ونزل على خمار يدعى أبا مرهم فأتى له أبو مرهم بالجارية المذكورة وقيل أنها علفت منه بزياد وولدت في أول سنة من الهجرة. ونشأ زياد فصيحًا خطيبًا وحضر زياد يومًا بمحضر من الصحابة في عهد عمر الفاروق فقال عمرو بن العاص لو كان أبو هذا الغلام من قريش لساق العرب بعصاه فقال سفيان لعلي بن أبي طالب أتني أعرف من وضعه في رحم أمي فأجابه علي فما يمنعك من استحقاقه قال أخاف من الأصلع أي عمر ثم وقعت الصلبة بين زياد المذكور وأبي المغيرة ولما ولي علي استعمل زيادًا على فارس فقام بولايتها أحسن قيام ولما سلم الحسن الأمر إلى معاوية امتنع زياد بفارس ولم يخضع للمعاوية وأم ذلك معاوية وخاف أن يدعو إلى أحد من بني هاشم ويعيد الحرب وكان معاوية قد ولي المغيرة بن شعبة على الكوفة فاستمال المغيرة زيادًا وأقنعه بالقدوم على معاوية ففعل وبايع معاوية فاستلحقه معاوية وخالف بذلك الشرع وقول الرسول «الولد للفراش وللعاهر الحجر»

ولقي بشهود النسب من حملتهم أبو مرهم الخمار ثم ولأه البصرة وإضاف إلى خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان وقدم زياد (سنة ٤٥) البصرة فسدد أمر السلطنة وأكد الملك لمعاوية وجرد السيف وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة فحافه الناس خوفًا شديدًا ثم ولأه الكوفة عند موت المغيرة فترك البصرة وحضر إليها واستناب سمرة بن جنوب وكان سفاكًا نظيره. فكان زياد يقيم نصف سنة في الواحدة ونصفًا في الأخرى وهو أول من سهر بين يديه بالحراب والعمد واتخذ الحرس خمسمية لا ينفارقون مكانه. وقد ساء هذا الاستلحاق لزياد بني أمية فإن زياد بن عبيد الرومي صار من بني أمية بن عبد شمس بن مناف بن قصي وقد قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك آياتًا منها

الا يبلغ معاوية بن صفير لقد ضاقت بما تاني البدان
انغضب ان يقال أبوك عفي وترضي ان يقال أبوك زاني

قال القاضي جمال الدين بن واصل «أربعة خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة وهي: الأخذ بالخلافة بالسيف واستخلافه ابنه يزيد وكان كبيرًا. وإدعائه زيادًا وقد قال الرسول صلعم الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقتله حجر بن عدي وأصحابه» وكان حجر من أعظم الناس نعيًا في الإسلام

ولما نهض يزيد بن معاوية على تخت الخلافة ظهر الحسين بن علي بعد رجوعه من جهاد برزخية

يريد اشارة المؤمنين هو ايضا مسندًا على قائمة ارسلت له من الكوفة الى المدينة فيها مائة واربعون الف اسم اصحابها متجردون للقيام معه حالما يصل الى الفرات . فهو دوت . يذعن لمشورة اصحابه ركب وتجاوز القنار ولما وصل الى العراق عرف حينئذ سوء رايه وثقته بقوم خدعة وكشابات انزال الزمان اذ وجد نفسه متروكًا منهم وحوله خمسون الف فارس من الاعداء يسدون عليه المنافذ وقبل اربعة الاف فارس واذا راي نفسه في سهول كربلاء مع اثنين وثلاثين فارسًا واربعين نفرًا من اصحابه طلب الى عمر بن سعد اما ان يمكن من العود من حيث اتى واما ان يجهز الى يزيد بن معاوية او يترك لان يلحق بالثغور . فكتب عمر الى ابن زياد عامل يزيد يساله ان يجاوب الحسين الى احد هذه الامور فاغناظ بن زياد وارسل الى عمر بن سعد مع ثمر بن ذي الجوشن يقول له . اما ان تقاتل الحسين وتقتله ونظام الخيل جثته او تعزل ويكون الامر لشمر . فعول عمر بن سعد على قتاله وارسل اليه قائلاً تقدم خاضعًا كاسير ومذنب او تحضر لما تكون عاقبة العصاة فاجابة الحسين انتظن انك تخوفني بكلامك ورجع بهم تلك الليلة بترتيب اموره واسلم امره لله نع وكان يعزي اخيه فاطمة التي كانت تنوح على اقراض اهلها ونشتهم بقوله يجب ان تتكل على الله نع وحده فان كل ما في السماء والارض زائل راجع اليه فابى واخي واخي كانوا افضل مني وموت النبي بكفي للجميع مثلاً ثم قال لرفاقه قد اذنت لكم فاذهبوا في هذا الليل وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم . فقال اخوه العباس لن نفعل ذلك لنبقى بعدك وفي الغد ركب الحسين على فرسه حاملاً باليد الواحدة القرآن وبالاخرى السيف وبعد ان حصن جماعة انفسهم ظهرًا وجانبًا وحفروا خندقًا جميعًا واشعلوا فيه النار كمادة العرب لبثوا مكانهم فجرد البض من عساكر عمر بن سعد لاسرم واقتسام ما معهم فصدتهم رجال الحسين صدمة عظيمة فتكاثروا عليهم وسقطوا كلهم قتلى اما الحسين فانه من الدم وقع على مدخل خيمته وقبل اشده العطش فتقدم ليشرب فرمى بسهم فوقه في فيه . ثم احتز راسه سنان بن انس النخعي وقيل ثمر بن ذي الجوشن ومات بين يديه ابنة وابن ابنة . وقيل عندما جرح في فيه رفع يديه الى السماء وطلب من اجل الاحياء والاموات وخرجت اخيه من الخيمة في حالة الياس وتضرعت الى رئيس الجيش بان لا يدع اخاها يموت امامها . ثم سار الحسين نحوهم مسلًا نفسه وكانت تنشق من امامه صفوف الابطال وكان القائد المذكور يعبره لذو . والحال انه لم يمض الا بعد ثلاث وثلاثين طعنة رمح وسيف وروي انه قتل مع الحسين من اولاد علي اربعة هم العباس وجعفر ومحمد وابو بكر ومن اولاده اربعة ومن غيرهم ايضا . وامر يزيد بان يوتي اليه بكل نسل علي الى دمشق وكان في نيتو استئصاله لكنه عفا عنهم وجهزم الى المدينة نساء واطفالًا . ولما وصلوا اليها لقبهم نساء بني هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل بن ابي طالب وهي تبكي وتقول .

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ماذا فعلتم وانتم اخرا الامم
بعتني و... بعد مقتدي منهم اسارى وصري ضربوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم ان تخلفوني بسوء في ذوي رحى

ولم يزالوا يتسلسلون الى الثاني عشر منهم وهو المهدي وهم المدعون ائمة ويقرم الفرس وجميع المسلمين وكانوا محسودين من الخلفاء والمهدي اخرهم كان منفردا في مكان قريب بغداد ولم يعلم زمان موته ولا مكانه ويقول اتباعه انه لم يموت وانه سيأتي قبل يوم الحساب

وكل من اصحاب الدعوى وحسب الشرف كانوا يدعون بالقرى منه فاخر حكام اسبانيا من المسلمين كانوا يحكمون باسم مهدية وحكام مصر والشام باسم فاطمية وحكام اليمن سلطانية والجم صوفية . اما مفر الدين احد خلفاء مصر فكان يقول ان سيفه اصله وماله عساكرة وآلوه اولاده . ولم يكن يكثر بهذه القراية و (في سنة ٦٨٢ - ٦٤) توفي يزيد وهو من الملعونين عند المسلمين لانه امر بنهب المدينة مرة وكان قليل الدين والايمان ويشرب الخمر واول من ادخل المماليك في خدمته وكان ذلك مكروها في اول الامر لدى المسلمين وكان يعز الكلاب

وعلى يزيد تخلف معاوية الثاني ولده ولكنه خلع نفسه لعدم قدرته على تحمل مشقة الخلافة .
واذا ان يسمى له عوضا حسب طلب الامة بقوله من كوفي لم اتبع بنعيم الخلافة فمن الظلم ان التحمل ما هو كربة منها فلذا كان ابو بكر عمل بخلاف ذلك فانه كان له عمر يتخذه والان لا وجود لمثل عمر بين العرب فدعوني لا اتقل ذمتي واترك لكم الاختيار والحكم على ذلك على اني اقدر ان اتقي عمر فاقم لكم سنة اتخاها لكم خليفة . وهكذا جرى واقام المختارون مروان بن طريد (سنة ٦٨٢ - ٦٤) اما في مكة فامهم بایعوا عبدالله بن الزبير وكان مروان وقتئذ بالمدينة فقصده السير الى عبدالله ومبايعته ثم توجه مع من توجه من بني امية الى الشام . وبایع لابن الزبير اهل البصرة واجتمعت له اهل الحجاز واليمن وبعث الى مصر فبايعه اهلها وبایع له في الشام سرا الضحاك ابن قيس وبجھق النعمان بن بهير الانصاري وقنسرین زفر بن الحارث . ولو صانع ابن الزبير بني امية قليلا لاستقر له الامر ولكن ابن الزبير شجاعا كثير العبادة . هنا من جهة الزبير . اما من جهة بني امية فلم يقبل يوكان مروان كما تقدم بالعلم فاجتمع اليه بنو امية واغترق اهل الشام الى يمانية مع مروان والى قيسية مع الضحاك بن قيس وجريت امور يطول شرحها واقتتلوا اخيرا بمرج راهط وانهزم الضحاك وحزبه اتبع هزيمة وقتل فرسان كثير من قيس ودخل مروان دمشق وذهب الى دار الخلافة واجتمع اليه الناس ونحزب له زفر بن الحارث واستوسق الشام ومصر لمروان والحجاز والعراق واليمن لابن الزبير . وفي السنة نفسها هدم ابن الزبير الكعبة وحفر اساسها وادخل الحجر

فيها واعادها على ما كانت عليه . وامر مروان رعاياه بان لا يجئوا الى هناك بل الى جامع عمر بالقدس واتسم عرب الشام مع مروان وبني فاطمة ولكن مروان لاقى الحزب الناطقي ونهض للحرب الشيعة من الهم وبدد في سهول عين ورد . وبعد حلول السلام بايع مروان ولده عبد الملك وقد كان قبلاً حلف بانه يهد لها لد بن يزيد . فتعتب عليه خالد فغضب وسماه ابن زانية وكان مروان مزوجاً بام خالد المذكور وفي عند سماعها ذلك اغناظت ورجحت الوالدية على الزوجية وقتلت مروان بوضعها على وجوه رداء مشرباً بالسم وفوق الرءا مخاداً ثم جلست فوقها ففطس وكان عمره ثلاثاً وستين سنة ومدة خلافته تسعة اشهر وذلك (سنة ٦٨٤-٦٥)

ثم نهض عبد الملك بن مروان بن الحكم المتخلف على معاوية بن يزيد بن معاوية وهو الخامس من بني امية والحادي عشر من بعد النبي واستنبت له الامر بالشام ومصر وقيل انه لما اتته الخلافة كان قاعداً والمصحف في حجره فاطمته وقال هذا اخر العهد بك

(وفي سنة ٦٨٥-٦٦) خرج الخنار من العلوية بالكوفة طالباً بشار الحسين وبايعه الناس واجتمع اليه خلق كثير واستولى على الكوفة واراد الاخذ بدم اهل البيت وطلب شمر بن ذي الجوشن وظفريه وقتله واحاط بدار خولي الاصمعي صاحب راس الحسين وقتله واحرقه بالنار ثم قتل عمر بن سعد بن ابي وقاص صاحب الجيش الذي قتلوا الحسين وقتل حفص بن عمر المذكور وبعث براسيهما الى محمد بن الحنفية بالحجاز واتخذ الخنار كرسياً وادعى ان فيه سرّاً نظير تابوت عهد بني اسرائيل وارسل الخنار عسكرياً لقتال عبد الله بن زياد بن ابي سفيان المار الذكر وكان عبد الله والياً على البصرة فولاه يزيد علي الكوفة فقدم اليها ليرى ما كان الناس عليه وهو الذي قتل مسلم بن عقيل بن ابي طالب الذي كان الحسين قد ارسله الى الكوفة لياخذ له البيعة وكان الخنار قد استولى على الموصل لما ارسل لقتال عبد الله وقدم على الجيش ابراهيم ابن الاشتر فاقتلوا شديداً وانهزم اصحاب ابن زياد وقتل وكان القاتل له ابراهيم المذكور في الموقعة واخذ راسه ثم احرقوا جثته ورُميت بالتراب ثم ولي ابن الزبير اخاه مصعباً علي البصرة فاستدعي مصعب المهلب بن ابي صفرة من خراسان فاتاه بهال ورجال عديدة وسارا الى قتال الخنار وحصراه في قصر الامارة بالكوفة وقتل الخنار واصحابه سبعة الاف نفس وذلك (سنة ٦٨٦-٦٧)

ثم تجهز (سنة ٦٩٠-٧١) عبد الملك وسار الى العراق لقتال مصعب بن الزبير والتقى الجمعان واقتتلا وكان اهل العراق قد كانوا عبد الملك فتحملوا عن مصعب وقتل مصعب وابنه بدير الجاثليق عند نهر دجيل وعمره ست وثلاثون سنة وكان مصعب صديق عبد الملك قبل خلافته ودخل عبد الملك الكوفة وبايعه الناس واستوثق ملك العراقين

وجهز عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفي (سنة ٦٩١ - ٧٢) في جيش الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير فسار الحجاج وحاربة وفي اخر الامر حاصره بمكة ورمى البيت الحرام بالمنجنيق ودام المحصار (الى سنة ٦٩٢ - ٧٣) وقتل ابن الزبير في حمادي الاخرى بعد قتال سبعة اشهر وكان عمره زهاء ثلاث وسبعين سنة ومدة خلافته تسع سنين وبعد قتله بايع الناس في الحجاز واليمن لعبد الملك ثم هدم الحجاج الكعبة (سنة ٦٩٣ - ٧٤) واخرج الحجر عن البيت وبناءه على ما كان عليه في عهد النبي واتصّب الحجاج اميراً على الحجاز الى ان ولاه عبد الملك على العراق (سنة ٦٩٤ - ٧٥) وكانت الصوائف قد تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية والصوائف هي الجيوش التي كانت تجهز زمان الصيف لسد الثغور وضرب العدو ودام ذلك من اول الاسلام الى اخر الدولة العباسية فاجتمعت الروم في زمان عبد الملك واستجاشوا على اهل الشام فصالح عبد الملك صاحب قسطنطينية على ان يحمل اليه كل نهار جمعة الف دينار وذلك (سنة ٧٠) ولما قتل مصعب بن الزبير وسكنت الفتن بعث عبد الملك الجيوش (سنة ٧١) في الصائفة فدخلت الروم وفتحت قيسارية وولى على الجزيرة وارمينية اخاه محمد بن مروان (سنة ٧٣) فدخل في الصائفة الى بلاد الروم وهزمهم ودخل عتبان بن الوليد من ناحية ارمينية في اربعة الاف ولقيته الروم فهزمهم ثم غزا محمد بن مروان (سنة ٧٤) فبلغ انشوايه وغزا سنة ٧٥ في الصائفة عن طريق مرعش فدوخ بلادهم وغنم

فصل

في الربع الرابع من القرن الاول

وبعد ان ولى عبد الملك الحجاج على العراق حدثت حروب كثيرة بين الحجاج والازارقة وشبيب الخارجي وعبد الرحمن بن الاشعث لاجل لذكرها هنا وكان النصر فيها للحجاج واقام الحجاج مدينة واسط (سنة ٨٢ - ٧٠٢) وفيها اوفي التي قبلها توفي خالد بن يزيد بن معاوية وكان من المعدودين بالسخاء والعقل والفصاحة ومن فعول العلماء واهل الكيمياء وله اشعار جميلة في الفاز الحجر الكريم وكيفية استخراجها وكان يذهب الى صدق الكيمياء الذهبية ولم تنزل مولفاته للان واقام عبد الملك مستشفيات للمرضى وخانات للغرباء بدمشق واخذت بعد ذلك تمتد هذه الابية في كل بلاد المسلمين وتوفي عبد الملك سنة ٧٠٤ - ٨٥) وخلقه الوليد ابنة

وفي عهد الوليد اكمل العرب فتح افريقية ولاشوا مملكة الغوط في اسبانيا وتغلغل الحجاج بن يوسف في بلاد الترك وقتية فيها وراء النهر ففتح الطالقان وسمرقند وغزا كاش ونسف والشاش وفرغانه وفتح محمد الثقفي بلاد الهند وولى الوليد ابن عمه عمر بن عبد العزيز المدينة فاختر عبد العزيز

عشرة من قبايلها لا يقضي امرًا بدون اخذ رأيهم أولاً وكان عبد الملك ابو الوليد قد امر حسانا والي مصر بتجديد حرب افريقية وهذا غلب ان اخذ قرطاجنة ونهبها عاد الى القيروان لما قدم يوحنا قائد جيش الروم بعسكر غفير من القسطنطينية وقدم له مراكب وعسكر من صفية واسبانيا كانت قد ارسلت بعد تركه دار القياصرة ثم رجع العرب وحاربوا الروم وظفروا بهم واحرقوا قرطاجنة غنائما ولم تنزل خربة الى اول الفاطميين فاقاموا منها قسما حقيقيا ١٠٠ واستمرت الصوائف في عهده في (سنة ٧٦) خرج الروم الى العقيق فغزاهم محمد بن مروان من جهة مرعش ثم غزاهم من ناحية ملطية ودخل في الصائفة الوليد بن عبد الملك فاتخض في الروم ورجع وجاء الروم (سنة ٧٧) فحاصروا انطاكية وانهمزوا وارسل عبد الملك ابنة عبد الله (سنة ٨١) بالعسكر ففتح قاليقلا وغزا محمد بن مروان (سنة ٨٢) ارمينية وهزمهم فسالوا الصلح فصالحهم وولى عليهم ابا شيخ ابن عبد الله فغدروا وقتلوه فغزاهم (سنة ٨٥) وصاف وشي

ثم غزا مسلمة ارض الروم ودوخها ورجع وفعل ذلك (سنة ٨٧) فاتخض فيهم ناحية المصبصة وفتح حصونا كثيرة منها حصن بولق والاحزم وبولس وقيم ثم غزاهم (سنة ٨٩) مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد وفتح مسلمة حصن سورية والعباس اردوليه وقبل ان مسلمة قصد عمورية وهزم جمعا من الروم هناك وفتح هرقله وقموليه وغزا العباس الصائفة من ناحية البلد يدون

وغزا مسلمة الترك من ناحية اذربيجان وفتح حصونا ومدائن ثم غزا (سنة ٩٠) وفتح الحصون الخمسة التي بسورية وغزا العباس حتى بلغ اردن وسورية (سنة ٩١) غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة مع مسلمة بن عبد الملك وكان الوليد قد ولى مسلمة على الجزيرة وارمينية وعزل عمه محمد بن مروان فغزا الترك من ناحية اذربيجان حتى الباب وفتح مدائن وحصونا ثم غزا (سنة ٩٢) وفتح ثلاثة حصون وجلا اهل سرمه الى بلاد الروم ثم غزا العباس (سنة ٩٣) وفتح سبيطله وغزا مروان بن الوليد فبلغ صنجرة وغزا مسلمة ففتح ماشيه وحصن الحديد وغزاه من ناحية ملطية وفتح العباس بن الوليد (سنة ٩٤) انطاكية وفتح عبد العزيز غزاة وبلغ الوليد بن هشام مروج الحمام ويزيد بن كبشه ارض سورية (سنة ٩٥) غزا العباس ففتح هرقله (سنة ٩٧) غزا مسلمة ارض الرضاية وفتح حصن الرصاع وغزا عمر بن هبيرة الروم بحرا وشي بها (ابن خلدون)

وبعد انهزام الروم وتولي المسلمين في افريقية نهض السودان وتجمعوا الى ملكهم داميه واقتتلوا مع العرب قتالا عنيدا التزم به المسلمون بالنحي وترك ما كانوا قد ملكوه مدة جيل واحد وبقي قائد المسلمين في حدود مصر ينتظر النجدة من امير المؤمنين خمس سنوات ولقائل كيف ان المسلمين انهزموا من الافريقيين بعد ان هزموا عساكر الروم قلت اولاً لان اهل افريقية كانوا بحاربون

اطرد العدو عن وطنهم ثانياً لانهم كانوا يعتقدون النبوة في نسايمهم ويعملون بكلما يقنن لهم وكان لهم من التعصب والهوس الدينيين أكثر مما كان للمسلمين ولا سيما ان عساكر العرب بعد محاربتهم الروم كانوا قد ضعفوا وقلوا . . وبعد نفي المسلمين جمعت دامية رويس القبائل وعرضت عليهم رأياً يفيد مقدار اعتبار الحرية لدى اصحاب الجراءة وتفضيلها على كل شيء بملكوته فقالت « ان الذي يسوق العرب الى محاربتنا انما في مدتنا وغنائنا والحال ان هذه الاشياء الدنية ليست هي غايتنا اذ تكفيننا غلال الارض فلنهدم اذن هذه المدن وندفن في خرابها اموالنا وسبب هلاكنا حتى اذا ما نظروا عدم وجود مرغوبهم ارتجعوا عن محاربة قوم لا يجملون القتال » فاجمع الجميع على رأي دامية واخذوا بالهدم من طنجة الى طرابلس وعادت تلك الديار النامية كلها خراباً

فشق امر مثل هذا على التجار واهل الرفاهة ولا سيما النصارى وكانوا يفضلون القرآن على تلك السنن والعوائد البربرية واقتبلوا القائد العربي عند رجوعه بفرح وهو حارب البرابرة وظفر بهم وقتل دامية ولاشيء ملكها ثم عصوا مرة ثانية فاخضعهم موسى بن نصير خليفة حسن وولده عبد العزيز وعبد الرحمن واسروا منهم ثلاثماية الف عبد وبيع من الخمس الذي خص الخليفة ثلاثون الفا وجعل ثمنهم في بيت المال وادخلوا ثلاثين الف شاة منهم في العسكر واجتهد موسى بتعليمهم عوائد العرب والدين الاسلامي الى ان عادوا يتكلمون العربية ودعوا عرباً من مشابهمهم عرب البادية بسكنهم القفار وقيل بل ان خمسين الفا من العرب العرباء تجاوزوا النيل الى قفار افريقية ودعوا الافريقيين البيض

وبعد ان انتهى العرب مسألة افريقية عادوا يهتمون باخذ ثارهم من الغوط سكان اسبانيا لمساعدتهم الروم عليهم وبينما كان العرب ينتفحون البلاد مبتدئين من الجنوب الى الشمال كان الغوط ينتفحون من الشمال الى الجنوب فتلاقوا عند حدود افريقية واوربا فصدم المسلمون قلعة كيوته (سبتة) المخصصة بحكم اسبانيا وفي من عمودي هرقل في الجاسب الافريقي ويفصل بينها وبين القلعة الثانية في حدود اوربا ذلك المصيق الحرج الذي يدعو العرب باب الاسواق وهو الذي يدخل مياه الالفونسيون الى البحر المتوسط المدعو مدبترانيوس

فالتفاهم الكونت جوليانوس (بليان) امير القلعة وهزمهم اولاً ثم كتب الى موسى ان يتقدم وهو يسلكه المكان ويبحثه على الحجة وافتتاح اسبانيا والسبب في ذلك ان الملك رودريكوس كان قد اساء السلوك الى كفا بنت جوليانوس وقيل لغير اسباب لا محل لذكرها هنا ومن جملة ما كتب له عنه ان الشعب كان يكره الحكم الحالي والمملكة في ضعف قوي فان الغوط لم يكونوا كما كانوا قبلاً عندما فتحوا رومة وقهروها وتملكوا من الدانوب الى المديترانيوس بل كانوا قد اتوا الراحة مهملين نظام

العساكر وصيانة البلاد مكثفين بالاقتحار بها كان قد صنع اباوم كمادة كثيرة من افراد وام
فقال موسى بن نصير عند قراءته كتاب جوليانوس الى السمر وارسل اولاً اعلم الخليفة عن ذلك
واجاب جوليانوس بالوعد وارسل (سنة ٢٢-٧١٠) مائة فارس واربعماية راجل من المسلمين ليتجسسوا
له الاخبار خوفاً من الخديعة فساروا من طنجة باريق سنن الى كيوته المذكورة المدعوة منهم الجزيرة
الخضراء فاقبلهم جوليانوس واكرمهم وارسل معهم اناساً من اتباعه فغزوا الاماكن ونهبوها ورجعوا الى
موسى . وقيل ان قائدهم كان طريف البربري مولى موسى وفيه خلاف . ثم رجعوا في اول الربيع
من السنة نفسها باوفر عدد مع قائدهم طارق بن زياد وكان ذلك في سنن جوليانوس ونزلوا في الجانب
الثاني الاوربي المدعو جبل طارق عند المضيق المقدم ذكره ودعى جبل طارق نسبة الى القائد
المذكور وهو الجبل المعروف بجبل الفتح قبلي الجزيرة الخضراء فاعلم رودريكوس الملك عن
مجي العرب فامر بالتقاع الاميراريكوس وحارهم فهُزِمَ . فعرض الامراها الى الاساكن القريبة الى دار
الملك فجمع رودريكوس حكام الولايات والديساكر والاساقفة والاشراف ونحوم وقراري الجميع على
معارضة العرب بقوة وكانت عساكر رودريكوس نحو مائة الف اما اصحاب طارق الذين جاءوا معه
وبعد فكانوا اثني عشر الفا ومثل ذلك من نصارى جوليانوس وجرت اول موقعة في ما بينهم
واحي قادس قرب مدينة اكزرس وفي الثلاثة ايام الاولى كان القتال مطاردة دون نظام اما في
اليوم الرابع فابتدا من كل ناحية وكان الملك رودريكوس راكباً على مركبة من العاج يجرها بغلان
ايضاً وعليه رداء من الديباج مزركش بالذهب وعلى راسه تاج مرصع بالجوهر وكان كما قيل
حاضراً الجسم غائب العقل . وتضايق عسكر طارق لقتله وقتل منه عدد غفير وكادوا يهزمون . ولما رأى
طارق ذلك تقدم الى الامام وصرخ بهم قائلاً « يا اخوتي العدو اماننا والبحر ورانا فالى ابن نهر
اتبعوني فاني قد حلفت اليوم اما ان اموت او ادوس بتدعي ملك الرومان » وهجم من ساعده واقتنت
العساكر اثره فوق الخوف والخيانة في جيش الملك الفوطي وولوا الادبار وقتل عدد غفير منهم
وترك رودريكوس مركبته وهرب ولم يعلم اين ذهب وقد وجدوا جواده وتاجه ورداه على ضفة نهر
يتس ويظن انه غرق وان الراس الذي ارسل الى الخليفة لم يكن راسه

وبعد هذا النصر اشار جوليانوس على قائد العرب بان يتقدم على الفور ويكمل فتح البلاد قائلاً
« ان الملك قد هلك والامراء تنزقوا والعساكر تبددت والشعب في وجل عظيم فارسل رجالك
واستلم مدينة بتيك واذهب انت وادخل طليطلد (طوليد) دار الملك ولا تعطهم وقتاً فيجئناوا لم ملكاً »
فسمع طارق كلامه وذهب رجل رومي (كان قد اسلم واطلقة الخليفة) يستمارة فارس لياخذ قرطبة
وقطع النهر من السبله وضرب البلدة وحاصرها نحو ثلثة اشهر واخذها عنوة . وقسم اخر من المسلمين

فتح الجنب المجنوبي من البنيك . اما طارق فصار من مهر البنيك الى طاغوس وقطع من المكان
 الفاصل بين كستيلية والانديلس ووصل الى طليطلة (طوليد) تختا الملك فاغلقوا في وجهه الابواب ثم عقدوا
 شروط الصلح على ان لمن اراد من السكان حرية الذهاب بالو وتركوا للنصارى سبع كنائس وحرية
 الدين والشرايع وانما لم قضائهم واكرموا اليهود على ما ابدؤهم ثم من المساعدة بغضا بالنصارى
 لاضطهادهم ايام . وموت الالفه بينهم الى ان تركوا جميعا تلك الديار . وتقدم طارق من طوليد الى
 جهة الشمال وفتح ما مر به من البلاد وصارت فيما بعد ولايتين ولاية كستيلية وولاية ليون وغنم اموالاً
 جريئة وما بينهما تلك المائدة الزمردية التي كان الرومان قد اتوا بها من المشرق واخذها منهم الغوط
 فارسلها مع غيرها الى الخليفة . فليتل من الرجل الحكيم دوران الاشياء الدنيوية وتقلب احكام الاعداد
 والادهار

قال ابن حبان ما معناه . ان تلك المائدة المنسوبة الى سليمان بن داود لم تكن له فيما يزعم رواية
 العجم (اي الفرنج) وانما في ايام ملكهم كان اهل الحسبة منهم اذا مات احد من اوصى بال للكنائس
 فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسي واشباهها من الذهب
 والفضة تحمل الشماسة والقسوس فوقها مصاحف الاناجيل اذا ابرزت في ايام المناسك ويضعونها
 على المذابح في الاعباد للباهة بزينتها فكانت تلك المائدة بطليطلة ما صيغ في هذه السيل وتانفت
 الاملاك في تقيها يزيد الاخر منهم على الثاني حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الاواني وطار
 الذكر مطارة عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بناخر الدر والياقوت والزمرد ولم تر
 الاعين مثلاً وبولغ في تقيها من اجل دار المملكة وانه لا ينبغي ان تكون بمثابة آنية جمال او متاع
 مباهاة وكانت توضع على مذبح طليطلة فاصابها المسلمون هنالك وطار النبا الفخم منها قال وقد
 كان طارق ظن موسى اميره مثل الذي فعله من حسده على ما عيها له ومطالبتو له بتسليم ما في يده
 فاسظهر بانزعاج رجل من ارجل المائدة خبأه عنده فكان من ظهوره يو على موسى عدوه عند الخليفة
 اذ تنازعا عنده بعد الاثر في جهادها ما هو مشهور (انتهى)

وقد ضربنا صفحاً عن ذكر كتب الحكمة التي وجدت في طليطلة ضمن تلك الارصاد المصنوعة
 من الحكماء قديماً لحفظ الاندلس من العدو فكان كلما قام ملك زاد الى الاقفال الموضوع عليها قفلاً
 حتى صارت ستاً وعشرين وجاءت نوبة رودريكوس وكان غاصباً فاراد فتح الارصاد المذكورة
 ليرى ما ضمنها ولم ير غير الكلام وزرائه ولما فتحها وجد مكتوباً انه يوم تفتح تلك الارصاد تفتح المملكة
 ووجد مقوشاً صور الفاتحين . فكانت تلك الصور المنقوشة صور فرسان بهائم وسيوف ونحوها طبق
 صور العرب انفسهم . ولهذا الارصاد قصة اشبه باضغاث احلام فمن اراد ان يطالعها فعليه بكتب

القوم مثل ابن حيان وابن خلدون والمقري ونجوم

وبعد ان وصل طارق في مسيره الى جبال اسطوريا مسافة سبعمائة ميل من الجبل المدهو
باسم وقف عند مدينة جيمون قرب خليج بسكاليا حيث تضرب امواج الاوقيانوس ورجع من هناك
الى طوليد بطلب من موسى فان موسى عند ما سمع بنجاح طارق وشهرة اسمع لم يعد قادراً على القيام
حسداً منه وخوفاً من ان لا يترك له شيئاً فحضر بعشرة الاف من العرب وثمانية من العبيد ونزل اولاً
في الجزيرة الخضراء ورحب به الامير جوليانوس واظهر سروره بالنصر وطلب اليه ان يجارت بعض
الغوط الذين لم يكونوا قد خضعوا لطارق بعد ولاسيما قلعة سبيله ومريده وكانتا مملوئتين ابطالا وسار
موسى الى غوديانه وحاصر مدنها وتسلمها كلها ولما تأمل اعمال الرومانيين التي هناك كالجسور ومصانع
المياه وابنية الظفر والملاعب الموجودة في لوسيتانية العاصمة القديمة قال الى اربعة من رفقاته « كاني
بالانسان قد جمع كل ما يقدر عليه من قوة وصناعة في بناء هذه المدينة فطوى لمن امكته السلط
عليها » واما سكان مريدة المعدادون من الرومان لتنازلهم من عسكرا وغسطوس قيصر فانهم قاوموه
كالاسود وخرجوا من المدينة وضربوا عساكر العرب وقد امتدوا كثيراً فلم يمكنهم الرجوع اليها فاحاطت
بهم عساكر موسى وفتكوا بهم وألقي الحصار على البلد وبعد زمان طويل واستيلاء الجوع على المدينة
سلموا بشروط وهي ان للاهالي الخيار ما بين ان يرحلوا او يدفعوا الخراج وقسموا الكنائس مناصفة وقبض
على اموال من مات بالمحاصر او نزع قبل الامان ثم تلاقى طارق بموسى في طليطله وكان السلام بينهما
فاتراً ثم اخذه طارق فاراه قصر الملوك الفوطيين فقال له موسى كيف انك تجاسرت على فتح مملكة
دون اذن وطلب منه حساباً مدققاً ليرسله الى الخليفة ثم ضربه وحبسه فعظم الامر على طارق ورفعت
القضية الى دار الخلافه ثم اخرج طارق من سجنته وفتح ولاية طركوته وبنى بامر الخليفة جامع مبراكوس
وفتح مينا برسلونه لسفن الشام ولم يزل العرب يطاردون الفوط الى ان اجازهم البربات الى ولاية
سبتيانية وهي لنكوادوكه الان وبعد ان اقام موسى جماعة من رجاله لمحافظة الحدود رجع الى سواحل
جليقية ولوسيتانية كل ذلك وابنه عبد العزيز يحارب سبيله ومالقه وبنسبه وبقية المدن الجبرية
التي فتح اكثرها

وذكر في المقري انه بعد ان رضي موسى مع طارق تقدم طارق امامه الى الثغر وتبعه موسى بعسكره
ففتح سرقسطه واعمالها واوغل طارق في البلاد امامه فكانا لا يبران بموضع الا فتح لما الابواب حتى انتهوا الى
وادي ردونه متبني موطنهم من ارض العجم (الفرنج) ودوخت بعوث طارق وسراياه فملك مدبني
برسلونه واربيونه وصخرة ابنيون وحسن لودون على وادي ردونه فبعد عن الساحل الذي دخلوا منه
والمسافة بين قرطبة واربيونه من بلاد افرنجة ثلاثمائة وخمسة وثلاثون فرسخاً الى ثلثمائة وخمسين

وعمل عبد العزيز عهد الصلح مع الأمير تدمير (طودميرس) على السبع المدن التي كانت له

وهذه صورها

يعطي عبد العزيز الأمان على الشروط الآتية بان لا يعارض تدمير في مأموريته ولا يجري عليه تعد في المال ولا في الحال ولا في النساء ولا في الأطفال ولا في الدين ولا في الكنائس على ان يسلم سبع مدنه وهي اريوله وبلنتله واليكاتته وموله وبكاروزه وبيار واوره ولوركه وعلى ان لا يقبل ولا يساعد اعداء الخليفة بل يعلن بصدق وحق كل ما يلحظه من ارائهم العدوانية ويدفع كل سنة هو وكل شريف من الغوط ديناراً واحداً واربع كبلات حنطة ومثلها شعيراً وقدرًا من الزيت والعسل ويدفع اتباعهم نصف ذلك كتب لاربع خلت من شهر رجب من السنة الرابعة والتسعين للهجرة بمحضار اربعة شهود من المسلمين

وكان موسى مع تقدمه في السن وايضا ضاع شعره مقدما يصبوا الى المجد وافتتاح البلاد حازما عاقلاً ذا سياسة جليلة وكان في نيت من التقدم الى افتتاح باقي اوربا قاطعاً البرنات من الجانب الواحد فيجارب وينفتح بلاد الفالية حكام فرنسا وبلاد اللومبارد حكام ايطاليا ويتملك رومه العظمى عاصمة النصرانية وقاعدتها حينئذ ويذهب من الجانب الثاني الى جرمانية وباخذ مدنها ويتبع مجرى الدنوب وينفتح البلاد المار بها النهر المذكور كالمانيه المجنوية والمجر (هنكاريه) ونحوها الى البحر الاسود ومن هناك يتقدم الى عاصمة القياصرة الشرقية ويفتزو القسطنطينية ومملكة الروم ثم يقطع من اوربا الى اسيا الصغرى ويضيف ما يكون فتحه الى انطاكية والشام

ولم يكن موسى عند بئس هذه الصروح الهوائية بنكر باث مامور ورقب امير المؤمنين ولا سيما انه كان باسائه معاملة طارق بن زياد كما سبق قد شكى الى دار الخلافة وكان ينتظر بروز الحكم من طرف دمشق وقد كان اصحاب طارق يبنوا لدى الخليفة براءة شان طارق وتعدى موسى عليه فلم يطل الامر حتى حكم مجلس الامة في الشام على موسى وراى في تلك الاراء التي كان عرضها من فتح العالم شبهة في صدق وهمة كبيرة يخشى من عواقبها . فارسلوا يستدعونه الى دمشق على الفور ثم زادوه رسولا على رسول لما وجدوا انه تاخر عن الحضور وكتبوا له كتباً قوية والرسول الاخير بوصوله الى موسى وهو في منزله بغلاتيه في لوكوس اعلن له امر الخليفة ثم اخذ هو نفسه بمحضار فرس موسى ولجئة وامره بمحضار المسلمين والنصارى بالركوب دون ابطاء فالتمز بالامتنال وترك الامر في ايدي ولديه عبد الرحمن في افريقية وعبد العزيز في الاندلس وهان الامر على موسى لما راى ان طارقا كان مطلوباً ايضا وهروره على الجزيرة الخضراء اخذ ما كان جمعه من الذخائر الثمينة الافريقية والاسبانية وقاد صحبته اربعمائة امير غوطي عليهم التيجان والمناطق الذهبية وثلاثين الف

اسير من رجال ونساء فخراً له وهدية للخليفة

فلما وصل الى طبرية حضره رسول من قبل سليمان بن عبد الملك يقول له ان اخاه الوليد كان مريضاً وقرب الموت وبان يتأخر في مكانه الى ان يكون اخذ البيعة لنفسه على الناس اما موسى فحشي عاقبة ذلك اذا شئ الوليد وبقي سائراً وبوصوله الى دمشق وقدمات الوليد التي في السجن وصودر بدفع مائتي الف دينار فوق الهدية وعومل كما عامل طارق بالضرب علانية ثم جعلوه يوماً كاملاً في الشمس وأودع السجن ثم خوقاً من عاقبة هذه المعاملة لموسى امر سليمان فارسلت اوامر سرية الى افريقية وسبانيا بقتل عبد العزيز ولد موسى ففعل بموجبها . وكان قتل عبد العزيز في جامع قرطبة وقبل في قصره امام الشعب بانه كان ساعياً بالاستبداد وقد عقد زواجاً مع اجيلونه زوجة رودريكس الملك المار ذكره واخذ راسه الى ايدى وجعل امامه ثم سئل اذا كان يعرف ذلك الراس فاجاب بغضب ممتزج بالياس نعم اني اعرفه واعرف براءته واسأل الله ان يحل علي رؤوس قاتليه ميتة مثلها ثم أذن له بالهوق بمكة فصار اليها وبعد وصوله بقي قليلاً ومات حزناً وغماً في وادي القري لا يملك شيئاً يتسول من الناس ليعطي اولئك الذين كانوا يعذبونه من قبل الخليفة واما طارق فانهم جعلوه رقيقاً لا غير

فمن يسمع لعمرى هذا ولا يتعجب من كفر الاولياء والحكام وعدم ثبات الملوك وتقليلهم وظلمهم فان هذه المعاملة الدنية الفادرة اللئيمة ستبقي ذكراً عاتياً وعاراً لازماً على سليمان بن عبد الملك ما تليت التواريخ وذكر اسم موسى وطارق ولكن ليس هذا اول حادثة تاريخية فان امثالها كثيرة قبل ذلك وبعده وهذا هو داب طلاب الدنيا اذا هم مستغرون بعضهم لبعض واخترتهم جميعاً الى الندم والموت وما احسن ما قيل

باتوا على قتل الاجيال تحرسهم غلب الرجال وما اغتهم القتل

واستزلوا بعد عز عن معاقلم فاودعوا حراً يابس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا اين الاسرة والنجان والخلل

اين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الاستار والكلل

فافصح القبر عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما اكلوا دهنًا وما شربوا فاصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا

وسمى عرب موسى وطارق لاخوتهم الذين في افريقية ومصر ان يشتركوا معهم في مشيدات موركة ولسبونه وفي اقل من قرن واحد نمت وزادت مداخيل تلك البلاد بالزراعة والتجارة والصنائع ونحوها وكان الخليفة بعد سنين قليلة يستورد سنوياً نحو اثني عشر الف الف وخمسة واربعين الف دينار ما عدا الجبايات واموال الفتوحات ونحوها مما لا يعد وكان هذا المبلغ في ذلك العصر اعظم

من كل مداخيل ملوك اوربا فان في قرطبه تحت الملك كان يوجد سعاية جامع ونسماية حمار ومايتا الب بيت وكان تحتها ثمانون مدينة من الرتبة الاولى وثلاثمائة من الرتبة الثانية والثالثة واثنا عشر الف قرية وكان هذا الثمن من نتائج الحربة فان العرب في طباعهم منذ الجاهلية حب الحرية فلم يكونوا يتعرضون لاحد في معتقد وكانوا بعد الاسلام يكتفون باخذ الجزية ممن لم يسلم وهو آمن في ماله ودينه وقد ايقظ اجتهاد العرب بعد فتح تلك البلاد كبيرين الى العلوم والصنائع وظهر فضل اولى النباهة والذكاء ممن كانوا غائصين في بحار الجهل . وضعت النصرانية جدًا في زمانهم حتى انحسرت من افريقية كلها وعاد مطران قرطاجنة يطلب الاحسان من رومة ويتشكى من الفقر المدقع وكان نصارى اسبانيا يخشون ويمتنعون من شرب الخمر وكل الخنزير ونحو ذلك من المحرمات الاسلامية حتى دعوا (مزارابي) اي انصاف عرب وفي الجيل الثاني عشر لم يبق ذكر للنصرانية والاساقفة لافي افريقية ولا في قرطبه واشيلية والنسة وغرناطة ونحوها ونسي الدين الروماني بالاصالة من طرابلس الى الاوقيانوس وهكذا اللغة وامتد العرب في سواحل الهند ايضا ومن شيراز الى سمرقند . وكان المجوس لا غمريابون عن الدخول في الاسلام الى ان احترق هيكلهم في حران وتبددوا ولم يبق منهم الا القليل في كرمان على سواحل الهند ونحوها . وكان الخلفاء الاول يشتهون في صدق الكاثوليك واسم ملكية يذكرهم دائما ميلهم الى ملوك الروم بخلاف اليعقوبية والناشطة لانهم كانوا اعداء الروم ولكن هذا العرق انتسى مع الوقت واخذت قضاء المسلمين تحامي عن البطاركة والاساقفة واستخدموا النصارى في الكتابة والطب ودواوين الخراج وإدارة المدن والمعاملات وقد قال احد العباسيين « انه لا يمكن الثقة في سياسة بلاد العمم الا بالنصارى لان الاسلام لا يعاوب بالنظام لنعمتهم المحاضرة والمجوس لنيلهم عليها وقد زالت واليهود لا تتظارهم ملكًا ونعمة مستقبلة »

وهذه الحربة استمرت في كل الاجيال الوسطى وكانت على ازدياد مدة الخلافة العربية وفي زمان الوليد امتد حكم الاسلام مسافة مايتي يوم من المشرق الى المغرب من التتارية الهندية الى الاوقيانوس لانهم تملكوا العرب والعجم والشام وافريقية وسردينية وسبانيا ونحوها وامتدوا الى نواحي الصين وكانوا يدرسون العربي في سمرقند وقرطبة وتلون القرآن بكل قبول وورع وكان الهنود والسودان يلتقون في مكة ويتخاطبون باللسان العربي

وتوصلت المملكة الى اقصاها وظهرت على كل المالك قدرة وغنى واقام الوليد مسجد بني امية في دمشق وقيل انه انفق عليه اربعمائة صندوق كل صندوق اربعمائة عشر الف دينار وكان فيه من جملة النفقة ثمانين الف مرخم ويقال انه كان فيه ستمائة سلسلة من الذهب لتعليق القناديل فكانت تخشي عيون الناظرين وتفتن المسلمين فازالها عمر بن عبد العزيز وردھا الى بيت المال

وفي أول الامر كان الخلفاء قانعين بالدرهم العجمي واليونانية الرائجة في زمانهم الى ان امر عبد الملك بن مروان بضرب نقود جديدة باسم دنانير ونقش الحجاج فيها « قل هو الله احد » فكره الناس ذلك لانه قد يسها غير الطاهر . ثم بولغ في تخليص الذهب والنضة من الفس وزاد ابن هبيرة ايام يزيد بن عبد الملك عليه . ثم زاد خالد القصري عليهم في ذلك ايام هشام . ثم افراط يوسف بن عمر من بعدهم في المبالغة وامتحان العيار وضرب عليه فككات الهبيرة والخالدية والبوسنية اجود نقود بني امية . ثم امر المنصور ان لا يقبل في الخراج غيرها وسميت النقود الاولى مكروهة اما لعدم جودها او لما نقش عليها الحجاج . وكانت دراهم العجم مختلفة بالصغر والكبر فكان منها مثقال عشرين قيراطا واثنى عشر وعشرة قيراط فجمعوا قيراط الثلاثة فكانت اثنى واربعين فجمعوا ثلثها وهو اربعة عشر قيراطا وزن الدرهم العربي فكانت كل عشرة دراهم وزن سبعة مثاقيل . وقيل ان مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة ايام اخيه عبد الله والاصح ان عبد الملك اول من ضرب السكة في الاسلام

وامر الوليد بعده بعدم استعمال اللغة اليونانية وارقامها في الحسابات الجمهورية وامتدت لذلك الارقام الهندية التي اخذها العرب عن الهند وتسهلت بذلك الحسابات وفتح ابواب عظيمة واكتشافات جلية في العلوم الرياضية

وفي عهد سليمان اخي الوليد تجددت الحرب بين العرب والروم و(في سنة ٧١٦ - ٦٨) في عهد انسطاسيوس قيصر ركب مسلمة بن عبد الملك بمائة وعشرين الفا من العرب والعجم على القسطنطينية وحارب في طريقه طليان وعمورية وفرغام من اسيا الصغرى ودخل بوغاز كليبولي وتجاوز البحر من المكان المدعو ممر العرب ودخل الى اوربا وقطع ثراقية على سواحل بحر مرمرة الى ان قابل القسطنطينية من الجنوب واقام مضارب عسكره واعلن الحرب على الروم والتي المحصار . وكان انسطاسيوس قيصر قد علم تجهز العرب عليه فاخذ الاحياطات اللازمة وامر السكان بالاستعداد وتحضير اللوازم الكافية لحصار ثلاث سنين وان يترك ان الذين لا قدرة لهم العاصمة . وبلا الساحات والاهراء بالذخائر واصح الاسوار وحصنها وجعل عليها المتجنقات والدوافر لرشق النار الرومية والسهم والحجار ونحوها . وكذلك اهتم الروم باحراق عمارات العرب وبعرسة العدو قبل ان يلتزموا الى المدافعة فارسلوا اناسا لذلك الا ان اولئك المجهزين للعمل قتلوا مقدمهم وتركوا سناجهم في رودس وتفرقوا في الاماكن المجاورة الى ان قام ملك ثان وعفا عنهم . وكان الملك الجديد احد حراس بيت المال رجلا ساذجا لا يصلح لشي اسمه ثيودوسيوس فلم يستقر غير شهر وخلع وخلفه ليون اسوريكوس وكان رجلا لا تقا للملك

ولما قدمت عساكر مسلمة ونظرها اهل القسطنطينية داخلهم اليوم وعرضوا على المسلمين الصلح بان يودوا لهم الجزية سنوياً عن كل انسان ديناراً . اما مسلمة فلم يقبل وداخله الطمع لما رأى وصول العمارة العربية التي خرجت من بحر الشام ومرت بعمارة المصريين الكائنة على ثغور فرنسا وفتنهم وانت بها وكانت جميعاً نحو الف وثمانمائة سفينة اعظمها كانت تحمل مائة رجل بمجهازهم والروم عند نظرم قدوم تلك الاساطيل امروا فرفعت السلسلة القاطعة المينا لكي تدخل السفن وتستامن داخل البوغاز . وهكذا مسلمة من جهتين تلك الليلة للهجوم برّاً وبحراً . ولما وصلت المراكب الى حيث هي السلسلة وقفت متحيرة ما بين ان تدخل او ترسو في مكانها خوفاً من حيلة ما واذا بالنار الرومية قد اشتعلت من كل جانب واحرقت تلك الاوامد كلها ولم يسلم منها واحدة وغرق من فيها من العساكر ثم جاء العلم بتوفي سليمان بن عبد الملك (سنة ٧١٧-٩٩) وفتح في خلافة سليمان اكثر اسيا الصغرى

وفتح يزيد بن المهلب بن ابي صفرة والي خراسان جرجان وطبرستان وكانت مدة خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر وعمره خمسا واربعين سنة ومات بدابق في ارض قنسرين وكان طويلاً جميلاً وعرج مغرمًا بالنساء كثير الاكل حج مرة الى مكة وكان المحرك كثيراً فتوجه الى الطائف طلباً للهودة فأتى برمان فاكل سبعين رمانة وجيء بجدي وست دجاجات فاكلها ثم جيء بزيب الطائف فاكل منه كثيراً ونام ثم انتبه فاتوا بالغدا فاكل على عادته وقبل موته كان قد اكل زنبيلين من التين والبيض (الطفه بهما بعض المسيحيين) فامر بان يقشر البيض وجعل ياكل بيضة وثينة حتى اتي على الزنبيلين ثم اتوه بمعسكر فاكل فاتنهم ومرض ومات

وكان شديد الغيرة وفي عهده خصى ابو بكر محمد بن عمرو الانصاري المحثين بالمدينة . وقبل كان العامل على المدينة ابا بكر عمر بن حزم فكتب اليه سليمان يقول احصر من عندك من المحثين واتفق ان تقطع من السطر الاعلى وقعت فوق الحاء فصارت خاء فخصام

وبعد موت سليمان خلفه عمر بن عبد العزيز المعروف بعمر العدل وكان بكره مسلمة ولعنه اكثر اذ بالامور الدنيوية تركه في حصاره غير سائل كل الشتاء وكان ذلك الشتاء قاسياً وبقي الثلج مغطياً الارض مائة يوم . ومات كثير من العسكرا لبرد ولكن لما قدم فصل الربيع تشددت الجنود الباقية ولا سيما عند وصول عمارتين جديدتين لمساعدتهم بالرجال والذخائر الواحدة اربعمائة سفينة مشحونة قمحاً من الاسكندرية والثانية ثلاثمائة وستون سفينة من افريقية غير انها صادفتنا مصادفة العارة الاولى ولم يخلص منها الا ما قل . وارتاح الروم قليلاً وبدأت الحركة والتجبر وصاروا يتخذون بالسك ونحوه اما عساكر مسلمة فوقع فيهم الجوع والمرض وعادوا ياكلون ما يجدون واستاجر

ليون البلغار بين فجاءوا واقتتلوا مع المسلمين وقتلوا منهم نحو عشرين الفا وشيعوا الاخبار بان الافرنج كانوا يجهزون برًا وبحرًا لمساعدة الروم فتشددت بذلك الاهالي وخافت العرب . وبعد ثلاثة عشر شهرًا جاء الامر لمسلمة بان يرجع وهو ماضق ان خاص من تلك البلوى وسافرين بقي معه من الجيش مارًا بضيق كليبولي من حيث دخل دون معارض الا انه عند وصوله الى جيبه قاوم مسيره الاهالي وقتلوا منه كثيرًا . ولم يصل من كل تلك المراكب الا خمسة فقط جاءت بالاخبار الى الاسكندرية ولكنهم داموا ابداً يغزون الصوائف في كل مدة كما تقدم

فاخاف العرب في ركبة القسطنطينية منهم من تخطى اوربا من جهة المشرق اما من جهة المغرب فان عرب الاندلس شنوا الغارات على افرسه وساعدوا على ذلك سقوط الدولة المرونجية وقتلوا اعني بني كلودويوس فان الامراء الاخر من هذه الدولة كانوا معتقلين في قلعة بقرب قوميان وكان الحكم لامراء القصور ووزراء الامة وكان على اولئك توقيع الاوامر لا غير وروساء القصر يتحكمون كما شاءوا حتى على الملوك وكانت ولايتهم ارثية في عيلة واحدة . وكان اصحاب الاقطاعات ايضا يستقلون بولايتهم ويأمرون بما يريدون واشهر هؤلاء الاقطاعيين ايود حاكم اكينانيه الذي كان قد تغلب على كل الاماكن الجنوبية من هذه المملكة ودعا نفسه ملكًا

ثم توقف جريان ذلك النهر العظيم راجعًا على نفسوا الى زمان . وكانت الحركات الداخلية قد بدأت على بني امية لان كل المسلمين الا الشاميين كانوا يكرهون تلك الدولة فانها اخبر من اسلمت واول من خضبت ايديها بدم اهل الكرامات عندهم

اما نهوض عمر العدل (سنة ٧١٧ - ٦٩) على تخت الخلافة فجعل فترة لان ذلك الامير لم يكن يهتم الا بالامور الدينية وزيارة المساجد وكان يلبس قميصًا واحدًا لا غير ويصرف على نفسه شيئًا لا يذكر وقيل درهمين فقط كل سنة ولمعة مبالغة مع ان الاسراف كان قد دخل في الدولة الاسلامية ولم يصف في عهد عمر المشار اليه الى فتوحات الامة الا جرجان وطبرستان

فصل

في الربع الاول من القرن الثاني

وابطل عمر تلك اللعنات التي كانت تتلى على المنابر ضد الامام علي وآل بيته وكان يرددها كل خليفة منهم من عهد معاوية اليه وذلك ان عمر دعا يومًا رجلًا عبرانيًا وامره بان ياتي اليه في يوم معين وهو في مجلسه ويطلب منه بحضور المجالسين ابنته زوجة فقاب الرجل وحضر في اليوم المعلوم وطلب من عمر المصاهرة فاجابه الخليفة ان ذلك غير ممكن لاختلاف الدين فاجابه اليهودي

الم يدفع اليه ابنته زوجة لعلي بن ابي طالب فقال عمر بن الخطاب ولكن عليا كان مسلماً وصار اميراً للمومنين فقال اليهودي ولماذا تلعنونه انتم علناً في الجوامع فالتفت عمر حينئذ الى جلسائه وقال ماذا نجيبون به هذا الرجل فلم يقدر احد منهم على الجواب فامر عمر وقتئذ ببيع ذلك قالوا وعند ابطال تلك اللعنات جعل مكانها ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاه ذي القربى وبني عن الفحشاء والمنكر والبني بعضهم لبعضم تذكرون « الآية » وقد مدحه كثير بن عبد الرحمن الخزاعي على ذلك بقوله

وليت فلم نشتم علياً ولم نخن برأياً ولم تتبع سجيته مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي فعلت فاضى راضياً كل مسلم

وكان عمل عمر هذا سبباً لتهافت بني امية عليه ورشوا عبداً فسقاه السم وعمر بعد ان شر به عرفة فدعا بالساقى وساله عن سبب غدري به فوقع العبد على قديم عمر واقربانهم رشوةً بعشرين الف درهم فقال له عمر اذهب واترك هذه الدار وضع المال في بيت مال المسلمين فلا يتكلم احدٌ عنك ولا عن فعلك فيما بعد وتوفي عمر بخصاصة (سنة ٧١٦ - ١٠١) وعمره اربعون سنة واشهر وخلافته ستان وخمسة شهور ودفن في دير سمعان وكان من اهل القسط وتحري سيرة الخلفاء الراشدين

ثم نهض يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاصي بن امية وهو تاسعهم . وفي ايامه ثار يزيد بن المهلب بن ابي صفرة واجتمع اليه كثير وارسل يزيد اخاه مسلمة فقاتله وقتل ابن المهلب وجميع آله وكانوا مشهورين بالكرم والبسالة وفيهم يقول الشاعر

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الاوطان في زمن المحل
فما زال لي احسانهم واقتادهم وبرهم حتى حسبتهم اهل

وفي عهد يزيد جرت حروب بين الاسلام والترك وغزا المسلمون الصغد واقتلوا مع الخزر وم التركان واستعان الخزر بالقبجاق وغيرهم من انواع الترك وهزموا المسلمين في نواحي ارمينية وكان المتولي على الجزيرة وارمينية ابن هيرة . وكان القتال بمرج الحجارة ثم اقبل المنهزمون على يزيد فجهز يزيد الجراح بن عبدالله المحكي بجيش كثيف وولاه على ارمينية وحارب الخزر واتصر عليهم وسي وفتح بلخبر وقسمت الغنائم فكان للفارس ثلاثمائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين الفا ثم ارجع الجراح حصن بلخبر الى صاحبه ورد عليه اهله وماله على ان يكون عينا المسلمين ثم نزل على حصن الويد وكان فيه اربعون الف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال ثم مسكوا عليه الطريق فاقام في رستاق سبي وكانت يزيد بالفتح وطلب المدد وكان ذلك في وقت توفي يزيد فمده بطلبه هشام واقربه على العمل . . . وموت يزيد كان (سنة ٧٢٤ - ١٠٥) وعمره اربعون سنة وكان قد عهد لآخره هشام ومن

بعده لابن الوليد بن يزيد . وكان يزيد صاحب لحو وطرب . وكان عمر هشام لما ولي الخلافة اربعاً وثلاثين سنة وفي (سنة ١٠٥) غزا مسلم بن سعد الترك فعبّر النهر وعاث في بلادهم وقتل فتبعت الترك فعبّر النهر ولم ينالوا منه ارباً ثم غزا فشين فصالحوه على سنة الف ثم سلموا اليه القلعة ثم غزا (سنة ١٠٦) فابطا عنه الناس وكان ممن ابطا البصري بن درهم فارمل مسلم نصر بن سيار الى بلخ وامره ان يخرج الناس اليه وكان العامل على بلخ وقتل عمر بن مسلم فذهب نصر واحرق باب البصري وزياد بن طريف الباهلي ومنعها عمر من دخول بلخ وكانت فتنة وشقاق . ثم امنهم نصر وامرهم بان يلحقوا بمسلم بن سعيد ولما قطع مسلم النهر ولحقه من لحق من اصحابه سار الى بخاري فجهاه كذاب خالد بن عبد الله القسري بولايته ويامره بان تمام الغزوة فسار الى قرغانه وبلغه ان خاقان كان قادماً عليه فارتحل وتبعه خاقان بعد ثلاثة مراحل واطاف بالمسلمين وتازلم وقتل المسيب بن بشر الدياجي والبراء بن فرسان الملب وغيرهما ورحل مسلم بالناس ثمانية ايام والترك مطيفون بهم بعد ان امر باحراق ما ثقل من الامتعة فاحرقوا ما قيمته الف الف واصبحوا في اليوم التاسع قريب النهر ودوت اهل قرغانه والشاش فامر مسلم الناس ان يخرطوا سيوفهم ويحملوا فافرج اهل قرغانه والشاش عن الدهر وعبر مسلم بعسكره واتبعهم ابن خاقان . وكان حميد بن عبد الله على الساقة من وراء النهر شغافاً بالجراح فبعث الى مسلم بالانتظار وعطف على الترك فقاتلهم واسرقائهم وقائد الصغد ثم اصابه سهم فمات واتوا خجندة وقد اهلكهم الجوع

وفي عهد هشام (سنة ١٠٧) توفي سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج الرسول وهو احد فقهاء المدينة السبعة وم عبد الله المسعودي . وعروة بن الزبير القرشي . وقاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق وسعد بن المسيب القرشي . وسليمان المذكور . وخارجة بن زيد بن ثابت الانصاري . وابو بكر بن عبد الرحمن من بني المغيرة المخزومي

ولم تزل الحرب بين الترك والمسلمين مدة طويلة منها وقعة الشعب بين حميد وخاقان الترك (سنة ١١٢) وكانت مدمرة للطرفين . وفي سنة ١١٦ غزا اسد بن عبد الله القسري بلاد الترك فاتتصر عليهم وقتل منهم كثيراً وقتل خاقان الانراك (سنة ١٢١) غزا مروان بن محمد بن مروان عامل الجزيرة وارمنية بلاد صاحب السريور ورتب عليه الجزية سبعين الف راس يودبها كل سنة . وغزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فتفتح حصوناً وغنم . وغزا نصر بن سيار بلاد ما وراء النهر وقتل ملك الترك ثم مضى الى قرغانه فسي بها . . . (سنة ١٢١ و ١٢٢) خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بالكوفة ودعا الى نفسه وبابعة جمع كثير وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفي فقاتل زيداً فقتل زيداً واخذ راسه وارسل الى هشام وصلبت جثته .

وفي خلافة هشام ثارت روح العصاة وقوت ايدي الاحزاب المترشحين للخلافة وكان هشام بجيلاً فانه جمع مدة خلافته التي في تسع عشرة سنة وتسعة أشهر سبعة صناديق من الجواهر والملبوسات الفاخرة وكان يحفظ مناجيحها عنده ولما توفي لم يجدوا قبصاً خارجاً عنها بلفوفة بـ ٠ وفي خلافته تحمل المسلمون اول هزيمة في المغرب قرب بواطير (سنة ١١٤-٧٢٢) ضد كارلوس مارتيلو فان العرب بعد ان حاربوا ايود حاكم اكيثانية بن صبيته من الفوط والكوكصون والفرنسيين تجاوزوا البرنات فاتحين جنوب فرنسا وحلوا برهون وكسكونيه وما حول بورضو ودخل كثير من سكان تلك البلاد في الاسلام من كارونه الى رودان وكان ذلك في عهد عبد الرحمن الوالي في اسبانيا وهذا الامير لما راي النصر في وجهه عزم على فتح بقية فرنسا ومن بعدها اوربا كلها فجهز عسكرياً غفيراً (سنة ١١٢-٧٢١) وقطع البرنات ورودان كما ذكرنا في المحاصر على ارض وفتحها عنوة وقتل خلفا كثيراً وتجاوز نهري كارونه ودردونه من جهة المحيط وهما اللذان يصبان في خليج بورضو والتقى بعساكر ايود الثانية فانه كان قد هزمه اولاً وفتك بهم وقتل منهم ما لا يعد وامتدت من هناك عساكر المسلمين في ولايات اكيثانية مثل بريغرد وصانطنج وبواطو وضربت عبد الرحمن مضاربة اخيراً امام طورس ونس وقطع بعض العسكر بوركونية وحلوا امام مدينتي ليون وبنزون الشهيرتين ولما لم يجدوا ما يكتفون من السلب فيها لتأخر الصنائع وقتئذ والاقتصاد في المروشات نهبوا الاديرة والكنايس واحرقوها ونهبوا ايضاً قبر مارايلاريوس في بواطير ومارميرينوس في طورس لغنائها وهكذا كلما وجدوا في طريقهم مسافة الف ميل من جبل طارق

ولما راي الفرنسيون ما حل بهم من الخراب والدمار انتخبوا كارلوس المذكور من امراء البلاط الملكي المستلق بنسب بينوس وكان كارلوس مقدماً ذا دهاء وفطنة محبوباً من اصحابه مرهوباً من اعدائه وكان اهل فرنسا يتسألون مذعورين « ما هذا الذل طالما سمعنا بقوة العرب وكنا نخشى منهم من جهة المشرق فما بالهم فتحوا اسبانيا واتونا من نحو المغرب اتركهم يلهثون بلادنا وهم اقل عدداً منا وسلاحهم اقل من سلاحنا » وبكلام مثل هذا كانوا يجهلون بعض اما كارلوس (قارله) فبعد ان اجاب طلب الاهالي امرم ان لا يعارضوا العرب ولا يتخاطروا بذواتهم قائلاً « هؤلاء القوم هم كنهز جاري لا يمكن توقيف مائو وحسب الغنى والمجد مضاعف جزائهم والجرأة تغلب الكثرة فدعوم يكفون من النهب حتى اذا ما اكتفوا يعمرون بحركاتهم ويكون ذلك سبب للاختلاف بينهم » ثم جمع عساكره وقد وصلت اهالي جرمانية وغيرهم لمساعدته وركب على الاعدا فوجد في وسط فرنسا ما بين مدينة طورس وبواطير وكان وصوله اليهم بغتة لجهنم خافيا عن انظارهم بسلسلة جبال ثم انتفض عليهم والفتوه بجرأة متساوية واشتبكت جيوش المشرق والمغرب

للقنال وكان ذلك القتال موقوفاً عليه تغير هيئات الامور في اوربا وبقيت الحرب سبعة ايام وكانت في السنة الاولى خفيفة والوجه فيها للعرب اما اليوم السابع فامتد فيه الطعان واشتعلت النيران وتصادم الفريقان واظهر الجرمين شجاعة ومقدرة لا مزيد عليها وقد ساعدتهم على ذلك عظم ابدانهم واتجلى القتال عن هزيمة العرب وقتل عبد الرحمن فانكفأت جيوشهم الى الخيام بحالة كثيفة ووقع النزاع فيما بينهم وجردوا السلاح على بعضهم بعضاً واخذ كل من الامراء والقواد وانباغهم بالفرار ولم يبق منهم احد الى الصباح . ولما نظر النصارى انقطاع الصوت في خيام الاعداء ظنوا ذلك حيلة ولكنهم وجدوه بعد التحقيق صحيحاً ولم يتركوا وراءهم من السلب الا قليلاً فاتتشر خبر هذا الانتصار في كل اوربا وعادت العساكر الجرمانية مكلفة بالظفر ورجع ايود الى ماموريتو وكان ذلك اخر ما افترقه العرب بنفق فرنسا . ولم ينزل كارلوس الملقب بالمهدة يطاردتهم حتى تجاوزوا البرنات . ومن العجب المخلص بذلك العصران كارلوس الذي خلص بلاده واوربا كلها من العدو لم ينل شكرًا عن ذلك من الاكليروس لانه استخدم اموال الاساقفة والكهنة لحير الوطن بل انهم ابغضوه وحكموا عليه بالهلاك حتى ان بعضهم كتب كتاباً بعد موت كارلوس الى كارلوس ونيجيوس من ذريته يقول فيه ان جده قد قضى عليه بالهلاك واستشهد على ذلك بان عند فتح ضريحه خرجت منه تئانة نارية لم يشم نظيرها ونظر فيه ثعبان مخيف وبان احد القديسين شاهده يتعذب روحاً وجسداً في الاعماق الابدية ومن مورخي المسلمين من يجعل ذلك في عهد موسى والاصح ما تقدم . قال الكنجاري في المسهب ان موسى بن نصير نصره الله نصرًا ما عليه مزيد واجملت ملوك النصارى بين يديه حتى خرج على باب الاندلس الذي فيه الجبل المحاجر بينهما وبين الارض الكبيرة فاجتمعت ملوك الافرنج الى ملكها الاعظم قارله وهذا اسم ملكهم فقالت له ما هذا الخزي الباقي في الاعقاب كنا نسمع بالعرب وثغافهم من جهة مطلع الشمع حتى اتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظم ما فيها من العدة والعدد يجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لادروع لم فقال لهم ما معناه الراي عندي ان لا تعترضهم في خرجتهم هذه فانهم كالسبل يحمل ما يصادرونهم في اقبال امرهم ولم نيات نفني عن كثرة العدد وقلوب نفني عن حصانة الدروع ولكن اهلوم حتى تمثلي ايديهم من العنائم ويتغذوا المساكن ويتنافسوا في الرياسة ويستعين بعضهم ببعض فحيثما تمكنون فيهم بايسر امر فكان كذلك بالفتنة التي طرات بين الشاميين والبلديين والبربر والعرب والمضرية والبيانية وصار بعض المسلمين يستعين على بعض من يجاورهم من الاعداء - وقيل ان موسى بن نصير اخرج ابنه عبد الاعلى على تدمير فتحها والى غرناطة ومالقه وكورة ربة ففتح الكل

وقيل ان موسى بن نصير كان يرغب جدًا الوصول الى جليقية وبيننا هو كذلك اتاه

مغيث الرومي رسول الوليد بامرٍ بالخروج عن الاندلس والاضراب عن الوغول فيها وبأخذة بالتفول اليه فساء ذلك موسى ومنعه عن ارادته اذ لم يكن في الاندلس بلد لم تدخله العرب غير جليقية فكان شديد الحرص على افتتاحها فلاطف موسى مغيثاً رسول الخليفة وسأله انظاره الى ان ينفذ عزمه في الدخول اليها والمسير معه في البلاد اياماً يكون شريكاً في الاجر والخدمة ففعل ومشي معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن (بارو) وحصن (الك) فاقام هناك وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي على البحر الاخصر فلم تبقى كنيسة الا هدمت ولا ناقوس الا كسرو طاعت الاعاجم (اي الفرنج) فلاذوا بالسلم وبذل الجزيرة وسكنت العرب المفاوز فانتسح نطاق الاسلام . وبينما موسى كذلك اذ قدم عليه رسول اخر من الخليفة يكنى ابا نصر اردف به الوليد مغيثاً لما استبطا فنول موسى وكتب اليه يوبخه وبامرٍ بالخروج فاقطع من مدينة لك بجليقية وخرج على الثلج المعروف بفتح موسى وداناه طارق في الطريق منصرفاً من الثغر الاعلى فاقفاه مع نفسه ومضيا الى اشبيلية فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس واقرة باشبيلية وركب موسى البحر الى الشام (سنة ٩٥) انتهى ملخصاً عن المقري وتوفي هشام بن عبد الملك (سنة ١٢٥) بالرصافة بمرض الذبحه وعمره خمس وخمسون سنة وكان احوال وخلف عدة بين منهم معاوية ابو عبد الرحمن الداخل الذي في الاندلس وكان هشام حازماً سديد الرأي غزير العقل عالماً بالسياسة وهو الذي بنى الرصافة بالشام ودعيت رصافة هشام وابنى بها قصرين وبها دبر معروف وفي حسنة التربة صحبة الهواء

اما الصوائف ففي ايام يزيد سنة (١٠٢) غزا عمر بن هبيرة الروم في ناحية ارمينية وهو على الجزيرة فهزمهم واسر منهم وقتل سبعاً اسير . وغزا العباس بن الوليد ايضاً وغنم ثم (غزا سنة ١٠٣) ففتح مدينة رسة ثم غزا الجراح الحكيم ايام هشام (سنة ١٠٥) فبلغ وراء بلنجر وغنم . وغزا في هذه السنة سعيد بن عبد الملك ارض الروم وبث الف مقاتل في سرية فهلكوا جميعاً . وغزا فيها مروان بن محمد بالصائفة اليمنى ففتح مدينة قريية من ارض الزوخ . ثم غزا سعيد بن عبد الملك بالصائفة ايام هشام (سنة ١٠٦) ثم غزا مسلمة بن عبد الملك الروم من الجزيرة وهو وال عليها ففتح قيسارية . وغزا ابراهيم ابن هشام ففتح حصناً . وغزا معاوية بن هشام بالبحر قبرس وغزا (سنة ١٠٩) ففتح حصناً اخر يقال له طبة . وغزا (سنة ١١٠) بالصائفة عبد الله بن عتبة النهري وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية . وغزا بالصائفة اليسرى (سنة ١١١) معاوية بن هشام والصائفة اليمنى سعيد بن هشام وفي البحر عبد الله بن ابي مریم . وفتح معاوية في صائفة (سنة ١١٢) مدينة خرشفة . وغزا (سنة ١١٣) عبد الله البطال فانهزم وقتل عبد الوهاب في اصحابه . ودخل معاوية بن هشام ارض الروم من ناحية مرعش . ثم غزا (سنة ١١٤) بالصائفة اليسرى اصحاب ريش القرى والنقي

عبد الله مع قسطنطين فجزه واسره . وغزا سليمان بن هشام بالصائفة اليسرى فبلغ قيسارية وهزم مسلمة بن عبد الملك خاقان وباب الباب . وغزا معاوية بن هشام بالصائفة (سنة ١١٥) . وغزا سليمان بن هشام بالصائفة اليسرى (سنة ١١٧) . وسليمان بن هشام بالصائفة اليمنى من ناحية الجزيرة وقرق السرايا في ارض الروم . وغزا معاوية وسليمان ارض الروم (سنة ١١٨) وغزا فيها مروان بن محمد في ارمينية ودخل ارض وارقيس فهرب وارقيس الى الحرور فنازل مروان حصنه وحاصره وقتل وارقيس بعض من اجنازه وبعث برسالة الى مروان . وغزا مروان بن محمد من ارمينية ومرت ببلاد اللان الى بلاد الخزر على البحر وسندره وانتهى الى خاقان فهرب خاقان منه . وغزا سليمان بن هشام (سنة ١٢٠) بالصائفة فافتتح سندره . وغزا اسحق بن مسلم العقيلي قومانساه وافتتح قلاعته وضرب ارضه . وغزا مروان من ارمينية (سنة ١٢١) وافتى قلعة بيت السرب وقتل وسي ودخل حصنا له يسمى جورج فيو سربير الذهب فنازله مروان حتى صالحه على الف فارس كل سنة ومائة الف مدني ثم دخل ارض ارزف ونضران فصالحه ملكها ثم ارض نومان كذلك ثم ارض حمدين فاخرب بلاده وحصر حصنا له شهرا حتى صالحه ثم ارض مداد فتحمها على صلح ثم نزل كيلان فصالحه اهل طبرستان وكيلان وكل الولايات على شاطي البحر من ارمينية الى طبرستان . وغزا مسلمة بن هشام الروم في هذه السنة فافتتح بها مقامير (وسنة ١٢٢) قتل عبد الله بن حسين الانطاكي المعروف بالبطل وكان كثير الغزوي في بلاد الروم والاغارة عليهم وقدمه مسلمة على عشرة الاف فارس . وغزا (سنة ١٢٤) سليمان بن هشام بالصائفة على عهد ابيو فلقلي ليون ملك الروم وهزته وغنم . واسنة ١٢٥ خرجت الروم الى حمن زبطره وكان افتتحه حبيب بن مسلمة الهري وس . و غزا غير محكم فاخربوه ثانيا ايام مروان ثم باه الرشيد وطرقه الروم ايام المامون فشعبوه فامر بينائو ونحصبوه ثم طرقوه ايام المعتصم وخبره معروف

وفي هذه السنة اغزا الوليد بن يزيد بالصائفة اخاه عمر وبعث الاسود بن بلال المخاري بالبحش في البحر الى قبرس ليغير اهلها بين الشام والروم فافترقوا فرقتين (انتهى ملخصا عن ابن خلدون)

تمة هذا الفصل

في دول الاسلام والخوارج

اعلم ان المسلمين اتقسموا في بادي الامر على ثلاثة ما بين ان تكون في اهل البيت او في قبيلة قريش . وقدسي الفريق الاول اهل الشيعة والفريق الثاني اهل السنة والجماعة . وكلها راجع الى تخصيص الخلافة في قريش على ان الشيعة اكثر اختصاصا لانهم يجعلونها في بني هاشم احد فخذى

بني عبد مناف لا غير . ثم ظهرت الخوارج بعد التحكيم في صفين بين الامام علي ومعاوية بن ابي سفيان
 وم قوم شعارهم النداء « بلا حكم الا لله » فلم يزل الاسلام دولة واحدة ايام الخلفاء الاربعة وبني امية
 من بعدهم لا اجتماع العصبية ثم ظهر من بعد ذلك امر الشيعة وهم الدعاة لاهل البيت الى ان علت دعاة
 بني العباس واستقلوا بخلافة الملك كما سيأتي ولحق الفل من بني امية بالاندلس فقام بامرهم فيها
 وانقسمت لذلك دولة الاسلام الى دولتين واقتربت العصبية ثم ظهر دعاة اهل البيت ايضا في المغرب
 والعراق من العلوية ونازعوا العباسيين واستولوا على اطراف البلاد كالادارة بالمغرب الاقصى .
 والعبيديين بالقيروان ومصر . والترامطة بالبحرين . والدواعي بطبرستان والديلم . والاطروش فيها من
 بعده . وتجزأت دولة الاسلام دولاً متفرقة . وقد ذكرنا الى الان دولة الاسلام الاولى وسياتي ذكر الثانية
 اما الخوارج فهم حزب الحرية وهذا الحزب كان اولاً من طرف الامام علي قال ابن خلدون
 « وفيما تله اهل الآثار ان عمر قال يوماً لابن العباس ان قومكم يعني قريشاً ما ارادوا ان يجمعوا لكم
 يعني بني هاشم بين النبوة والخلافة فجمعوا عليهم وان ابن العباس انكر ذلك وطلب من عمر اذنه
 بالكلام فتكلم بما عصب له وظهر من محاورتها انهم كانوا يعلمون ان في نفس اهل البيت شيئاً من امر
 الخلافة والعدول عنهم بها قال « وفي قصة الشورى ان جماعة من الصحابة كانوا يتشيعون لعلي
 ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به الى سواه تاففوا واسفوا له مثل الزبير ومعه عمار بن يار
 والمقداد بن الاسود وغيرهم الا ان القوم لرسوخ قدمهم في الدين وحرصهم على الالف لم يزدوا في
 ذلك عن النجوى بالنفاق والاسف . ثم لما فشا التكبر على عثمان والطعن في الافاق كان عبد الله
 بن سبا ويعرف بابن السوداء من اشد الناس خوصاً في التشيع لعلي بما لا يرضاه من الطعن على عثمان
 وعلى الجماعة في العدول اليه عن علي وانه ولي بغير حق فاخرجه عبد الله بن عامر من البصرة ولحق
 بمصر فاجتمع اليه جماعة من امثاله جنحوا الى الغلو في ذلك واتبعوا المذاهب الفاسدة فيه مثل خالد
 بن ملجم وسودان بن حمدان وكنانة بن بشر وغيرهم ثم كانت يعة علي وفتنة الجمل وصفين وانحراف
 الخوارج عنه بما انكروا عليه من التحكيم في الدين وتحضت شيعة للاستئانة معه في حرب معاوية مع
 علي وبويع ابنه الحسن وخرج عن الامر لمعاوية فسيخط ذلك شيعة علي منه واقاموا يتناجون في السر
 باستحقاق اهل البيت « انتهى »

وحينئذ اصراً الخوارج على عدم قبول تحكيم في الامر وابوا الا الحرب مع كل ملاطفة علي لم وجعلوا
 شعارهم ملاشاة الخلافة وبابعدوا عبد الله بن وهب الراسي فقاتلهم علي بالنهروان وقتلهم اجمعين . ثم خرج
 من فلهم طائفة بالانبار ثم طويقة اخرى مع هلال بن علي ثم اخرى ثالثة ثم اخرى على المداين ثم
 اخرى بشهروز . وفي كل ذلك كانوا يجارون ويستاصلون . ومن الشهر وزية لم يبق الا نحو خمسين

نفرًا استامنوا واقتربوا شمل الخوارج ومنهم كان الثلاثة الذين تقدم ذكرهم في قتل الامام علي ولما قام معاوية على تخت الخلافة ظهروا ايضًا وتقاتلوا مع عماله الى ان قوي عليهم (سنة ٤١) وقتلهم ولم يبق منهم الا نحو خمسين دخلوا الكوفة وتفرقوا فيها

ثم خرج فروة الاشجعي وقتله رسول المغيرة بن شعبه في شهر رور ثم بعث المغيرة فقتل بالشبهة ابن ايجر من اصحاب شبيب بن ملح الذي بشر معاوية بقتل علي ثم قتل معن بن عبد الله الحارثي لاثا ابي مهابنة معاوية ثم خرج ابو مرهم مولى بني الحارث بن كعب وحزب معه النساء فبعث المغيرة من قتله وحزبه معه ثم ابو ليلى فارسل المغيرة عليه من اهلكه في الكوفة (سنة ٤٢) ثم خرج علي ابن عامر في البصرة سهم بن غانم الجهني ومعه نحو سبعين نفرًا وقتلوا بعض الصحابة الحاضرين من الغزويين الجسرين والبصرة فقدم عليهم ابن عامر وقتل منهم عدة ثم اجتمع الخوارج بالكوفة فحوار بعناية في منزل حيان بن ضبيان وتشاوروا في الخروج وتدابروا الامارة ثم انتقلوا على المستورد بن عتلة التيمي من تيم الرباب فكبسهم المغيرة وسجن حيان واقلت المستورد فنزل الحيرة واختلف الخوارج اليه وخرجوا ولحقوا بالصراة في ثلثاية فجهزهم معقل بن قيس في ثلثاية الف معظمهم من شيعة علي فجاء الخوارج ليعبروا النهر الى المدائن فمنعهم عاملها سمحان بن عبد العباسي ودعاهم الى الطاعة على الامان فابوا وساروا الى المذار وبلغ ان عامر خبرهم فاجتمعت عليهم قواد ابن عامر مثل ابي الرواع الشاكري ومعقل بن قيس وشريك بن الاعور الحارثي . فتفقهروا الخوارج فلقنهم ابو الرواع يخرجهم فقاتلهم وانهزموا الى ساباط فتبعهم وقتل معقل قتله المستورد وهذا تقدم والرحم فيه قسم دماغ المستورد بالسيف وماتا جميعًا ثم حمل الناس على الخوارج فقتلهم ولم ينج منهم الا خمسة اوسنة

وخرج (سنة ٥٢) ابن حراش العجلي في ثلثاية بالسواد فبعث اليهم سعيد بن حذيفة في خيل فقتلهم ثم خرج اصحاب المستورد حيان بن ضبيان ومعاذ من طي فصادفهما ما صادف الاولين . ثم ظهروا بالبصرة (سنة ٥٨) وآل الاسر الى هزيمتهم واشتد ابن زياد على الخوارج وقتل منهم جماعة كثيرة وروح اليهم مرة عباد بن علقمة المازني فكبسهم «بتوج» وهم يصلون فقتلهم اجمعين ما بين راح وساجد ورجع الى البصرة براس ابي بلال مرداس وامر عبيد بن ابي بكر بتتبع الخوارج فاخذهم وحبسهم واخذ الكفلاء على بعضهم

ثم توفي يزيد واستنحل امر ابن الزبير بمكة فاجتمعوا اليه ولكنه لم يقبل فدفعهم بعثمان وانكارهم خلافة الشيعين ابي بكر وعمر فقتلوا منه وتبرا منهم واقتربوا وانقسموا فيما بعد الى اربع فرق: ازارقة وم اصحاب نافع بن الازرق وكان راية البراءة من سائرة المسلمين وتكفيرهم والاستعراض وقتل

الأطفال واستحلال الأمانة وم أشبه بالشيعة الحمراء أو الكهون الذين ظهرُوا في فرنسا سنة ١٨٧٠ والفرقة الثانية . النجدية . وم بخلاف الأزارقة في ذلك كلوا أشبه بالشيعة الاحتفاظية . والثالثة الاباضية . وم اصحاب عبد الله بن اباض المري ويرون ان المسلمين كلهم بحكم لم بحكم المنافقين فلا ينتهون الى الراي الاول ولا يقتنون عند الثاني . فلا يجرمون مناهكة المسلمين ولا موارثتهم ولا المنافقين فيهم وم عندهم كالمنافقين وقول هؤلاء اقرب الى السنة ومن هؤلاء البيهية اصحاب ابي يهس هيصم بن جابر الضبي والفرقة الرابعة الصفرية . وم موافقون للاباضية الا في العقدة فان الاباضية اشد على العقدة منهم . وكان الخوارج من قبل هذه القسمة على راي واحد لا يختلفون الا في الشاذ من الفروع

ولما جاء نافع الى نواحي بصرة (سنة ٦٤) واقام بالاهواز يعترض الناس جرى بينهم وبين عمال ابن الزبير قتال فيه قتل ربيعة بن الاخرم واقيم عوضه حارثة بن بدر فرد الخوارج على الاعقاب ونزل الاهواز ثم عزل عن البصرة عبد الله ابن الحارث وبعث ابن الزبير عليها ان ابي ربيعة فزحف الخوارج الى البصرة . وأشار الاحتف بتولية المهلب حروبهم وكان المهلب واليا على خراسان من لدن ابن الزبير فاستشاروا ابن الزبير بذلك فاجاب اليه . فاخثار المهلب من الجند اثني عشر الفا وسار اليهم فدفعهم عن الجسر وجاء حارثة بن بدر بن كان معه في قتال الخوارج وردم الى جماعة المهلب وتوجه حارثة بحرا يريد البصرة ففرق في النهر . وسار المهلب وعلى مقدمة ابنة المغيرة فقاتلهم ودفعهم عن سوق الاهواز الى مادر ونزل المهلب بسولاف وقاتله الخوارج فاستظفروا على المهلب فتارك قتالهم وقطع دجيل ونزل العقيل ثم قام ونزل بقرهم واذكى العيون والحرس وجاء منهم عبدة بن هلال والزبير بن الماخور في بعض الليالي ليبتغوا عسكر المهلب فوجدوه منتبظين فخرج اليهم المهلب في الغد في ثعبته والازد ونعيم في ميسته وبكر وعبد القيس في ميسرته واهل العاليه في القلب وعلى ميمته الخوارج عبدة بن هلال الشكري وعلى ميسرته الزبير بن الماخور واقتتلوا وانكسر عسكر المهلب وسبق المهلب المنهزمين الى ربة ونادى فيهم فاجتمع له ثلاثة الاف اكثرهم من الازد فرجع بهم وقصد عسكر الخوارج واشتد القتال وقتل ابن الماخور عبد الله ونكف الخوارج راجعين الى كرمان وناحية اصبهان واستخلفوا عليهم الزبير بن الماخور . واقام المهلب بمكانه الى ان جاء مصعب بن الزبير اميرا على البصرة وعزل المهلب

واشتهر من الخوارج نجدة بن عامر وعطية بن الاسود الحنفيان وهذا الاخير قتلته عساكر المهلب في قنديل من السند . واشتهر فيهم ابو فديك وتقوى حزمهم جدا لاسيما نجدة وكانت الحروب بينهم وبين اتباع الخلافة دائمة وبشراسة خارجة عن حقوق الانسانية فلم يكونوا يحبرون الشيوع ولا

الاطفال ولا النساء حتى انهم كانوا يشقون بطون الحمالي ويقتلون الاجنة في بطون امهاتهم فكان قتال الطرفين اشبه بقتال استئصال . ومن كان من الخوارج ضد ابن الزبير عبد الله بن الحر الذي اشتد وتقوى واخيراً الحق بعبد الملك بن مروان من الامويين ومات غرقاً في دجلة بعد ان اتحن بالجراح مقاتلاً في حزب الدولة الاموية . والخوارج مع عبد الملك والحجاج بن يوسف الثقفي . مواقع عديدة وقد اشتهر بذلك الازارقة والصفرية وشبيب بن الاشعث ومطرف من بني المغيرة بن شعبه ونحوهم كثير في كل مدة بني امية . وكان مطرف على المدائن ومبادئه الدعاة الى الكتاب والسنة على الشورى كما تركها عمر بن الخطاب حتى يولي المسلمون من يريدونه . ولشيبان الحروري ابن عبد العزيز اليشكري مواقع شهيرة مع عساكر مروان الحمار اخر بني امية وبعده مع العباسيين (سنة ١٢٤) . قتل جلندي بن مسعود شيبان في عمان . ومن اراد معرفة كل ذلك ودقائق اخبار الخوارج فليطالع المطولات ولم نذكرهم هنا الا بيانا لظهور الحرية في الاسلام من اولوقدسك في تاييدها انهم من الدم في عدة من قرونه الاولى ووجد في المشرق الاحزاب السياسية الموجودة الان مثل اباحية واشتراكية وارتباطية وجمهورية حمراء وبيضاء وفوضوية وشورية ونحوها . ودام الخوارج في مدة الدولة العباسية كما سيأتي

اما الشيعة ودولهم فقد تقدم ان شيعة علي سخطت منه ومن ولده الحسن بخلعوا نفسه وتسليم الامر لمعاوية الخ . ثم انهم كتبوا للحسين بالدعاء له فامتنع ووعدهم الى موت معاوية فساروا الى محمد بن الحنفية وبايعوه في السر على طلب الخلافة متى سخط الفرصة وولى على كل بلد رجلاً . وكان معاوية متيقظاً لهممهم بسياسة عميقة احياناً بالنخبة وحياناً بالاستعمال والنساج الى ان مات ونهض يزيد وخرج الحسين فقتل وكان ذلك من اقبح الامور في الاسلام وهيمان الثن ونوغل الشيعة وعظم التكبر والطعن على من تولى ذلك او قعد عنه ثم تلاوموا على ما قصروا به في امر الحسين من دعوتهم وعدم نصرته فندموا وتابوا ولم يبروا كفارة الا في الاسفانة دون ثاره وسموا انفسهم « الثوابين » وخرجوا لذلك وعلى راسهم سليمان بن صرد الخزاعي ومعه جماعة من خيار اصحاب علي وكان ابن زياد قد انتفض عليه العراق فلقى بالشام . فزحف سليمان قاصداً العراق فزحفوا اليه وقاتلوه حتي قتل سليمان وكثير من اصحابه . ثم خرج الخنار بن عبيد ودعا لمحمد بن الحنفية وفشا التعصب لاهل البيت في العامة والخاصة واختلفت مذاهب الشيعة في من هو الحق بالامر من اهل البيت انفسهم وبايعت كل طائفة لصاحبها سراً . ورشح الملك لبني امية وطوى هؤلاء الشيعة قلوبهم على عقائدهم مع تعدد فرقهم وكثرة اختلافهم ثم نشأ زيد بن علي بن الحسين وقرا علي واصل بن عطاء امام المعتزلة وكان واصل المذكور متردداً في اصابة علي في حرب صفين والجمل فتشرب زيد مبادئه وكانت اخوة محمد الباقر

يعذله لذلك فكان زيد مع قوله بافضلية علي على اصحابه يرى في صحة بيعة الشيخين بخلاف الشيعة
ثم دعتهم الى المحال الى الخروج بالكوفة (سنة ١٢١) واجتمع له عامة الشيعة ورجع عنه بعضهم لما
سمعه يثني على الشيخين فرفضوا دعوته وسموا «الرافضة» ثم قاتل زيد المذكور يوسف بن عمر فقتله
يوسف وبعث براسه الى هشام وطلب ثلوه بالكوفة ولحق ابنه يحيى بخراسان فاقام بها ثم دعتهم شيعة
الى الخروج فخرج هناك (سنة ١٢٥) فصرح اليه نصر بن سيار عسكريا مع سالم بن احوار المازني
فقتلوه وبعث براسه الى الوليد وطلب ثلوه بالجوزجان واقترض الزيدية واقام الشيعة على شانهم
واستطاع امرهم والدعاهم في النواحي يدعون على الاحمال للرضا من آل محمد ولا يصرحون بهن
يدعون له حذرا عليه . وكان شيعة محمد بن الحنفية اكبر شيعة وكانوا يرون ان الامر بعد محمد بن
الحنفية لابن ابي هشام عبد الله فاتفق اثنان من بني بعض اسفاره بمنزل محمد بن علي بن عبد الله بن
عباس بالحبيمة من اعمال البلقاء فقتل عليه وادركه المرض عنده فمات واوصى له بالامروقد
كان اعلم حربة بالعراق وخراسان ان الامر صائر الى ولد محمد بن علي هذا فلما مات قصدت
الشيعة محمد بن علي وبايعوه سرا وبعث الدعاء منهم الى الآفاق على راس المائة من الهجرة في ايام
عمر بن عبد العزيز واجابه عامة اهل خراسان وبعث عليهم النقباء وتداول امرهم هناك وتوفي محمد
سنة اربع وعشرين وعهد لابن ابراهيم وكان يدعى الامام كما سيأتي

الباب الثاني وتحتة فصول

فصل

في الربع الثاني من القرن الثاني وفيها انقراض دولة بني
امية وقيام بني العباس وخلافة السفاح والمنصور منهم

وبعد موت هشام نهض الوليد بن يزيد ثم يزيد الناقص ثم اخوه ابراهيم وكل ذلك في مدة
اقل من ثلاث سنين فان ابراهيم الاخير لم يبق اكثر من اشهر قليلة وقيل سبعين يوماً وخلافة هؤلاء
الثلاثة لم تكن شهيرة في دولة بني امية الا في ازدياد القلاقل والاضطرابات الداخلية . ثم نزع الملك
من ابراهيم مروان بن محمد وكان والياً على ديار الجزيرة بانتصاره على سليمان بن هشام امير جيوش
ابراهيم وكانت جنود سليمان مائة وعشرين الفا ومروان ثمانين الفا واخفى ابراهيم وقتله ونهب مروان
بيت المال وفرقه في اصحابه وكان ذلك (سنة ٧٤٤ - ١٢٧) ثم بويج بدمشق ورجع منها الى منزله
بحران وكان اخر هذه الدولة ثم امن ابراهيم المخلوع وسليمان بن هشام . وفي اول خلافة عصي عليواهل
حصص واتى الامر بطاعتهم وهدم بعض سورها وصلب بعض اهلها . ولم يكمل اخضاع المحمصين حتي اتي
الخبر بعصاة اهل القوطة وقد ولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وحصروا دمشق فارسل عليهم
مروان عشرة الاف فارس مع ابي الورد بن الكوثر وعمران الصباح فحملا على القوطة وخرج اهلها
لقتالها لكنهم انهزموا فنهجم العسكر واحرقوا المنزة وغير قري ثم عصت فلسطين ومقدمهم ثابت بن
نعيم فكذب مروان الى ابي الورد فسار اليه وهزمه على طبرية ثم اقتتلوا على فلسطين وانهزم ابن نعيم
وتفرق اصحابه واسر ابو الورد ثلاثة من اولاده وبعث بهم الى مروان ثم سار مروان بن محمد
الى قرقيسيا فظهر سليمان بن هشام بن عبد الملك وخلته واجتمع اليه من الشام سبعون الفا وعسكر
بقنسرين والتقاء مروان من قرقيسيا وجرى بينهما قتال شديد فبوا انهزم سليمان بن هشام وقتل من
عسكره نحو ثلثين الفا ثم قام سليمان الى حصص واجتمع اليه اهلها وجمع نفسه وعسكره الشتيت فتبعه
مروان وهزمه ثانية فذهب الى تدمر وحاصر مروان اهل حصص مدة الى ان طلبوا الامان فامنهم
وفي سنة ١٢٨) ارسل مروان بن محمد يزيد بن هبيرة الى العراق لقتال من يؤمن بالخوارج
(وسنة ١٢٩) تجددت دعوة بني العباس بخراسان وقوي حزمهم وقد تقدم كيف انة من عهد يزيد

الاول (في سنة ١٠١) من الهجرة كان قد اخذ محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عم الرسول يدعي بحق الخلافة فارسل اثني عشر رسولا الى العراق وخراسان وما وراء النهر ليحزبوا الناس اليه مظهرين ان بني العباس هم حقا من بني هاشم اقارب الرسول وان بني امية ليسوا الا مفتنسين . وكان محمد المذكور قد جمع اليه حزبا قويا مدة الاربع سنوات التي ولي فيها يزيد . وبعد توفي يزيد قرب الكوفة هجم التحزب لقيام خليفة جديد وكان موت يزيد من الغم على احدي حظياتي التي كان يحبها نالوا الله بها كان يخطط يوما مع حظيته المذكورة في بعض البساتين اتى اليه بطبق من الفاكهة الفاخرة فاخذ حبة من العنب عجيبه لكبرها وناولها للجارية فاخذتها واكتمها فغصت وماتت وشق ذلك على يزيد واخذ يروح ويبكي ويلطم نفسه وابقى جثتها عنده اسبوعا كاملا الى ان اتنت ولم يعد يقدر على الاقتراب منها فامر بدفنها ثم امر بفتح حجرها يوما ليراها وعندما نظرها اخذته رعدة انقضت بهوت .

ثم تجددت الدعوة بخراسان (سنة ١٢٩) في مدة ابي مسلم الخراساني . وكان ابو مسلم يختلف الى ابراهيم بن محمد ومثله الى خراسان وابراهيم يستعلم منه الاحوال . وكان ابو مسلم من مدة قبلها يساعد ابراهيم ويسند حقه للخلافة وقد اجاب اهل خراسان دعوة ابراهيم وقدموا له هدايا اربعين الف ذهب طابخين اليه الهوض وقبل ان ذلك كان في عهد ابي محمد . ولما دخلت السنة المذكورة اتفق على ان يذهب ابو مسلم الى خراسان ويمجد ذلك . ثم حج ابراهيم ومعه اخواه ابو العباس وابو جعفر وولده وعمه ومواليه على ثلاثين نجيبا بالثياب الفاخرة والرجال والاقبال فشهره اهل الشام واهل البوادي والحرمين وبلغ ذلك مروان الاموي وكان قد وقع بين ابي مسلم ونصر بن سيار امير خراسان مكاتبات طويلة انتهت الى قتال قتل فيه ابو مسلم بعض عمال نصر المذكور واستولى على ما بأيديهم وكتب نصر الى مروان بن محمد بطلبه بالحال وضمن كتابه ابياتا منها

ارى خلال الرماد وبض ناري وبوشك ان يكون لها ضرام

اذا لم يطفها غلاء قورم يكون وقودها جثث وهام

وكان ابراهيم المعروف بالامام يسكن هو واهله بالشرعة من الشام في قرية الحميمة نحو يوم من الشوبك وبينها وادي موسى فارسل مروان الى عامله بالبلقاء ان يسير الى ابراهيم ويقبض عليه ويبعث به اليه فاخذته مروان وحبسه في حران واقتلوه بالمحدد وضيقوا عليه حتى مات وكان مولده (سنة ٨٢) وقد اوصى الى اخيه ابي العباس ونهى نفسه اليه وامره بالمسير الى الكوفة

ففي سنة مائة وثلاثين تسلم ابو مسلم مروان ونزل في قصر الامارة وهرب ابن سيار وكان ابراهيم الامام عقد لواء يدعى الظل وراية تدعى السمحات على قحطبة خادمو وارسله بها الى ابي مسلم فجعل ابو مسلم قحطبة في مقدمته وجعل اليه العزل والاستعمال وكتب الى المجنود بذلك

و(في سنة ١٢٢) سار فخطبة في جيش كثيف قاصداً يزيد بن هبيرة أمير العراق وقطع الفرات والتقى به وهزيمة وقتل فخطبه وقام بالامر بعده ولده الحسن

ثم بويع ابو العباس السفاح واسمه عبد الله بالكوفة وكان مستخفياً بها في دارابي مسلمة فظاهر ودخل منزله ولما اصبح غدا عليه القواد في التعمية والهيئة وقد اعدوا له السواد والركب والديف فخرج ابو العباس في من معه الى قصر الامارة ثم الى المتصورة وصعد المنبر ثم خرج الى المسجد فخطب وصلى بالناس وكان ذلك في ١٢ ربيع الاول سنة ١٢٢

ثم استخلف عمه داود بن علي على الكوفة وارسل عمه عبد الله بن علي الى شهر روز وبعث ابن اخيه موسى بن محمد الى الحسن بن قسطنطين وهو يومئذ بمحاصر ابن هبيرة وبعث بجي بن جعفر الى محمد بن قحطبة بالمداين واقام هو نفسه في العسكر اشهرًا ثم ارتحل الى هاشمية الكوفة



ولما نظر مروان كل ذلك وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو بجهنم قام منها قاصداً ابا عون عبد الملك ابن يزيد الازدي الذي كان ولاء السفاح على شهر روز ولما وصل الى نهر الزاب نزل ويوحنا خندقاً وكان في مائة وعشرين الفاً والتقاء ابو عون بها معه من الجنود واردفه السفاح بعساكر في دفعوع وعدة قواد وكانت الرياسة لعبد الله بن علي العباسي ثم عقد مروان جسراً على الزاب وعبر الى الجهة الثانية وكان عسكر العباسيين نحو ٢٠ الفاً والتقى الجمعان واشتد بينهما القتال وكان ذلك في المكان الذي كانت من مدة ١٠٧٩ هزمت فيه عساكر الاسكندر جيوش ملك الفرس . وانجلى المقتلة عن انتصار العباسيين وانهم مروان وقتل جمع غفير وغرق مثل ذلك من رجاله وكان نهار سبت في ١١ جمادى الاخرى (سنة ٧٤٩ و ١٢٢) فمروان في انهزامه بالموصل فرأى السناجق سوداً فذهب الى حران واقام نيفاً عن عشرين يوماً حتى دنا منه عسكر السفاح فقام الى حمص ثم الى دمشق ثم الى فلسطين وكان السفاح كتب الى عمه عبد الله ان يتبعه فسار عبد الله في اثره الى دمشق فحاصرها ودخلها عنوة في رمضان واقام هناك ١٥ يوماً ثم سار الى فلسطين فورد اليه كتاب من السفاح بان يرسل اخاه صالحاً في طلب مروان فتبعه صالح حتى وصل الى نيل مصر ومروان ينهزم قدامه وهو يزداد فخراً وجراً حتى ادركه اخيراً في كنيسة في بوسبر وقد تبددت اصحابه وطعمته انسان يرح فقتله في ذي الحجة (سنة ٧٤٩ - ١٢٢) وكان يلقب بالبحار لقوته وبالحمدي وعمره ٦٢ سنة ومدة خلافته خمس سنين واشهرًا وكانت امه كردية ثم رجع صالح الى الشام وخلف ابا عون في مصر ولما وصل راس مروان الى السفاح سجد وشكر . ذكروا انه بينما كان مروان يحارب على الزاب رجل

عن فرسه لحاجة طبيعية فرجع الجواد الى الوراء فظن عسكره انه قتل فوقهم الخوف وهربوا
فصار ذهاب ملكهم مثلاً فتيل «ملك بني امية انتهى بيولة»

ولما قتل مروان هرب ولداه عبد الله وعبيد الله الى ارض الحبشة فقتل عبيد الله ونجا عبد الله
في عدة من اتباعه وبقي الى خلافة المهدي وحيتذر قبض عليه ابن الاشعث معتمد عامل فلسطين
وربعث به الى المهدي

وكان مروان حازماً شجاعاً ايضاً اشمل ضخماً كث اللحية ايضاً ربعة
وقد تناهى العباسيون في التنقام على الامويين فان السفاح بعد ان كان امن سليمان بن هشام
عاد فقتله وقيل ان ذلك كان باغراء السديف احد مقربيه اذ انشده

لا يغرنك ما ترى من رجال ان تحت الصلوع داء دوبا

فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها اموياً

وكان قد اجتمع عند عبد الله بن علي نحو تسعين ذكراً منهم فلما اجتمعوا للطعام دخل شبل
بن عبد الله مولى بني هاشم واغراه على قتلهم فامر عبد الله بهم فضربوا بالعمد حتى وقعوا وبسط
عليهم الانطاع ومد فوقهم الطعام واكل الناس وهم يسمعون انينهم حتى ماتوا (قلت يا لها من مادية
وحشية ينفر منها سماع البشر) وكانوا قد حملوا نساء مروان الى حران ومن الاغرب انهم هتكوا حرمة
الاموات ونشوا قبور بني امية بدمشق ولما اتوا الى هشام وجدوا جسمه صعباً فأمر بصلبه ثم حرقوا
بالنار ولم يفلت من ايديهم احد من الامويين الا عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل فانه
فر الى اسبانيا فقبلوه واسس الخلافة الاموية في قرطبة (سنة ١٢٩ - ٧٥٦) وقتل سليمان بن
عبد الله العباس جماعة من بني امية والقاهم في الطريق فاكلتهم الكلاب واخذ بثارا برهم بن محمد
والحسين بن علي بن ابي طالب من قاتليهما الى اخر الدهر وكانت مدة خلافتهم تسعين سنة وثلاثة اشهر
وثلاثة ايام منذ تنزل حسن عن الخلافة وخرج منهم اربعة عشر خليفة بالتوالي وامتد ملكهم من
بحر الخزر الى الاوقيانوس ومن كنج الهند الى بنابيع هيروس في اسبانيا

ثم ارسل السفاح عبد الله بن علي ضد ابي الورد بن كوثر لانه كان خلع الطاعة فالتقاء في
قنسرين نوقاته وانجلي الامر عن هزيمة عساكر ابي الورد وقتلوا ثم اخضع اهل دمشق لانهم عصول
ثانية وصار يحيى اخو السفاح على الموصل واليا وكان اهلها قد اخرجوا الوالي الذي بها فقتل منهم
نحو احد عشر الفا ثم امر بقتل نساءهم وصبيانهم وكان مع يحيى اربعة الاف زنجي فاستوقفته امرأة من
اهل الموصل وقالت له «تائف العربيات ان ينكح الزنوج» فامر كلابها فيه وقتلهم عن اخرهم
وانفذ السفاح اخاه المنصور واليا على الجزيرة واذر يمان وارمينية وولي عمه داود المدينة ومكة

واليمين واليامة وولي ابن اخيه عيسى الكوفة وسوادها وكان على الشام عمه عبد الله . وعلى مصر ابراهيم بن يزيد وعلى خراسان والحجاز ابو مسلم وجعل عمه سليمان على البصرة وكوردجلة والبحرين وعان . واستعمل عمه اسمعيل بن علي على الامواز . وتوفي عمه داود فولي مكانه زياد بن عبد الله الحارثي وعزل اخاه يحيى عن الموصل لكثرة قتله واقام عليها عمه اسمعيل

وكان (سنة ١٢٢ - ٧٥٢) قد استولى قسطنطين ملك الروم على ملطية وقالقيلا . ثم تحول السفاح من الحيرة الى الانبار وتوفي اخوه يحيى بفارس (سنة ١٢٤ - ١٢٥ - ٧٥١ - ٧٥٢) وكان قد ولاه اياها بعد عله عن الموصل

(وفي ذي الحجة سنة ١٢٧ - حزيران ٧٥٤) قضى السفاح نحبه وعمره ثلاث وستون سنة ومدة خلافته اربع سنين وثمانية اشهر . وكان طويلاً اقنى الانف ابيض حسن الوجه والحية ودفن بالبصرة العتيقة وكان دائماً يردد «من اراد ان يكون حليماً فليكن اولاً قاسياً» وبالسفاح تأسست الدولة العباسية وهي من دول الشيعة وفرقهم منها يعرفون بالكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن علي بن الحسين بعد علي بن ابي طالب ثم بعده الى ابنه هشام عبد الله ثم بعده الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بموجب وصيته كما تقدم ثم بعده الى ابنه ابراهيم الامام ثم بعده الى اخيه ابي العباس السفاح وهو عبد الله ابن الحارثية هذا هو مساقها سند الكيسانية ويسمون ايضاً الحرماقية نسبة الى ابي مسلم لانه كان يلقب بحرماق . وليني عباس شيعة يسمون الراوندية من اهل خراسان يزعمون ان احق الناس بالامامة بعد النبي هو العباس لانه وارثه وعاصبه لقوله «اولو الارحام بعضهم اولى ببعض الاية» وان الناس منته من ذلك الى ان ردها الله الى ولده ويتبراون من الشيعة ويميزون بين علي بن ابي طالب واوليائه . يا اهل الكوفة انتم لم يبق منكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بن ابي طالب وهذا القائم فيكم وعن السفاح (انتم ملخصاً عن ابن خلدون)

وكانت مدة تسلط الامويين بعالم على الاندلس من لدن الفتح من لذرقي (رودريكموس) سلطان الاندلس الفوطي وهو نهار الاحد لخمس خلون من شوال (سنة ٩٢ - ٧١٠) نحو اربعين سنة قمرية ومنها الى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن القهري عامل السفاح وتغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني من بني امية على سربرملكة قرطبة وهو يوم الاضحى (سنة ١٢٨ - ٧٥٥) ست سنين . وهذه هي الفترة بين ان حكموا بعالم وبواحد منهم نعم ان الخلافة الكبرى استقرت لبني العباس في اول الامر شرقاً وغرباً ولم يكن الامراء الامويون يفتخون سمة امراء المؤمنين لكنهم كانوا مستقلين في ملكهم ودولتهم مدة طويلة . واول من اتخذ لقب امير المؤمنين من امراء الاندلس كان

عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر وذلك بعد الثلاثمائة من الهجرة كما ستذكره في محله
 اما العمال المذكورون فهم طارق بن زياد مولى الامير موسى بن نصير . ثم موسى بن نصير
 نفسه وكلاهما لم يتخذا سريرا . ثم عبد العزيز بن موسى وسريته في اشبيلية . ثم ايوب بن حبيب
 النخعي وسريته قرطبة . وهكذا كل من بعده كانت قرطبة سريته . ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفي .
 ثم السخ بن مالك الجولاني . ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي . ثم عيسى بن عليم الكلي . ثم عذرة
 بن عبد الله النهري . ثم يحيى بن سلمة الكلي . ثم عفان بن ابي نسة النخعي . ثم حذيفة بن
 الاخوص القيسي . ثم الهيثم بن عبيد الكلابي . ثم محمد بن عبد الله الاشجعي . ثم عبد الملك بن
 قطن النهري . ثم بلج بن بشر بن عياض الفشيري . ثم ثعلبة بن سلامة العاملي . ثم ابو الخطار بن
 ضرار الكلي . ثم ثوبان بن سلامة الجذامي . ثم يوسف بن عبد الرحمن النهري وعدد من عشرين حكما
 الاندلس من غير موارثة ولم يتعدوا في السمة لفظ الامير

في خلافة ابي جعفر المنصور وهو ثانيهم (من سنة ١٢٧ - ١٥٨ - ٢٥٤ - ٢٧٤)

وكان السجاح قد عهد بالخلافة لابي جعفر ومن بعده لابن اخيه عيسى بن موسى وعقد العهد في ثوب
 وسلمة الى عيسى وعند موته كان المنصور في الحج فاخذ له البيعة على الناس عيسى المذكور واعلم بذلك
 وكان ابو مسلم مع المنصور فبايعه ابو مسلم وبايعه الناس (سنة ١٢٧ - ٢٥٤) ثم قدم وذهب الى
 الانبار وارسل ابو مسلم ضد عمه عبد الله بن علي لانه كان بايع نفسه بالخلافة فذهب واقتل في
 ارض نصيبين وبعد مواقع انهزم عبد الله الى العراق واستولى ابو مسلمة على العساكر
 وكان قد حدث ما بين المنصور وابي مسلم ما جعل تنورا وحمدا في قلب المنصور فانها لما حجا كان
 ابو مسلم يظهر الكبر ويكسر الاعراب ويصلح الاراء والطرق فاخذ بذلك الشهرة على المنصور . وعند
 رجوعهما كان ابو مسلم يتقدم المنصور فاراد المنصور ان يبعد عنه رجلا مخطرا كابي مسلم فكتب
 اليه بعد هزيمة عمه بالولاية على مصر والشام وصرفه عن خراسان . فلم يجب ابو مسلم الى ذلك
 فارسل المنصور يطلب حسابا عن الكسب الذي اخذه ابو مسلم في الحرب فاجاب ابو مسلم الرسول
 « اني قد اعطيت الى الان حسابا عن الدم والقتلى فلا يجب ان يشك في ما يتعلق بالكسب » ثم
 ذهب المنصور الى المدائن وطلب ابا مسلم اليه فاعتذر عن الحضور وطالت بينها المكاتبات . واخر
 الامر قدم ابو مسلم الى المدائن في ثلاثة الاف رجل تاركا باقي عسكره بجلوان ودخل على المنصور
 وقبل يده وانصرف . فلما كان الغد امر المنصور بعض حرسه ان يكمنوا خلف الرواق فاذا
 صفق بيده يخرجون ويقتلون ابا مسلم فلما حضر اليه اخذ المنصور بعدد سقطاته وابو مسلم يعتذر

ثم صفى يدي فخرج المحرس وقتلوه في (شعبان سنة ١٢٧ - ٧٥٤)

وكان ابو مسلم من اهل خطرنة من سواد الكوفة وكان قهرمانا لادريس بن معقل العجلي ثم دخل في خدمة محمد بن علي كما تقدم وكان من اشد الناس بامًا وطعامًا أكثرهم طعامًا يخبز كل يوم في مطبخو ثلاثة الاف قارف (رغيف) ويطبخ مائة شاة وعشرة روس بقرما عدا الطير وكان له مائة طباط وقيل الف وكان يلزم لنقل الات مطبخو الف وما بها دابة وكان غيورًا جدًا وكان له ثلاث زوجات يقرب الواحدة منهن مرة في السنة ولم يكن يدخل قصره احد وفيه كوى يطرح منها لنسائه ما يجنين اليه قيل اثني ليل زفت اليه امراته امر بالبرذون الذي ركبته فذبح وأحرق سرجه لئلا يركبه رجل بعدها وكان ذا رأي وعقل وتدبير وحزم وهرة وقيل كان فانكا قليل الرحمة فاسي القلب سوطه سيفه وقتل ستمائة الف نفس صبرًا ما عدا ما قتل في الحروب ومثل بعضهم عن اي كان احسن التحجاج ام ابو مسلم فاجاب لا اقول ان ابا مسلم خير من احد

و (في سنة ١٢٩ - ٧٥٦) ارسل المنصور عبد الوهاب ابن اخيه ابراهيم الامام والحسن ابن قحطبة في سبعين الف مقاتل ليعمروا ملطية من تخريب الروم في السنة التي قبلها فصرها في سنة اثمرفسار اليهم ملك الروم في مائة الف جندي ونزل على نهر جيمون فبلغت كثرة العرب فرجع ومنها توجه المنصور الى القدس والرقه وعاد الى هاشمية الكوفة وامر بعمار سور المصيصه وبني بها جامعًا

اما عبد الرحمن الداخل فسار من الفرات هاربًا الى اودية جبل دوردان وبعد ان تغلب زمنا في قفارا فريقة من وجه طلابو ذهب الى اسبانيا وجدد الحزب الابيض فانه وقتئذ لم يكن غير الفرس من المسلمين مالا الى حزب العباسيين ولم يكن للعباسيين سكان المغرب تداخلوا مطلقا في تلك الحركات فلما وصل عبد الرحمن تلقوه بكل اكرام ذكرًا لاحسان ابائهم وخوفًا لئلا يجري عليهم من العباسيين مواخذه في عدم قيامهم معهم اولًا فاقاموا عبد الرحمن ملكًا عليهم ودعي اميرًا وكان النائب العباسي هنالك فوجد نفسه متروكًا فخاف وهرب الى الجزيرة الخضراء وارسل يطلب المساعدة من المنصور على عبد الرحمن ولكن هذا كان محبوبا من الشعب وجامعًا الجراءة الى اللطافة والكرم وانصر على عساكر العباسيين الذين اتوا من افريقية ونحوها لحرروا غزيرة وطرده يوسف قائد جيش الاعداء بعدما كان تملك قرطبة وقتل واسترد قرطبة وطوليد (طليطلة) وانتهت الحرب وقامت السناجق البيضاء وعاد عبد الرحمن مستقلًا بملك قرطبة والانديلس غير معتبر العباسيين بشي . وبعد ان كانت اسبانيا للعرب كالباب لنفتح اوربا اصبحت منفردة بنفسها ومشتغلة بمعاربة جيرانها نظير الاجيوس وذريته ولعلمهم بالشكس وكارلس الكبير ملك فرنسا فان هذا الامرور غيب ان فتح

فردنية تقدم الى ببلونة وهدم اسوارها ولقيت في رجوعه بعض العرب والفوسقية في روستفال عند منفذ للبرقات وتفتكها بعساكره وقتلوا منهم كثيرا وقتل رولند نسيبه وكانت وتنتذر امتد روح الفوق والاشهية (شالرية) في اوربا وساعد ذلك على مذهب العوائد الوحشية الخشنة وكان مصدر ذلك بالاجماع من للعرب الذين كانوا يتمردون في كل مكان برقة طباعهم وانسانيتهم وجرايمهم وعنتهم وحسن تصرفهم وبالحب والفرام والكرم والنضل كما تخلص لنا اشعارهم العديدة في تلك الارض

وفي سنة ١٤١ - ٧٥٨) خرج الراوندية على المنصور وم قوم من خراسان من مذهب ابي مسلم كانوا يقولون بالنساج وبزعمون ان روح ادم حلت في عثمان بن نهيك وان ربهم الذي بقيتهم هي الخليفة ابو جعفر المنصور . فلما ظهروا وانوا الى قصر المنصور قالوا هذا ربنا فحبس المنصور رؤسائهم نحو ما يتبين فغضبوا واخذوا نعتا وحملوه ومشوا به كأنهم ذاهبون في جنازة حتى بلغوا باب السجن فرموا بالعيش وكسروا باب السجن واخرجوا اكارهم ثم طلبوا المنصور وم نحو سماية رجل فتنادى الناس واغلقت الابواب وخرج المنصور ماشيا واجتمع عليه الخلق وكان مع بن زائدة مستغنيا خوفا لانه حارب مع ابن هيرة الشيباني فظهر وحارب الراوندية بين يديه فعنا عنه لذلك وكان ذلك يوم استئصال الراوندية

وبعد ثورة الراوندية كره المنصور الماشية وخرج برناد له موضعا يسكنه وكان اهل الحذق اشاروا عليه بان تكون اقامته على نهر الصرا لانه بين انهار لا يصل اليه عدوه الا على جسر فاذا قطع الجسر لا يمكن الوصول ويكون هو متوسطا بين البصرة والكوفة وواسط والموصل والسواد ويكون دجانه والفرات والصرا خنادق مديته نجيبة الميرة من البحر والبر فوقه اختياره على مكان اسمه بغداد اي بستان داد ولما اراد البناء استشار النجيين في اختيار الوقت والمزيج وجعل المنصور وكالة البما لاربعة من القواد وامر ان يكون عرض اساس القصر من اسفل وخمسين ذراعا ومن اعلاه عشرين ووضع بيده اول لبنة قائلا بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والله اقية للدين ثم قال ابنوا على بركة الله وامر بتقضى ايجان كسرى وقتل ذلك اليها فقبضت شرفة من القصر الابيض فوجد ان ما كان يلزم لتقضى ذلك اكثر من اكلاف الحديد فعدل وجعل المدينة مدورة لئلا يكون بعض الناس اقرب الى السلطان من البعض وعمل لها سورين انداخل اعلى من الخارج وبني قصره في وسطها والمسجد الجامع بجانبه وكانت قبله غير مستقيمة يحتاج المصلي ان يخرق لجهة باب البصرة . وكانت الاسواق اولاً في المدينة الى ان قدم رسول الملك الروم فامر الزعيم قطاف به ثم سالك كيف رايت فقال بناء حسن لكن رايت اعداءك مهلك يوم السوق فامر

باخراجهم الى جهة الكرخ وبان يترك في كل ريع منها بقلاً يبيع البقل والنخل . مكان بغداد على جانب دجلة الفريقي تبعه عن المدائن خمسة عشر ميلاً وفي لحسن موقعها وجودة هواها وخصب اراضيها انت بسرعة حتى انه على ما قول في جنازة بعض المشايخ المعتقد بكرامتهم وجد ثمانمائة الف رجل وسبعماية الف امرأة فان اليها كانت توارد السكان من العراقيين والشام والجزيرة والنعم والعرب ومصر ونحوها ودعيت دار السلام

وفي هذه السنة ظهر محمد بن عبد الله من ولد علي بن عبد الله بن ابي طالب واستولى على المدينة وثبته اهلها فارسل اليه المنصور ابن اخيه عيسى بن موسى فقاتله وقتله مع جماعته ثم نهض اخوه ابراهيم ولم يكن يعلم بموت اخيه محمد وتوجه الى البصرة يدعو الناس لمبايعة محمد المذكور فلباه نحو اربعة الاف وكان امير البصرة سفيان بن معاوية فلما راي اجتماع الناس الى ابراهيم تحن في دار الامارة فقصد ابراهيم وحصره فطلب سفيان منه الامان فامنه ودخل ابراهيم القصر ووجد في بيت المال الف الف درهم فاستعان بها وفرض لاصحابه خمسين خسين ومضى بنفسه الى دار زينب بنت سليمان العباسي واليها ينسب الزينيون من العباسيين ونادى هناك بالامان لاهل البصرة ثم ارسل جماعة فاستولوا على الاهواز ثم بعث هرون بن سعيد العجلي مع سبعة عشر الفا الى واسط فملكها ولم يزل ابراهيم في البصرة يفرق العمال والجيوش حتى بلغه خبر مقتل اخيه ثم عزم على الذهاب الى الكوفة وقد احصى ديوانه مائة الف ونزل باحضر على ستة عشر فرسخاً من الكوفة وكان المنصور استدعى عيسى بن موسى من الحجاز فحضر وجهز على ابراهيم وجرى بينها قتال شديد انهزم فيه اكثر عسكر عيسى ثم تراجعوا واخيراً تقوى عيسى وانهزم اصحاب ابراهيم وبقي وحده بنفر قليل نحو ستماية نفس ثم جاءه سهم في حلقه فتنحى ثم هجموا على اصحابه ففترقوا وقتلوه واتوا براسه الى عيسى فسجد وشكر

في الصوائف

وكان امر الصوائف قد انقطع منذ (سنة ١٢٠) لما كان من القتن فان فيها غزا الوليد بن هشام ايام مروان ونزل العمق وبني حصن مرعش ثم اقبل (سنة ١٢٢) قسطنطين ملك الروم الى ملطية ونزل حصن بلخ فاستجد اهل بلخ ملطية فامدوم بثمانمائة مقاتل فهزمهم الروم وحاصروا ملطية والجزيرة مفتوحة وعاملها موسى بن كعب بخراسان فسلوا البلد بالامان للروم ودخلوا الى الجزيرة وخربوا ملطية ثم فتحوا قائلقلا

وفيها سار ابو داود خالد بن ابراهيم الى الجتن فدخلها فلم تمتنع عليه وتحصن منه سبيل ملكهم فحاصره مدة ثم فرض الحصن ولحق بقرغانو ثم دخلوا بلاد الترك وانتهوا الى الصين وفيها بعث

صالح بن علي سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة وراء الدروب و (سنة ١٢٥) غزا عبد الرحمن حبيب عامل افرقية جزيرة صقلية فغنم وسبي بما لم ينل احد من قبله ثم كانت فتن البربر في افرقية فامن اهل صقلية وعمرروا الحصون والمعازل وجعلوا الاساطيل تطوف بصقلية للحراسة وباخذون تجار المسلمين في البحر اذا صادفهم . و (في سنة ١٢٨) خرج ملك الروم فاخذ ملطية عنوة وهدى سورها لانها كانت عادت للمسلمين وعفا عن اهلها فغزا العباس بن محمد الصائفة وبني ما خربه الروم من سور ملطية ورد اليها اهلها وانزل بها الجند ودخل دار الحرب من درب الحرث وتوغل في ارضهم ودخل جعفر بن حنظلة من درب ملطية و (سنة ١٢٩) كان الفدا بين المسلمين والروم في اسرى قاليقلا وغبرم وغزا في الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام (سنة ١٤٠) وبعده الحسن بن فحطبة فانهم قسطنطين ملك الروم في مائة الف فبلغ جيجان وسبع عن كثرة المسلمين فاجبر عنهم ورجع ولم تكن بعدها صائفة الى (سنة ١٤٦) لاشتغال المنصور بفتنة بني حسن و (سنة ١٤٦) خرج الترك من باب الابواب واتهموا الى ارمينية وقتلوا من اهلها جماعة ورجعوا واغار (سنة ١٤٧) استرخان الخوارزمي في جمع من الترك على ارمينية فغنم وسبي ودخل نفليس فعاث فيها وكان حرب بن عبدالله مقبلا في الموصل في الفين من الجند فامره المنصور بالمسير لحرب الترك مع جبريل بن يحيى فسار وقتل حرب وانهمزم قومه وفيها غزا بالصائفة مالك بن عبدالله الخثعمي من اهل فلسطين ويقال له ملك الصوائف فغنم غنائم كثيرة و (سنة ١٤٩) غزا بالصائفة العباس بن محمد وبعده الحسن بن فحطبة ومحمد بن الاشعث فدخلوا الروم وعاثوا ورجعوا ومات محمد في الطريق (سنة ١٥١) اه بتصرف ابن خلدون

فصل

في الربع الثالث من القرن الثاني

ثم تحول المنصور عن مدينة ابي هبيرة الى بغداد وقتل ابواب مدينة واسط اليها وخلق ابن اخيه عيسى بن موسى عن ولاية الهد و بايع لابن محمد المهدي . ثم ظهر رجل ادعى النبوة اسمه استادسيس في جهة خراسان فاجتمع اليه نحو ثلاثماية الف مقاتل من اهل هراة وباذغيس وسجستان وسار اليه الاختم عامل مرو روز (او مرو والروز) في العساكر فقاتل الاختم وعامة اصحابه وتنازع القواد في لقائه نهزمهم فبعث المنصور وهو بالرواق حازم بن خزيمه الى المهدي في اثني عشر الفا فولاه المهدي حربا نزحف عليه في عشرين الفا وبعد قتال شديد تقوى المسلمون عليه وقتل من عساكره نحو سبعين الفا واسر نحو اربعة عشر الفا واسر استادسيس وبنوه وتفرق الباقيون وقيل ان استادسيس هذا هو ابن

مراجع ام المأمون وابنه غاب خال المأمون الذي قتل الفضل بن سهل (في سنة ١٥١) ولى الهشام بن عمر الثعالي على السند عوض عمر بن حفص فجعل هذا على افرقية وكان لقبه هزار مرد وبني الرصافة لابن المهدي وهي الى الجانب الشرقي من بغداد وقتل بعض الخوارج معن بن زائدة الشيباني بسجستان في بست وكان عامل المنصور هناك وخلفه ابن اخيه يزيد بن مرثد .

و (في سنة ١٥٢-٧٦٩) غزا حميد بن قحطبه امير خراسان مدينة كابل وجوز المنصور جيشاً الى المغرب (١٥٤-٧٧١) لقتال الخوارج . ثم غزا بالصائفة (سنة ١٥٤) زفر بن عاصم الهلالي (وفي سنة ١٥٥) طلب ملك الروم الصلح على ان يودي الجزية وغزا بالصائفة يزيد بن اسد السلي (سنة ١٥٦-١٥٥) وبني المنصور سوراً وخندقاً للكوفة والبصرة ووزع النفقة على الاهالي فلحق كل واحد منهم خمسة خمسة فجيادهم اربعين اربعين وقد قال بعضهم

بالقوم ما لقينا من امير المؤمنين
قسم الخمسة فينا وجبانا اربعينا

وبعد كل ذلك قصد المنصور الحج (سنة ١٥٨-٧٧٤) وخرج ولده المهدي معه لبودعه . وعند وداعه قال له يا بني « اني اهبس بالموت ولا ادري اذا كنا نجتمع بعد هذا فاني ولدت في ذي الحجة ووليت في ذي الحجة واخشى ان اموت في ذي الحجة من هذه السنة ولذلك اردت الحج والان اوصيك بخصال وما اظنك تفعل واحدة منها وكان له سبط فيو دفاتر علمو وعاليو قتل لا ينتحه غيره فقال للمهدي انظر الى هذا السبط فاحفظ به فان فيو عالم ابائك ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة فان احزنك امر فانظر في الدفتر الكبير فان اصبحت فيو ما تريد والاف في الثاني حتى تبلغ سبعة فان ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فانك واجد ما تريد فيها وما اظنك تفعل . فانظر هذه المدينة واباك ان تستبدل بها غير ما وقد جمعت فيها من الاموال ما اذا انكر عليك الخراج عشرين سنين كما ك لارزاق الجند والتقات والذرية ومصلحة البيوت فاحظ بها فانك لا تزال عزيزاً ما دام بيت ما لك عامراً وما اظنك تفعل . واوصيك باهل خراسان خيراً فانهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا اموالهم ودماءهم في دولتك وان لا تخرج محبتك من قلوبهم وان تحسن اليهم وتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم ويخلف من مات منهم في اهل وولده وما اظنك تفعل . وانظر هذه المدينة واباك ان تبني المدينة الشرقية فانك لا تتم بناها واطنك ستفعل . واباك ان تستعين برجل من بني سليم واطنك ستفعل . واباك ان تدخل النساء في امرك واطنك ستفعل فاتق الله فيما اعهد اليك من امور المسلمين بعدى يجعل لك فيما كركبك واخذلك فرجاً ومخرجاً وبرزقك السلامة وحمد العاقبة من حيث لا تحسب يا بني احفظ محمدًا صلعم في امتو بحفظك الله وبحفظك عليك

أمورك وإياك الدم المحرام فانه حوب عند الله عظيم وعار في الدنيا لازم مقيم . والزم الحدود فان منها صلاحك في الآجل والعاجل ولا تعتد فيها فان الله تعالى لو علم ان شيئا يصلح فيها لدينه وأزجر عن معاصيه لأمر به في كتابه . وأعلم ان من شدة غضب الله لسلطان امر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من يسعى في الأرض فساداً مع ما ادخله من العذاب الا ليم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً الآية . فالسلطان حبل الله المتين وعروته الملوقة ودينه المقيم فاحفظه وحصنه وذبح عنه وأوقع بالمحدين وأقع المارقين منه وقابل الخارجين عنه بالعقاب ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن واحكم بالعدل ولا تشاط فان ذلك اقطع للشعث واحسم للعدو وانجع في الدواء وأعف عن النبي فليس بك اليوحاجة مع ما اخلته لك . وافتح بصلة الرحم وبر القرابة وإياك والاثرة والنبيد لأموال الرعية واشحن الشغور واضبط الاطراف وامن السبيل وسكن العامة وادخل المرافق عليهم وارفع المكاه عنهم واعد الاموال واخزنها فان النوائب غير مأمونة وهي من شتم الزمان واعد الاكرام والرجال واجند ما استطعت وإياك وتأخير عمل اليوم لقد فتداول الامور وتضيع وخذ في احكام الامور والنزلات في اوقاتها اولاً فاولاً واجتهد وشهر فيها واعد رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون في النهار ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل واستعمل حسن الظن واسئ الظن بعملك وكتائبك وخذ نفسك بالتيفظ وتفقد من يبيت على بابك وسهل اذنك للناس وانظر في امر النزاع اليك وكن بهم عيناً غير نائمة ونفساً غير ساهية ولا تم لان اباك لم ينم منذ ولي الخلافة ولا دخل عينه الغمض الا وقلبه مستيقظ هذه وصيقي اليك والله خايفتي عليك

ثم ودعه وبكى واسار المنصور ومات بيشر ميمونه محرماً مريض وهو اليام وكان ذلك في ذي الحجة وعمره ثلاث وستون سنة قال ابو النرج وحمل الى مكة وحفروا له مائة قبر ليعموا على الناس ودفن في غيرها مكشوف الرأس لاحرامه

وقيل في صفة وسيرة انه كان اسمر نحيفاً خفيف العارضين وكان من احسن الناس خلقاً واشدهم احتمالاً للمزاح وكان اذا لبس وخرج هابته حتى الاكابر ولم ير في داره لهو ولا لعب قتل حماد التركي قال كنت واقفا على رأس المنصور فسرع جلبة فقال انظر ما هذا فذهبت فاذا خادم له قد جلس وحوله الجوارى وهو يضرب لمن بالطنبور ومن يضحك فاخبرته فقال واي شي الطنبور فوصفته فقال وكيف تعرفه انت قلت رايت به بخراسان فقام اليه فلما رايت تفرغ فامر بالخادم فكسروا الطنبور على رأسه وترك المنصور جملة بنايات وحارب الاعداء مراراً وخلف نحو ثلاثين مليون ليرا انكليزية بعد ما انفق مبالغ في حجاجه

وكان طبيبه بنخيشوع المجند بسابوري اشهر اطباء زمانه واسمه جيورجيوس ولما اراد هذا الرجوع الى وطنه واذن له المنصور خلف عنده تلميذه عيسى بن سهلانا ثم نفى المنصور عيسى هذا الذنب وكان المنصور يميل الى علم الافلاك وله مطالعة فيه وكان نوبخت المنجم الفارسي البارع في صحبه دائما وكان حاذقا خبيرا باقتران الكواكب وحوادثها وقد استخلف واده ابا سهل عوضه لما عجز واسم ابي سهل كان اولاً (خرشاذماه وطيامذه ما بازار خشير وابهشاد) فاستطوع المنصور واراد ان يقتصره على طيامذ او بخناراه اسما خلافة فاخنار ابن نوبخت ابا سهل وعاد ذلك اسمة وخلف المنصور محمد المهدي وسليمان وعيسى ويعقوب وجعفر الاصغر وصالحا المسكين واما جعفر الاكبر فكان قد مات في حياة ابو

خلافة محمد المهدي رابعهم (من سنة ١٥٨ - ٧٧٤ الى سنة ١٦٩ - ٧٨٥)

وكان ابو جعفر قد عهد بالخلافة للمهدي وبعده لعيسى بن موسى فابي عيسى البيعة للمهدي وامتنع بالكوفة فبعث المهدي ابا هريرة اليه في الف فارس وهذا بعد المراضة والمراودة قبله بذلك وبخلع نفسه تحت عشرة الاف درهم . وعهد المهدي لابن موسى الهادي وارسل (سنة ١٥٩) عبد الملك بن شهاب المسمي في جمع كثير من المجند والمتطوعة الى بلاد الهند فركبوا البحر من فارس ونزلوا بارض الهند وفتحوا باريد عنة ولجوا اهلها الى البلد فاحرقوه عليهم ثم اصاب المسلمين وبا وبرجوعهم عصفت بهم الريح عند ساحل حران فانكسرت عامة مراكبهم ونجا منهم نزر . وحج المهدي في اول خلافته وفرق بالناس اموالا عديدة وصرف ستة ملايين دينار في حجنه فانه اقام في كل طريق ومساقتها سبعماية ميل منازل وخانات للقوافل وكان صحبته عدد غفير من الناس ومن الجمال الحاملة الثلج . واعطى لرجل قدم له وهو في مكة احدى نعلي النبي عشرة الاف درهم ثم التفت الى بعض الحاشية وقال « والله محمد صلعم لم ير هذا النعل ولكن لو ايت قبولة لقالوا انه كان حقيقة للنبي واني احقرته عمدا فان الجمهور يميل دائما الى الضعفاء ضد الاقوياء » وامر المهدي باتخاذ المصانع في طريق مكة وتجهيد الاميال والبرك وبحر الركابا (سنة ١٦١ - ٧٧٧) وبتفصيل المناير في البلاد وجعلها بمقدار منبر الرسول (وفي سنة ١٦١) اجاز عبد الرحمن بن حبيب النهري من افريقية الى الاندلس داعية لبني العباس ونزل بساحل مرسية وكاتب سليمان بن يقطين عامل سرقسطه في طاعة المهدي فلم يجبه فقصد بلاده في من معه من البربر فهزمه سليمان وعاد الى تدير . وسار اليه عبد الرحمن صاحب الاندلس واحرق السفن في البحر تضيقا على ابن حبيب في النجاة فاعنصم بجبل منيع في نواحي بلنسية فبذل عبد الرحمن اليه المال فاغناة بعض البربر وحمل راسه اليه فاعطاه الف دينار (سنة ١٦٢)

وكان مراد عبد الرحمن المركوم على المقام وغزوها بشاره فعصى عليه بغير الولاية فشغله عن ذلك ثم تجهز (سنة ١٦٤-٧٧٩) لحرب الروم وجمع عسكره من خراسان ونحوها وقام للمدندون تاركها ولده موسى في بغداد وأخذ منه هرون الرشيد . وفي طلب سمع ان في تلك الجهات زنادة فجمعهم وقتلهم وأحرق كبدهم وبهض الى جيجان وجيش ولده هرون للفروفتغل في البلاد وقع وعاد سالماً فاقماً وظهر وقتئذ رجل اسمه يوسف الزم وادعى الولاية واستغوى خلقاً كثيراً وظهر يوشيا وادعى النبوة فبعث اليه المهدي جيوشاً واني يوسف فسلبه ثم ظهر المتنع الخراساني واسمه عطا وقتل وكان رجلاً غريباً يحمل للناس صورة قبر يطلع ويراه الناس عن بعد شاع قيل نحو شهرين وقد اشار ابن سناء الملك الى ذلك

الك فما بدر المتنع طالعا باسحر من الحماظ بدري المعمر

قالوا وادعى المتنع الربوبية واستمال جماعة وكان يقول بالحلول الالهي في الانبياء كلهم الى ان حل فيه وعمر قلعة نسي سنام وقيل تكس بما وراء النهر من رستاق كبش وتفحص بها من طالبيو وكان يقول بالتنازع فاجتمع الناس اليه وحصلوا في قلعة ولما بئس من نفس سقى نساء سفا فتن ثم تناوله نفسه فمات ودخل المسلمون قلعة وقتلوا من بها من اشياحو وقيل انه بعد تناول السم التي نفسه بالنار لئلا يلقي العدو جسده فدخل العسكر ووجد القلعة خالية خاوية وكان ذلك ما زاد اقتناع من بقي من اصحابها بما وراء النهر فقالوا انه صمد وكان قد وعدهم ان روحه تحول الى قالب رجل اشمط على بردون اشهب وانه يعود اليهم ويملكهم الارض فكانوا ينتظرونه ويعرفون بالمبيضة وكان المتنع المذكور في بداية امره قصاراً من اهل كاه من اهل مرو وكان مشوه الخلق قصيراً اعور اتخذ له برقعاً من ذهب لا يسفر عن وجهه ابداً ولذلك دعي المتنع

(وفي سنة ١٦٥-٧٨١) في عهد ابريني زوجة الملك لاون جهز المهدي ابنة هرون الرشيد الى غزو الروم في جيش كبير وكان ولد ابريني نيقونور صغيراً في حجر امه وسار هرون حتى بلغ خليج الاسطنبدية لجزعت المرأة من المسلمين وطلبت الصلح من الرشيد فقبل بشرط الفدية وارسل الادلة معه واقامة الاسواق في طريقه فاجابته الى ذلك وكانت الفدية سبعين الف دينار كل سنة وكان في ذهابه اتخذ طريقاً وعراً ودخل مداخل ضيقة بين بهر ساغرييس وجبال خشنة فارسلوه في طريق جيدة (سنة ١٦٦-٧٨٢) . وكان المهدي مولعاً باللهو وياذن بالشرب بمحضرة فنهاه عن ذلك وزيره يعقوب بن داود بن طهان فاقناه في السجن وفيه يقول بشر بن برد

بن امية هبوا طال نومهم ان الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم باقوم فاقموا خليفة الله بين الناي والعود

وبقي يعطوب مهبوسا الى خلافة الرشيد فاخرجه وقد عيى للقي بمكة وقتل المهدي بشار المذكور ورتب بريدًا بين مكة والمدينة واليمن من بغال وابل

ونوفي المهدي (آخر محرم سنة ٢٦٩ ٧٨٥) كانت خلافة نحو عشر سنين وعمدة ثلاثا واربعين سنة ودفن تحت جوزة وكان في يثرب من طلع ابنه موسى الهادي والحمد للرشيد وهو بمرجان فاني الهادي وسار المهدي بريدة فلما بلغ ماسيدان حدثت حسنة جارية الى كمثرى فاهدته الى جارية اخرى كان المهدي يحبها وكانت سميت الواحدة مهن وفي الاحسن فمر المهدي وكان يحب الكمثرى فاخذ تلك الكمثرى المسمومة وكلها وصاح من وثقه جوفي جوفي . فسمعت حسنة فجاءته تبكي وتلطم وجهها وتقول « اردت ان انفرد بك فقتلتك » ومات من يومه

حكى انه لما هم المهدي بالخروج الى ماسيدان قدم الى حسنة حظيت ان تخرج معه فارسلت الى طوفيل بن توما النصراني النخعي الرهاوي وكان رئيس المنهيين قائلة انك اشرفت على امير المؤمنين بهذا السفر فبعثتمنا سفرا لم يكن في الحساب فجعل الله مولك وراحنا منك فلما بلغت الرسالة قال للجارية ارجعي اليها وقولي ان هذه الاشارة ليست مني واما دعائك علي بتجهيل الموت فهذا الذي قد قضى الله به وموتي سريع فلا تنوحي انه بدعوتك ولكن اعدي لنفسك ترابا كثيرا فاذا مت انا فاجعلني على راسك فما زالت متوقعة تاويل قوله منذ توفي الى ان مات المهدي بعد عشرين يوما قال ابو الفرج وكان طوفيل هذا على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى وله كتاب في التاريخ حسن ونقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ابلون في قدم الدهر من اللغة اليونانية الى السريانية بقاية ما يكون من النصيحة

واشتهر في الطب ابو قريش عيسى الصبدلاني وصار طبيبا في دار الخلافة ولكن ليس عن علم

بل عن رزي واتفاق لا محل لذكره هنا

في الصوائف

اما الصوائف فان المهدي اغزى عمه العباس بالصائفة وعلى مقدمته حسن الوصيف فبلغوا اهرة وفتحوا مدينة اهرة ورجعوا سالمين . وغزا بالصائفة (سنة ١٦١) بمامة بن الوايد فنزل دابق وجاشت الروم مع جيتاميل في ثمانين الفا ونزلوا على مرعش فقتلوا وسبوا وغنموا وحاصروا مرعش فقتل من المسلمين عديد وانصرفوا الى حيمان وكان عيسى بن علي مريضا بحصن مرعش فعظم ذلك على المهدي وتجهز لغزو الروم وخرجت للروم (سنة ١٦٢) الى الحارث فهدموا اسوارها . وغزا بالصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين الفا من المرتزقة فبلغ جهة ادركه واكثر الحريق والتجريق ولم يفتح حصنا ولا لقي جمعا ورجع سالما . وغزا يزيد بن اسيد السلمي من ناحية قاليقلا فدمر وسي وفتح ثلاثة حصون

ثم غزا المهدي بنفسه (سنة ١٦٢) كما تقدم ثم غزا (سنة ١٦٤) عبد الكبير من بني الخطاب من درب الحرث فالتقاه ميخائيل وطارد الارمني البطريقان في تسعين الفا فحماهم عن لقاءهم ورجع فغضب عليه المهدي وم يقتلو فشنع فيه فحبسه وبعث المهدي (سنة ١٦٥) ولده الرشيد بالصائفة وبعث معه الربيع فتوغل في بلاد الروم ولقى عسكر نقيطة من القواميس فبارزه يزيد بن يزيد فهزمهم وغلب على عسكرهم ولحقوا بالدمشق صاحب المالح فحمل له مائتي الف دينار واثنين وعشرين الف درهم وسار الرشيد بعساكره وكانت نحواً من مائة الف فبلغ خليج النسططينية . فجري الصلح على الفدية كما تقدم لمدة ثلث سنين وكان ما سباه المسلمون قبل الصلح خمسة الاف وستمائة راس وقتل من الروم في وقائع هذه الغزوات اربعة وخمسون الفا وأسر المان ثم قض الروم هذا الصلح (سنة ١٦٨) ولم يستكملوا مدته فارسل علي بن سليمان عامل الجزيرة يزيد بن البدر بن البطل فغزاهم وظفروهم وسي ورجع سالماً برجاله

خلافة موسى الهادي وهو خامسهم (من سنة ١٦٩ - ٧٨٥ الى ١٧٠ - ٧٨٦)

وكان الهادي في جرجان بحارب اهل طبرستان اذ توفي ابيه محمد المهدي فبويح له بالخلافة في العسكر يوم توفي المهدي ولما وصل الرشيد والعسكر الى بغداد من ماسبذان بايعوا الهادي في بغداد وكتب الرشيد الى الاقطار بوفاء ابيهم واخذ البيعة لاختيه ثم جاء الهادي بعد عشرين يوماً ودخل بغداد واستوزر الربيع

واعلم انه منذ ابتدا الدولة العباسية اخذت تظهر في احضان الامة امارات الانشقاق والشعب فكان يظهر من وقت الى وقت اصحاب دعوى وينفصلون عن الدولة العباسية ويستبدون بالاحكام كما نراه في سياق هذا التاريخ فان في السنة الاولى من ملك الهادي ظهرت دعوى الحسين من اولاد علي ومعه جماعة من اهل بيتهم منهم الحسن بن محمد وعبد الله بن احمق واشتد امر الحسين المذكور واختلف مع عامل الهادي في المدينة عمر بن عبد العزيز من نسل عمر بن الخطاب وآل الامر بينهما الى قتال فيه انهزم عمر وبايع الناس الحسين واقام مع اصحابه في المدينة تجهزون احد عشر يوماً ثم قاموا الى مكة ولحق به جماعة من عبيد مكة وانقائه كان قد حج تلك السنة جماعة من بني العباس وشيعتهم منهم سليمان بن المنصور ولده محمد فانضم اليهم جماعتهم وقوادم واقتتلوا مع الحسين يوم التروية فقتل الحسين وانهزم قومه واخذ راس الحسين ونحو مائة اخرى من جماعته منهم سليمان بن عبد الله بن الحسن ثم اخلط المهزومون بالحجاج وكان مقتلهم بمكان بدعي (وج) وهو عن مكة الى جهة الطائف فاقلت من المذكورين ادريس بن عبد الله بن الحسن

فذهب مصر وكان على البريد واضح مولى بني العباس وكان شيعيا فحمل ادريس المذكور الى المغرب الى ارض طنجة وكان ذلك سببا لقتل واضح وبقي ادريس هناك الى ان ارسل الرشيد الشماخ فاغتناله بالسلم وكان له حظية حبلى فولدت ابنا سموه على اسم ابيه وهذا لما كبر استقل بملك تلك البلاد ومنه جاءت الدولة الادريسية ثم المغربية ثم المهدية ثم المراكشية عند بناء مراكش (سنة ٤٦٢ - ١٠٢٠)

وكان الحسين المذكور شجاعا كريما قدم مرة على المهدي فاعطاه اربعين الف دينار ففرقها ببغداد والكوفة وخرج منها دون قميص لائملك الافرة وملك الهادي كان قصيرا وعقبها من الحوادث وتوفي (سنة ١٧٠ - ٧٨٦) انصاف ربيع الاول وعمره ست وعشرون سنة وخلافته نحو ستين وثلاثة اشهر قيل ان امه الخيزران كانت تستبد بالامر في خلافتها فكلت يوما في امر لم يجد لاجابتها اليه سبيلا فقالت لا بد من الاجابة فغضب الهادي وقال والله لا قضيتها لك فقالت اذا والله لا اسالك حاجة قال لا ابالي فقامت مفضضة فقال «مكانك والله لكن بلغني انه وقف في بابك احد من قوادي لاضر بن عنقه فما هذه المراكب التي تغدو وتروح الى بابك اما لك مغزل يشغلك او مصحف يذكرك او بيت يصونك» فانصرفت وهي لا تعقل من شدة الغضب الى ان امرت الجواري فغمين وجهه وهو مريض فمات ودفن بعيساباذا الكبرى في بستانه وكان طويلا جسيما ابيض وبشفتو العليا تقلص وترك سبعة بنين وبنات

خلافة هرون الرشيد وهو سادسهم (من سنة ١٧٠ - ٧٨٦ الى ١٩٤ - ٨٠٨)

وتنهض هرون الرشيد بن محمد المهدي على الخلافة وعمره اثنان وعشرون سنة واستوزر يحيى بن خالد والى اليه مقاليد الامور واظهر غيرة وهمة في نحو ملكه فاقى بهما من تقدمه وامر بعزل الثغور كلها عن الجزيرة وقنسر بن وجعلها حيزا واحدا وسماها العواصم وعمر مدينة طرسوس وبوخته توفي عبد الرحمن الاموي (سنة ١٧١ - ٧٨٧) بقرطبة بعد ان اقام جامعاً على اساس احدي الكنائس وانفق عليه مائة الف دينار وولد عبد الرحمن في دمشق (سنة ١١٤ - ٧٢١) وملك في الاندلس ٢٢ سنة وخلفه ولده هشام وكان عبد الرحمن اصعب خفيف الشعر طويلا نحيفا اعور توفيت الخيزران ام الرشيد (سنة ١٧٢ - ٧٨٩) وزار الرشيد مكة محرما وقسم في الحرمين مالا كثيرا وعزل لاول خلافتها عمر بن عبد العزيز العمري عن المدينة وولى مكانه اسحق بن سليمان وتوفي يزيد بن حاتم عامل افرقية فولى مكانه ابنه الفضل ثم قتل فولى هرثة بن اعين وكان على مكة والطائف عبد الله بن قثم وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البحرين والبصرة واليامة وعمان والاهواز

وفارس محمد بن سليمان بن علي وعلى خراسان ابو الفضل العباس بن سليمان الطوسي فعزله وولى
مكة جعفر بن محمد بن الاشعث فسار الى خراسان وبعث ابنه العباس الى كابل ففتحها وفتح سايار
وغنم ما كان فيها وتوفي سنة ١٧٢ محمد بن سليمان وقتلوا الى البصرة وكان اخوه جعفر كثير



صُرُون الرشيد

السعاية فيو عند الرشيد وان امواله كلها في من اموال المسلمين فارسل الرشيد من قبضها وكانت
كثيرة جداً واحضروا من العين فيها ستين الف الف دينار

فصل

في الربع الرابع من القرن الثاني

وتحرك بجي بن عبد الله بن الحسين الى الديلم وحزب اليه فجهز الرشيد عليه الفضل بن يحيى (سنة ١٧٥ - ٧٩١) بجيش غفير فكاتبه الفضل وبذل له الامان فاسترضاه واتي به الى الرشيد فآكرمه وانعم عليه ثم حبسه حتى مات . وفيها هاجت الفتنة في دمشق بين المصرية واليبانية في ولاية عبد الصمد بن علي فجمع الروساء وسعوا بالصلح فتكلموا مع بني التين فاجابوا اليه فكلوا اليبانية فحاولوا وساروا الى بني التين وقتلوا منهم ستماية نفر فاستنجد بنو التين قضاة وسليحا فلم يجدوهم فاستجاشوا قيسا فاجابوهم وقتلوا من اليبانية نحو ثمانماية واشتد القتال فعزل الرشيد عبد الصمد وولاه ابراهيم بن صالح

(وفي سنة ١٨٠ - ٧٩٦) توفي هشام صاحب الاندلس وكانت خلافته سبع سنين وسبعة اشهر وعمره تسعا وعشرين سنة وخلفه ولده الحكم فخرج عليه عمار سليمان وعبد الله ابا عبد الرحمن الداخل وكانا في بر العدو وتحاربوا مدة وكانت العاقبة استقرار الحكم في الملك وقتل سليمان والصلح مع عبد الله واستغنى الافرنج وقتئذ فرصة القتال فذهبوا الى الاندلس وفتحوا مدينة برشلونه وهدم الرشيد سور الموصل (سنة ١٨٠) لعصاوات اهلها المتكررة وغزا ارض الروم (سنة ١٨١ - ٧٩٧) وفتح حصن الصنصاف وقلد (سنة ١٨٤ - ٨٠٠) حماد البربري اليمن ومكة وولى داود بن يزيد المهلبى السند ويحيى المحرسي الجبل وولى مهرويه الرازي طبرستان وابراهيم بن اغلب افرقية وكان على الموصل واعمالها يزيد بن مرثد الشيباني

وكانت (سنة ١٨٢ - ٧٩٨) قد حملت بنت خاقان الخزر الى الفضل بن يحيى البرمكي فماتت بيرذء فرجع الذين معها الى ابيها واخبروه انها قتلت غيلة فتجهزوا الى بلاد الاسلام وبوقت سميت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن لاون واقروا امة ابريني وغزا المسلمون الصائفة وبلعوا افسس مدينة اصحاب الكهف . (سنة ١٨٢ - ٧٩٨) خرج الخزر بسبب ابنة الخاقان من باب الابواب واقبلوا بالمسلمين واهل الذمة وسبوا اكثر من مائة الف وانتكروا امرا عظيما لم يسمع بمثله

(سنة ١٨٦) حج الرشيد ومعه اولاده الثلاثة محمد الامين وعبد الله المامون والقاسم وكان قد ولى الامين العهد واعطاه العراق والشام الى اخر المغرب وولى المامون العهد بعده وضم اليه من همدان الى اخر المشرق وبايع لابنه القاسم من بعد المامون وانبأ المعتصم وجعل خلعة واثباته للمامون وجعله في حجر عبد الملك صالح وضم اليه الجزيرة والثغور والعواصم ومر بالمدينة فاعطى فيها ثلثة

اعطية واحد منه واخر من الامين واخر من المامون فبلغ الف الف دينار وخمسمائة الف دينار ثم سار الى مكة فاعطى مثلها واحضر الفتى والقضاة والقواد وكتب كتابي العهد واشهد فيه بالوفاء على الامين والمامون وعلتها في الكعبة ولما كان في طبرستان (سنة ١٨٩) اشهد ان ما في عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع للمامون وجدد له البيعة عليهم وارسل الى بغداد فجدد له العهد على الامين (وفي سنة ١٨٦) اوقع الرشيد بالبرامكة وقد اختلف في السبب والاكثر لانيان جعفر عباسه اخت الرشيد فانه كان زوجها من جعفر ليحل له النظر اليها لان الرشيد لم يكن يصبر عن اخيه ولا غنى له عن جعفر فباشرها جعفر فحبلت منه وجاءت بغلام وقيل انها ولدت توأمين وقيل لان الرشيد كان حبس يحيى بن عبد الله بن الحسن عند يحيى فاسراه وقيل قتلهم حسدا لانهم كانوا عظموا واشتهروا بالكرم واحبهم الناس . وكان قتل جعفر بالانيار في صفرو بعد قتل ارسل من احاط يحيى ولده وجميع اسبائه واخذ ما وجد للبرامكة من مال ومتاع وضياع وغير ذلك وكتب الى كل البلاد بقبض اموالهم ووكلائهم وارسل راس جعفر وجثته الى بغداد وامر بوضع الراس على جسر وجثته على جسر اخر ولم يتعرض لمحمد بن خالد بن برمك لبراءته وكان عمر جعفر لما قتل سبعا وثلاثين سنة وكانت الوزارة فيهم سبع عشرة سنة وفيهم قال الرقاش

الان استرحنا واستراحت ركابنا	وامسك من يجدي ومن كان يجندي
وقل لله طايا قد امت من السرى	وطي النيا في فدفدا بعد فدفد
وقل لله ايا قد ظفرت بجعفر	ولم تظفري من بعده بسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي	وقل للرزايا كل يوم تجدي
ودونك سيفا برمكيا مهذا	اصيب بسيف هاشمي مهند

وعند قتل البرامكة امر الرشيد بعباسة اخيه فجعلت في صندوق ودلت الى بثروي حية وامر بابنها او ابنيها فاحضرا فظرا اليها مليا وبكى ثم امر بهما فرميا في البئر وطمهما والبرامكة عيلة فارسية شهيرة كان لم قبل الاسلام بمائتي سنة رتبة الامامة والكنوت في بلخ وقال يحيى بن خالد لما نكب « الدنيا دول والمال عارية ولنا من قبلنا اسوة وفيما لمن بعدنا عبرة » واذ تشكى احد اولاده المسجونين معه من معاملة الخليفة لم بعد ان خدموا المملكة بصدق وامانة قال له « لعلنا ظلمنا احدا فدعنا علينا واستجاب الله دعاه » وبعد قتلوه شوهده في حضرة رقعة مكتوب فيها « المقرف يذهب اولاً والمقرف يتبعه قريبا وسيصب الاثنان امام قاض عدل حيث لا تنغي الكتابات والاعذار شيئا » وكان يقول لا ولاده في حياته « كونوا كرماء في زمان نعمتكم فلا تنقضي عنكم وجودكم كذلك في البساء لانكم ان تباخلتوا اضعتم كل شي »

وهرون في قتل البرامكة ابني له ذكرًا رديا في التاريخ

وكان هرون مجتهدا في انشاء العلوم وتقدم المملكة . . وعقد التحدث مع كارلوس الكبير (شارلمان) ملك فرنسا وارسل اليوسفراء الى « بروسيل وافريا » وهذا بالاثقة . وما بينها ساعة على دوايب وكانت من النوادر في اعين اهل المغرب وتثذير وهي كانت الى معدنية تسير على دوايب كالساعات المحاضرة وتقس الوقت الى اثني عشر جزءا وفيها ثلثا عشرة كرة كل كرة لجزء تسقط الى صحن من فضة ويتفتح لما اثنا عشر بابا يدخل بها اثنا عشر فارسا كل فارس لساعة وكانت تدل فوق ذلك على اربع القمر وابام الجمعة ولا عجب من هذا النوادر بين هرون وشارلمان لان كليهما كان عدوا لا يريني واميراسبانيا . وقيل ان هرون عرض على شارلمان القدس واهداه مقابل القبر الا ان هذا بعيد عن التصديق لما لبيت المقدس من الاحترام عند المسلمين وهو مملو من الجوامع فلا يسعون . . للافرنج

و (في سنة ١٨٧ - ٨٠٢) خلع الروم ايربى وملكوا نيقفور فكتب الى هرون الرشيد كتابا فيه يشهر الى لعب الشطرنج الممتد وتثذير في بلاد الروم قائلا « من نيقفور ملك الروم الى هرون الرشيد ملك العرب »

اما بعد فان الملكة التي كانت قبلي اقامتك رخا واقامت نفسها يدقا فجعلت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل اضعافه اليها وما ذلك الا من ضعف النساء وحقن فاذا قرأت كتابي فاردد علينا ما سلبته من اموالنا والا فالسيف يقضي فيما بيننا » ولما وصل السفراء قدموا الكتاب فاحذه هرون الرشيد وقراه واذ وصل الى قوله « والا فالسيف يقضي » التي الرسل ضمة سيوف امامه فتبسم هرون واستل سيفه الشهير في تاريخ العرب وضرب بها تلك السيوف الرومية فبراهما كما يبري الكاتب القلم ثم كتب على ظهر الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم »

« من هرون امير المؤمنين الى نيقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواري ما تراه لا ما تسمعه » ثم ركب عليه من يومه حتى نزل على هرقله ففتح وغم وغرب وبعث داود بن عيسى بن موسى في سبعين الفا غازيا في ارضهم . وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودهمة وفتح يزيد بن مخلد حصن الصنصاف وقونية . واناخ عبد الله بن مالك على حصن ذي الكلاع . واستعمل الرشيد حميد بن معيوب على الاساطيل ممن بسواحل الشام ومصر الى قبرس فهزم وغرب وسي من اهلها ١٧ الفا وجاههم الى الواقعة فباعوا بها وبلغ فدا اسقف قبرس التي دينار . وسار الرشيد الى حلوانه فقتل بها وحاصرها ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر فسأله نيقفور الصلح على خراج بحملة كل سنة فصالحه ورجع الى قصره على الفرات . ولما رأى الروم انه بعد عنهم خمسمائة ميل وقد

جاء زمان الشتاء جددوا العصاة فركب عليهم ثمانية ولم تنفع ثلوج الجبال وحاربهم وقتل منهم اربعين الفا وجرح نهوفور في ثلاثة مجال ثم عصى ثالثة وجيش عليو واخضعه وكان هرون يركب على مائة وخمسة وثلاثين الفا من العساكر المرتقة سوى من لاديهوان له والمتطوعة الجميع نحو ثلاثمائة الف وبهذا الجيش تجاوز كل مدن اسيا الصغرى حتى اتتيره وحاصر هرقل في بنطوس شهرا واخرها واخذ منها خبرات وافرة ولو كان يعلم تاريخ اليونان لكان ابني تمثال البطل هرقل من الذهب حيث كانت عصاه وقوسه وخوذته وجلد الاسد ولم يزل العرب يخربون ويقتحون ويسلبون ولايات اليونان في البحر الاسود الى قبرص حتى تاب نهونور هن العصيان وتصلحا على ان تبقى مدينة هرقل غربة امثولة لليونان وذكرنا لظفره وعلى ان يكون المال المدفوع مسكوكا عليه اسمه واسم اولاده الثلاثة وسار الرشيد الى الري ثم رجع الى العراق ودخل بغداد وامر باحراق جثة جعفر ثم مضى الى الرقة وبوقت تقض اهل قبرص العهد فغزاها معتوق (او معيوب) بن بجي وكان عاملا على سواحل مصر والشام وسي اهلها وتوفي بجي بن خالد في السجن في الرقة وعمره سبعون سنة (سنة ١٢٢) وتوفي الفضل بن بجي بن خالد بن برمك مسجوناً في السنة الثانية وعمره خمس واربعون سنة في الرقة وكان من محاسن الدنيا ولم ير في العالم اجمل منه

في الصوائف

نقل الطبري ان الرشيد كان يغزو عاما ويحج اخرو يصلي كل يوم مائة ركعة ويتصدق بالف درهم واذا حج حمل معه مئة من الفقهاء ينفق عليهم واذا لم يحج كان ينفق على ثلاثمائة حاج نفقة شائعة وكان يجذى بائنا المنصور في بذل المال فلم ير خليفة قبلة ابذل منه وكان لما يقعد عن الغزو يغزو بالصائفة كبار اهل بيت وقواده فغزا بالصائفة (سنة ١٧٠) سليمان بن عبد الله الهكائي وقيل غزا بنفسه وغزا بالصائفة (سنة ١٧٢) اسحق بن سليمان بن علي فائض في بلاد الروم وغنم وسي وغزا (سنة ١٧٤) بالصائفة عبد الملك بن صالح وقيل ابنه فبلغ في نكابة الروم ما شاء واصابهم برد شديد سقطت منه ابدى الجند وغزا (سنة ١٧٧) عبد الرزاق بن عبد الحميد الثعالبي (سنة ١٧٨) زفر بن عاصم وغزا الرشيد (سنة ١٨١) بنفسه ففتح حصن الصفاف واغزا عبد الملك بن صالح فبلغ انقاره وفتح مطبورة فكان النداء بين المسلمين والروم وهو الاول في دولة بني العباس ونولاه اقام بن الرشيد واخرج له من طرسوس ابا سليمان فرج الخادم الوالي عليها فقتل المدامس على اثني عشر فرسخا وحضر الطلبة والاعيان وخلق من اهل الثغور وثلاثون الفا من الجنود المرتقة وجاء الروم بالاسرى وكان اسرى المسلمين ٣٧٠٠

وغزا بالصائفة (سنة ١٨٢) عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح (افسوس) مدينة اصحاب

الكف وبلغهم ان الروم سلوا ملكهم قسطنطين بن ليون وملكوا امة ايريني وثقيبت او تحسنت فاشتملوا في البلاد ويرجعوا (وسنة ١٨٢) كان ما كان من امر خاقان الخزر فولى الرشيد يزيد بن يزيد امر غزوم فانتصر عليهم (سنة ١٨٦) كان فدا عام بين المسلمين والروم (وسنة ١٨٧) غزا قاسم بن الرشيد وبعثه قربانا لله وولاه الرشيد المعاصم فاناخ على قرة وضيق عليها بن جعفر بن الاتمت فحاصر حصن ستان حتى جهد امله وقادى الروم بثلاثمائة وعشرين اسيرا من المسلمين على ان يرسل عنهم فاجابهم وتم بينهم الصلح وكان ملك الروم وقتئذ بن ابريني فخلعه الروم وملكوا نيقفور وكان على ديوان خراجهم وماتت ابريني بعد خمسة اشهر وملك نيقفور حصل ما حصل بينه وبين الرشيد فغزاه مرتين واثنى في بلاده (سنة ١٩٠) وغزا بالصائفة (سنة ١٨٨) ابراهيم بن جبريل ودخل من درب الصفاف فخرج اليو نيقفور ملك الروم فهزم وقتل من عسكره نحو اربعين الفا وفيها رابط القسم بن الرشيد ابي (وسنة ١٨٩) كتب الرشيد وهو بالري كتب الامان لشروين ابي قارن ونداهرمز جد مازيار مرزبان خستان صاحب الديلم وبعث بها مع حسين الخادم الى طبرستان وقدم خستان وونداهرمز فآكرهما الرشيد واحسن اليها (وسنة ١٩٠) غزا يزيد بن محمد الهيري ارض الروم في عشرة الاف فاخذت الروم عليه المضائق فانهزم وقتل في خمسين من اصحابه على مرحلتين من طرسوس واستعمل الرشيد على الصائفة هرثة بن اعين قبل ان يولى خراسان وصم اليو ثلثين الفا من خراسان وسار بالعساكر الاسلامية في اثره ورتب بدرب الحرث عبدالله بن مالك وهرعش سعيد بن مسلم بن قتيبة واغارت الروم عليه فاصابوا من المسلمين واصرفوا ولم يترك من مكانه وبعث الرشيد محمد بن زيد بن يزيد الى طرسوس واقام هو بدرب الحرث وامر قواده بهدم الكنائس في جميع الثغور واخذ اهل الامة بمخالفة زي المسلمين في ملبوسهم وامر هرثة ببناء طرسوس وتولى ذلك فخرج الخادم بامر الرشيد وبعث اليها جندا من خراسان ثلاثة ايام واشخص اليهم الفا من اهل المصبصة والفا من انطاكية فتم بناؤها (سنة ١٩٢) وفي هذه السنة تحركت الحرامية بتاحية اذربيجان فبعث اليهم عبدالله بن مالك فقتل وسي واسرفامره الرشيد بقتل الاسرى وبيع السبي واستعمل الرشيد على الثغور ثابت بن مالك الخزازي ففتح مطمورة وكان الفدا على يديه بالبدندون ثم كان الفداء الثاني وكان عدد الاسرى من المسلمين فيه ٢٥٠٠

ولم يكن الرشيد بعد قتل البرامكة يطبق القيام ببغداد وقام (سنة ١٩٢) من الرقة الى خراسان ومن بغداد طالبا حرب رافع بن الليث با وراء النهر لخروجه على الرشيد بسمرقند ولما كان في طوس جى يثير ابن الليث اسيرا فقال له الرشيد والله لو لم يبق من اجلي الا ان احرك شفتي بكلمة لقلت اقلوه ثم امر بقتلهم ففصل اعضاءه وهذا هو ليث بن الصغار ومنه الدولة الصغارية

و (في سنة ١٩٢) لثلاث خلون من جمادي الآخرة قضى الرشيد نجدة وكان فيه مرض فاشتدت علته يجران فسار الى طوس ومات فيها وكان قد سهر ولده المامون الى مرو وحضر الرشيد قبره في وسط الدار التي كان فيها وعندما حضره الموت كان خائفاً مرعوباً وغشى عليه ثم افاق فرأى الفضل ابن الربيع فقال يا فضل

احين دنا ما كنت اخشى دنوه رميني عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحوماً وكنت محمداً فصبراً على مكروه مر العواقب
سأبكي على الوصل الذي كان بيننا واندبت امام السرور الذواهب

وكان عمره سبعاً واربعين سنة وولاية نحو ثلاث وعشرين سنة وكان جميلاً ايضاً قد وخطه الطيب بن ترك اثني عشر ابناً وخمس عشرة بنتاً وعهد بالخلافة الى الامين ثم من بعده الى المامون ومن بعد المامون للمعتصم والخيار فيه المامون وكتب عهداً بذلك وجعله في الكعبة

وكان مروان يطوف كل ولايات ملكه من خراسان الى مصر وحج خمس مرات ولما رأى تكاثر الحديث عن النبي امر بان لا يعتمدوا الا القرائن وبعض الحديث المجمع على صحته وجمع جميع الكتب التي كانت سبباً للجدال فكانت حمل مائتي حمل فارسل ورمها في دجلة وركب تسع مراكب على الروم وفي دهره وبامره الف الاصمعي حكايات الف ليلة وليلة التي ترجمت لفضلها الى جميع لغات الافرنج وفي عهده امر بنفي جميع المطر بازيه وم يباعو العطارات والادوية بين البيوت وذلك انه بينما كان راكباً يوماً مع احد اطباء الشيرين سمع الطيب صوت مطر بازي ينادي دواء لجميع الادواء فغضب الطيب وقال للخليفة ما كنت اظن يا امير المؤمنين ان قتل النفوس مباح في ملك العرب واخبره بالامر فتفام اجمعين وكان طيب الرشيد بن خنثيوع بن جهور جيس النيسابوري وكان يلقب بيدموسى البضا ونفس عيسى لما كان يبيد من البراعة في فنوه وكان ولده جبريل طبيباً لجمعهم وكان ماهراً حاذقاً وشفى حظية للرشيد من بيس وقع في ذراعها بالحيلة قيل ان الحظية قطعت ورفعت يدها فبقيت مبسوطة لا يمكنها ردّها وقد كان عاجبها الاطباء بالتمرنج والادمان مدة فلم تنتفع فجي بجبريل المذكور فاقبل عليها واظهر نيته من تعريتها امام الجمهور فمن التحمل ولا نزاع استرسلت اعضاءها وبسطت يدها ومن اطبا الرشيد يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة وخدم الدولة العباسية الى ايام المتوكل وكان معظماً جليل القدر وله حملة مولفات وكان يعقد مجلساً للنظر ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة وكان يدرس ويجمع اليه التلامذة ومنهم ايضا صالح بن نهله الهندي وكان ماهراً حذقاً وله نكت لا يحل لها هنا وقالوا ان محمد المهدي كان وهب

ولده الرشيد خاتماً شراء بمائة ألف دينار فأنه رسول أخيه الهادي عندما تولى يطلب الخاتم فرماه في دجلة فدما للغواصين عند خلافتهم وغاصوا عليه فوجدوه وفرح به وولد له المأمون أيلة مات أبوه فتبيل مات خليفة وولد خليفة وقام خليفة في وقت واحد

نبذة في الخوارج

كان قد ظهر في زمان السفاح (سنة ١٢٧) من العباسيين ملبد بن حرملة الشيباني بالجزيرة فسارت إليه روابط الجزيرة في ألف فارس فهزمهم ثم سار اليه يزيد بن حاتم المهلبى ومهمل بن صفوان مولى المنصور ثم نزار من قواد خراسان ثم زياد بن مسكان ثم صالح بن صبيح فهزمهم كلهم واحداً بعد واحد ثم سار اليه عامل الجزيرة حميد بن قحطبة فهزمه وتمصن حميد منه فارسل المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن في الجيوش ومعه زياد بن مسكان فقاتلهم ملبد وانهمز عبد العزيز وقتل من معه فبعث المنصور حازم بن خزيمه في ثمانية آلاف من اهل خراسان فسار الى الموصل وعبر اليه ملبد دجلة وقاتله فانهمز اهل الميمنة واهل الميسرة من رجال حازم ثم ترجل حازم واصحابه وترجل ملبد كذلك واشتد القتال وقتل ملبد ونحو الف ومائة من رجاله واجتلى الامر بالتصارع حازم وتبع فضالة صاحب الميمنة المنهزمين وقتل منهم زهاء مائة وخمسين

وخرج (سنة ١٤٨) بنواحي الموصل في زمان المنصور حسان بن محمّد الهمداني وكان على الموصل الصفر بن بيجدة فسار الى حسان فهزمه الى دجلة وسار حسان الى عمان ثم الى البحر وركب الى السند وقاتل وكاتب الخوارج بعمان يدعوهم ويستأذنهم في اللحاق بهم فابوا وعاد الى الموصل فخرج اليه الصفر بن الحسن الهمداني وهلال فقتل هلالاً واستبقى ابن الحسن فأنهمز بعض اصحابه بانه ابقاء للعصية بينها وتركوه وعزم المنصور على الفتك باهل الموصل لانهم كانوا عاهدوا على عدم الخروج ولكنه استغنى بذلك فلم يجوزه له العلماء لانهم كانوا مكروهين على الخروج

ثم خرج في ايام المهدي يوسف بن ابراهيم المعروف بالبره بخراسان واجتمع بشركس فبعث اليه المهدي يزيد بن مزيد الشيباني فاقتتلوا قتالاً شديداً واسرى يوسف وارسل الى المهدي موثقاً واركب بعبراً ووجهه الى ذيب وتولى الخوارج على بوشنج ومروالروذ والطالقان والجوزجان وخرج ايام المهدي حمزة بن مالك الخزاعي (سنة ١٦٩) وهزم منصور بن زياد وصاحب الخراج وقوى امره ثم اغتاله بعض اصحابه وقتل ثم خرج في اخرايام المهدي بارض الموصل ياسين من بني تميم وضرب عسكر الموصل وهزمه وغلب على اكثر ديار ريعة والجزيرة فشيّع اليه المهدي ابا هريرة محمد بن مروخ وهزيمة بن اعين فحارباه حتى قتل في عدة من قومه ثم خرج بالجزيرة ايام الرشيد (سنة ١٧٨) الوليد بن طريف من بني مغلب وقتل ابراهيم بن خالد بن خزيمه بنصيبين ثم دخل

ارمينيه وحاصر خلاط عشرين يوما واقتدوا انفسهم بثلاثين ألفا ثم سار الى اذربيجان ثم الى حلوان
 وارض سوار وعبر الى ارض دجلة وعاث في الجزيرة فارس الى هرون يزيد بن يزيد بن زائدة
 الشيباني فكث يقاتله واخيرا انتصر عليه يزيد وقتله وحجى براسه فرثته اخوته بقولها
 ايا شجر الخابور مالك مورقا فانك لم تجزع على ابن عريف
 فتي لا يحب الزاد الا من النقي ولا المال الا من قنا وسيوف

ثم اقترضت كلمة الخوارج بالعراق والشام فلم يخرج بعد ذلك الا شذاذ متفرقون يستلهمهم
 الولاة بالنواحي واستمر خوارج البربر بافرقية فان دعوة الخروج فشت فيهم من لدن معبرة
 الظفري (سنة ١٢٢) ثم انتشرت دعوة الاباضية والصفرية منهم في هوار ولباية ونقرة ومغيلة وفي
 معراوة وبني بفرن من زناته وناهرت في الغرب الاوسط وكان لابي يزيد بن مخلد المغربي منهم
 حروب واخبار مع دولة العبيديين في القيروان ولم يزل امرهم في تناقص الى ان اضمحلت تعاليمهم
 وتفرقت جماعاتهم وبقيت اثار نخلتهم في اعقاب البربر الذين دانوا لها اول الامر في بلاد زناته
 بالصحرا وقصور ربع وواديه وفي معراوة من شعوب زناته كان الوهاية نسبة الى عبد الله بن وهب
 الواهبي اول من بويع منهم ايام علي بن ابي طالب ولم علماء وعلوم شائعة في معتقدم ما يخالف اهل
 السنة وكان بنواحي البحرين وعمان الى بلاد حضرموت وشرقي اليمن ونواحي الموصل اصول تظهر
 وعروق تنشئ في كل دولة الى ان خرج علي بن مهدي من خولان باليمن ودعى الى هذه النحلة وغلب
 حينئذ من كان من الملوك باليمن واستلم بني الصلحي القائمين بدعوة العبيديين من الشيعة وغلبهم علي
 ما كان بايديهم من ممالك اليمن واستولوا ايضا على زبيد ونواحيها واستمروا مدة طويلة والخلاصة
 ان هذا الحزب المشابه بفروعه الاثرناسيونية ونحوهم كان ولم يزل موجودا في العالم الاسلامي الى الان

في خلافة الامين وهو سادسهم (من سنة ١٩٢ - ٨٠٨ الى ١٩٨ - ٨١٢)

وبويع للامين ابن الرشيد بالخلافة في العسكر يوم توفي ابيه وكان المامون يومئذ بمرو وكتب
 صالح بن الرشيد الى الامين بعرفة بوفاة ابيه وارسل له خاتم الخليفة والبرده والقضيب فاخذت له
 البيعة ببغداد ونحول الى قصر الخلافة ثم قدمت عليه زبيدة امه من الرقة ومعها خزان الرشيد
 فلقبها الامين بالانبار ومعه جميع اكابر بغداد وبوقت قتل نيقفور ملك الروم في حرب برجان
 وعصى على الامين اهل حمص (سنة ١٩٤ - ٨٠٩) وطردها عاملهم اسحق بن سليمان فقام الى سلمية
 فارسل عليهم عبد الله ابن سعيد الحرشي وقاتلهم حتى استامنوا
 وكان الامين فاقد حكمة السياسة فامر بابطال اسم المامون من الخطبة ووضع اسم ابنه موسى

ولقبه الناطق بالحق وكان طفلاً فادى ذلك الى خلاف بين الاخوين وتجهزوا للقتال فارسل الامين علي بن عيسى بن ماهان بجيش لحرب المامون في خراسان وكان طاهر بن الحسين في الري من طرف المامون بعسكر قليل فخلع طاهر بيعة الامين وبايع المامون وقاتل علياً قتالاً شديداً وقتل علي ورفع راسه الى طاهر وانهمز عسكره فارسل الامين عسكراً اخر صحبة احمد بن مرثد وعبد الله بن حميد بن قحطبة وكان مع كل واحد عشرون الفا وساروا الى حلوان لقتال طاهر وبوصولهم الى خافقين وقع فيهم الخلاف فرجعوا دون قتال فتقدم طاهر ونزل في حلوان ولحقه هرثة بجيش اخر من عند المامون وكتاب يامره بالقيام الى الاهواز . ولما بلغ المامون قتل ابن ماهان امر بان يخطب له بامرة المؤمنين وعقد للفضل بن سهل على المشرق من هذان الى التبت طويلاً ومن بحر فارس الى بحر الديلم وجرجان عرضاً ولقبه بهذي الرياستين رياسة الحرب ورياسة القلم وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج ثم استولى طاهر على الاهواز وواسط والمدائن ونزل صرصر (سنة ١٢٦ - ١١١) وفي التي بعدها التي هرثة وطاهر الحصار على بغداد واقعا فيها النهب والحريق ومنعا دخول الميرة فغلا بها سمر كل شي ودام الحصار وشدة الحال كل السنة

وفي السنة نفسها توفي ابراهيم بن اغلب عامل افريقية وقام ولده عبدالله مقامه ثم هجم طاهر على بغداد وبعد قتال عنيد نادى مناديه من لزم بيته فهو آمن ونحصد الامين في مدينة المنصور وتفرق عنه عامة جنده وخصيائه وحاصره طاهر هناك وسد عليه المنافذ ثم طلب الامين الامان من هرثة وان يطلع اليه فروجع طاهر فاني ولما كانت ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم (سنة ١٢٨ - ١١٢) خرج الامين وعليه ثياب بيض وطيلسان اسود فارسل اليه هرثة بمنعه من ذلك وبان يبقى الى الليلة القادمة فلم يقبل ودعا الامين بابيه وضمها اليه وقبلها وبكى ثم مضى راكباً الى الشط فوجد حراقة هرثة فصعد اليها فاحضنه هرثة وضمة اليه وقبل يديه ورجليه ثم شد اصحاب طاهر (وكان الامر لطاهر) على حراقة هرثة حتى غرقوها فاخرج الملاح هرثة من الماء اما الامين فلما سقط في الماء شق ثيابه وسبح الى الجانب الثاني فاخذوه وهو عريان وجعلوه في بيت ولما جاء الليل ارسل اليه طاهر بعض الاعجام فقتلوه واخذوا راسه فصبه طاهر على برج من ارجة بغداد ثم ارسل الراس الى المامون وكتب بالفتح وارسل له البردة والتصيب ودخل طاهر المدينة واقام خطبة المامون نهار الجمعة وكان قتل المامون است بقين من محرم وخلافته نحو اربع سنين وثمانية اشهر وعمره نحو ثمانين سنة قهرية وكان سبطاً انزع جميلاً طويلاً صغير العينين اقنى وانهمك باللذات وشرب المسكرات واتي بالمهين والمهيات من اطراف البلاد وقربهم اليه واجرى عليهم الارزاق واحجب عن اخوته واهل بيته وقسم الاموال والجواهر في خواصه وفي الخصيان والنساء وامر

تيمية جواربه ان تعد له مائة فتاة صانعة فيصعدن اليه عشر عشر بأيديهن العيدان يفتين بصوت واحد وقيل لما اتاه نعي علي بن عيسى قائد جيشه كان يصطاد السمك فقال للناعي دعني فان كوثرا قد اصطاد سمكتين وانا ما اصطدت شيئا بعد وكان له خمس حراقات في دجلة على صورة اسد وقيل وعقاب وحية وفرس وفي ذلك قول
ابي نواس

يختر الله للامين مطايا لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سرن برا سار في الماء راكبا ليث غاب
عجب الناس اذ راوك عليه كيف لوا بصرك فوق العقاب
ذات سور ومنسروجناحين تشق العباب بعد العباب

وبالجملة لم يكن للامين ما يستحسن في السياسة الصالحة وحياته قصيرة عريضة وبعد ذلك استوثق الامر للمامون مشرقا ومغربا

في خلافة المامون وهو سابعهم (من سنة ١٩٨ - ٨١٢ الى ٢١٨ - ٨٢٣)

هذا هو الثامن من العباسيين باعتبار بدو الخلافة من ابراهيم الامام والسابع باعتبار بدئها من السفاح وبو وصلت شمس الخلافة الى اقصى درجة الصعود قال ابو النرج ثقلا عن القاضي صاعد بن احمد الاندلسي « ان العرب في صدر الاسلام لم تكن بشيء من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكام شريعته حاشا صناعة الطب فانها كانت موجودة عند افرادهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرا اليها

فهذه كانت حالة العرب في الدولة الاموية فلما ادال الله تعالى للهاشمية وصرف الملك اليهم ثابت اليهم من غفلتها وهبت النطن من ميبتها وكان اول من عفى منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور وكان مع براعته بالغة كلفا في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم . ثم لما افست الخلافة فيهم الى الخليفة السابع عبد الله المامون من ولد المنصور ثم ما بدا فيوجد فاقبل على طلب العلم في مواضع وداخل ملوك الروم وساءهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا اليه منها ما حصرهم فاستجاد لها مهرة المترجمين وكلهم احكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما امكن ثم حرص الناس على قرائتها ورغبتهم في تعلمها فكان يخلو بالعلماء ويانس مناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علما منه بان اهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لانهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفوس الناطقة وزهدوا في ما يرغب فيه الصين والترك ومن نزع متزعم من التنافس في دقة الصنائع العملية

والتباهي باخلاق النفس الفضيية والتفاخر بالقوى الشهوانية اذ علموا ان البهائم تفرحهم فيها وتفصلهم في كثير منها . اما احكام الصنعة فكانت لخل المحكمة لتسد بس مخازن قوتها . واما في الجراءة والشجاعة فكان الاسد وغيره من السباع التي لا يتعاطى الانسان اقدامها ولا يدعي سالتها . واما في الشبق فكانت الخنزير وغيره مما لا حاجة الى اباته . فلهذا السبب كان اهل العلم مصايح الدجى وسادة البشر وباحشة الدنيا لتقدم .»



المأمون

ولما نهض المأمون على تخت الخلافة ولي الحسن بن سهل اخا الفضل على كور الجبال والعراق وفارس والاهواز والحجاز واليمن

(في سنة ١٩٩) ظهر بالكوفة محمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا ودعا الناس اليه وكان القائم بامر ابي السرايا وبايعته الكوفة واستوثق له اهلها فارسل المأمون اليه الحسن بن سهل الصفي في عشرة الاف فهزم ابن طباطبا واستباحهم ثم توفي ابن طباطبا

فجأة وقيل سمع أبو السرايا يستبد بالامر وإقام فلاماً من اولاد علي يقال له ابن زيد صورة . وفتح البصرة وطاسط وجرى بينه وبين عساكر المامون عدة وقائع الى أن انجلي الامر بفرار ابي السرايا من الكوفة بثمان مئة فارس بعد أن حصره هرثة ودخل هرثة الكوفة وأمن أهلها وسار أبو السرايا الى جلولاً وتفرق عنه أصحابه فظفروا حماد الكندغوش فقبض عليه وعلى من بقي معه واتى بهم الى الحسن بن سهل وهو في النهران فقتله وأرسل براسه الى المامون

وبالوقت نفسو ظمرا بهيم بن موسى بن عمى بن جعفر العلوي وسار الى اليمن فهرب عامل المامون منه وهو اسحق بن موسى العباسي . واستولى ابرهيم على اليمن وكان يلقب بالجزار لكثرة ما قتل وسي وفيها غضب المامون على هرثة لأنه لم يطع امره بالذهاب الى الحجاز والشام فقبض عليه وسجنه ثم دس عليه من قتله في السجن وكان هرثة المذكور يظن أنه مسموع القول عند الخليفة وبينه وبين ابن سهل صداقة فلم يصانعه فوجد ظنه بغير محلو

قال أبو الندي وامر (سنة ٢٠٠) المامون باحصاء ولد العباس فبلغوا ثلثة وثلثين ألفاً وفيها اقيمت الافراح بين المسلمين وعملوا الاوقاف التقوية معبدن تنمية القرن الثاني من الهجرة .

فصل

في الربع الاول من القرن الثالث

وكثر الحرام واقتتل في بغداد وقطع الطرق واخذ النساء والاولاد علانية ونهب القرى حتى تجمع بعض الاحياء واقاموا عليهم خالد بن الدريوس وشدوا على اولئك الناس وطردوهم وقام بعد الدريوس اخريقال له سهل بن سلامة (الانصاري) من خراسان واجتمع اليه كثير من البغداديين واكيلوا ردع الحرامية

وكان المامون يميل لآل علي ويؤد علي الرضى بن موسى الكاظم وعهد له بالخلافة من بعده وامر جنوده بطرح السواد ولبس الاخضر وكعب بذلك الى الاتفاق فشق الامر على بني العباس ووقع الخلاف وهاج الناس وبمضوا في بغداد الى بيعة ابرهيم ابن المهدي وخلع المامون وكان ذلك اولاً للسبب الذي ذكرتم لتقديده الحسن بن سهل . وبايع اهل بغداد ابرهيم المذكور (سنة ٢٠٢) ولقب المبارك وكان القيم على امور ابرهيم المطلب بن عبد الله بن مالك واستولى ابرهيم على الكوفة وجمع عسكره الى المدائن واستعمل على الجانب الغربي من بغداد العباس بن موسى الهادي وعلى الجانب الشرقي اسحق بن الهادي وبسبب هذه التفتن سار المامون من مرو الى العراق واستخلف على خراسان عثمان بن حماد وعند وصوله الى برخس وبأربعة انفس بالفضل بن سهل فقتلوه وعمره ستون سنة فنصب المامون وجعل لمن معكم عشرة الاف دينار فامسكهم العباس ابن المهتم الدينوري

وأمر المأمون بضرب اعتناقهم وقام طالباً العراق فبلغ ذلك ابراهيم بن المهدي والمطلب وغيرهما فترك المطلب ابراهيم وتوارض وتوجه الى بغداد واشتغل باطنياً لجانب المأمون وبخلع ابراهيم فلم ابراهيم وهو في المدائن فقصد بغداد وأمر به فنهبت دوراهله ولم يظفروا بالمطلب

وفي تلك السنة (وفي سنة ٢٠٢) عقد المأمون العقد على بوران بنت الحسن بن سهل وزوج ابنته من علي الرضا ولي عهده الذي توفي ثاني سنة ودفن عند قبر الرشيد ومولده كان (سنة ١٤٨) بالمدينة ولما مات علي كتب المأمون الى بغداد يعلم بهي قاتلاً ان الذي تقيم علي بسببه قد توفي . وكان علي ثامن الائمة الاثني عشر على مذهب الامامية وولده محمد الجواد كان تاسعهم ثم خلع اهل بغداد ابراهيم بن المهدي ودعوا للمأمون واخفى ابراهيم لمدة (وفي سنة ٢٠٣) حدث ما وراء النهر زلزل عظيمة وهلك فيها خلق كثير وكان معظمها ببلخ والجوزجان والارياض والطالقان . ثم جن الحسن بن سهل وشد في الحديد

وفي ذلك الوقت نهض الروم على ملكهم ليون وقتلوه واعادوا عليهم ميخائيل بن جرجس المفلوح وفي عليهم تسع سنين ومات (سنة ٢١٥) وملك ابنة طوفيل مكاة

ثم قدم المأمون (سنة ٢٠٤) الى بغداد واقطعت النتن وكان لابساً الاخضر فدخل اليه الناس وسلوا عليه بالاخضر ثم رجعوا الى اللباس الاسود بامرهم . وفي (سنة ٢٠٦) توفي الحكم ابن هشام صاحب الاندلس وعمرة ثنتان وخمسون سنة وترك تسعة عشر ابناً وخلفه عبد الرحمن واده وسوف تذكر هذا الفرع من الدولة الاموية في فصل مخصوص . وفي سنة ٢١٠ هجر المأمون بابراهيم بن محمد من ولد ابراهيم الامام وكان يعرف بابن عائشة وبجماعة معه من الاعيان الذين كانوا قد سعلوا بالبيعة لابراهيم بن المهدي فصلب ابن عائشة وحبس الباقيون . ثم ظهر ابراهيم ابن المهدي فحبسه ثم اطلقه

وفي السنة المذكورة دخل المأمون ببوران بنت الحسن وكان الحسن يسكن في قم الصلح فذهب اليه وثارت على المأمون ام الحسن جدة بوران الف حبة لولوه من انفس ما يكون واوقدت سمعته من العنبر وزن اربعين مثناً وكتب الحسن بن سهل رقاعاً باسماء ضياعه ونثر على القواد فمن وقع للفرقة اخذ للضعة المساة فيها وكان قد برى من جنوده . قلعه هذا الكرم والاصراف بحسبان في هذه الازمة المتعددة من الاغلاط للسياسة المعطى لانه كيف يجوز لملك ضيعة ان يهبها لمن لا يعلم انها كان بحسن او يلق لضبط لمورسكانها ولكن هذا لم يكن بشيء وتجنر لان اليهودية كانت امراً مألوفاً والحيرة خيراً مذكوراً

(وفي سنة ٢١٢) ولي المأمون ابيه العباس على الجزيرة واخاه ابا الحسن المصم على الشام ومصر

وولي غسان بن عباد على السند واستعمل هبة الله ابن طاهر على خراسان

(سنة ٢١٤) توفي ادريس بن ادريس العلوي وخلفه ولده محمد في فاس والبربر وولي اخاه القاسم طنجة وما يليها واخاه عمر صنهاجه وغماره واخاه داود هواره باسليب واخاه يحيى مدينة داني وما والاها واعمل بقية اخوته على ملك البربر

وكان المامون بفضل عليا على جميع الناس بعد الرسول محمد ويقول بخلق القرآن وكان يضطهد كل من قال بخلاف ذلك من العلماء وغيرهم واثم معهم مباحثات وامور كثيرة ولكنه لم يش طويلا بعد ذلك وتوفي لثلاث عشرة خلت من حمادي الاخرة (سنة ٢١٨-٨٢٢) ذكر ابن العلاف ما مفاده ان المامون دعاه وهو جالس مع اخيه المعتصم على شاطئ نهر البندون وقد وضع ارجلها في الماء وقال له اي شيء يوشك ان يشرب عليه من ذلك الماء العذب فقال بن العلاف الرطب . وبينما هم في الحديث اذ وفدت بغال البربر عليها الخنائب وفيها الا لطف فقال المامون لخدمته انظر ان كان في هذه الا لطف رطب فمضى وعاد ومعه سلتان من احسن اطيب ما يكون واكل المامون واكل معه المحاضرون وشربوا من ذلك الماء فما قام احد منهم الا وهو محموم . قال ولم يزل المامون مريضا حتى دخل العراق وكان وقتئذ اتيا من الروم ولما اشتد مرضه اوصى الى اخيه المعتصم بالخلافة بحضرة ابنه العباس واوصاه باولاده واولاد اعمامه وحمله اخوه المعتصم وولده العباس الى طرسوس ودفناه بدار جلعان خادم الرشيد وصلى عليه المعتصم

وكانت ولادته (سنة ١٧٠-٧٨٦) وكان ربعة ايض جميلا طويل اللحية رقيقها قد وخطه الشيب وقيل كان اسمرا حتى اعين ضيق المجبهة بخده خال اسود

الصوائف

فتح عبد الله بن حردادية والي طبرستان البلاد والسير من اراضي الديلم واخذ جبال طبرستان وابعده شهر يار بن شروين عنها واشخص مازيار بن قارن الى المامون واسر ابايل ملك الديلم (سنة ٢٠١) . وفيها ظهر بابك الخرمي في الجاوندانية اصحاب جاوندان سهل ومعناه الدائم الباقي ومعنى خرم فرج وكانوا يعتقدون مذاهب المجوس

(سنة ٢١٤) خرج ابو بلال الصابي الشاري فارسل عليو المامون ابنه العباس في جماعة من القواد فقتلوه . (سنة ٢١٥) دخل المامون بلاد الروم بالصائفة تاركا بغداد في المحرم واستخلف عليها اسحق بن ابراهيم بن مصعب وهو ابن عم طاهر وولاه السواد وحلوان وكور دجلة ولما وصل الى تكريت لقيه محمد بن علي الرضا فاجازه وزف اليه ابنته ام الفضل وسار الى المدينة فاقام بها . . . وسار المامون على الموصل الى منبج ثم دابق ثم انطاكية ثم المصيصة وطرسوس ودخل من هناك ففتح حصن قره عنوة وقيل بالامان وهدمه وفتح قبلة حصن ماجد

وبعث اشباس الى حصن سدس ودخل ابنة العباس ملطية ووجه المامون عجينة وجعفر الخياط الى حصن حنان فاطاع وعاد المعتصم من مصر فلقى المامون قبل الموصل ولقيه العباس ابنة براس عين وجاء المامون من العراق الى دمشق ثم بلغه ان الروم عادوا الى طرسوس والمصيصة وانحنوا فيها بالقتل فرجع اليهم وفتح كثيرًا من معاقلم واناخ على هرقله حتى استامنوا وصالحوه . وبعث بالمعتصم ففتح ثلاثين حصنًا منها مطمورة . وبعث يحيى بن اكثم فاتحن في البلاد وقتل واحرق وسي ثم رجع المامون الى كيسوم ثم الى دمشق . ورجع المامون (سنة ٢١٧) الى بلاد الروم فاناخ على لؤلؤه مائة يوم ثم رحل عنها وخلف عجيبة على حصارها وجاء طوفيل ملك الروم فاحاط به فبعث اليه المامون بالمدد فارتحل طوفيل واستامن اهل لؤلؤه وبعث طوفيل يطلب المهادنة والمامون في سلوين فلم يجبه . ثم رجع المامون سنة ٢١٨ وبعث ابنة العباس الى بناء طوانة فبنى بها مبلًا في ميل ودورها اربعة فراسخ وجعل لها اربعة ابواب ونقل اليها الناس من البلدان

نبذة في دولة بني زياد

والمامون ارسل (سنة ٢٠٢) محمد بن زياد اميرًا على اليمن فسار محمد وفتح عمامة واستقرت له وبني مدينة زبيد (سنة ٢٠٤) وارسل مولاة جعفر بالطاف جميلة الى المامون (سنة ٢٠٥) فآكرمه المامون واعاده بعسكر (سنة ٢٠٦) نحو الي فارس وعظم امر محمد واستولى على كل اقليم اليمن وقاد جعفر ولاية الجبال واخبط جعفر بها مدينة المدجيرة ودعيت بلاد جعفر بخلاف جعفر وكان من الدهاة وقت به الدولة الزيدانية ثم قتل محمد وخلعه ابنة ابراهيم . ثم زياد بن ابراهيم . ثم اخو زياد المكشي بالي الجيش وطالت مدته وتوفي (سنة ٢٧١) تاركًا طفلًا قد اختلف في اسمه وتولت كفالة الطفل اخنة هند وتولى معها عبد لاي الجيش اسمه رشد وبقي رشد والبا حتى مات فخلفه عبده حسين بن سلامة (وسلامة هي ام حسين) وكان حازمًا عفيفًا وصار وزيرًا لهند ولاخيها المذكور حتى مات . ثم انتقل ملك اليمن الى طفل من آل زياد وقامت بامره عمته وعبد من عبيد حسين بن سلامة اسمه مرجان وكان لمرجان المذكور عبدان قد تغلبا على اموره وهما قيس ونجاح وهذا نجاح هو جد ملوك زبيد على ما سيذكر فوقع التناقس بين قيس ونجاح على الوزارة وكان قيس عسوفًا ونجاح روفًا وكان مرجان يميل الى قيس اما عمة الطفل فكانت تميل الى نجاح . فشكا قيس ذلك الى مولاة فقبض مرجان على الملك واسمه عبد الله وقيل ابراهيم وعلى عمته وسلمها الى قيس فبنى قيس عليها جدارًا وكان عبد الله المذكور اخر ملوك اليمن من الزياديين وكان ذلك (سنة ٤٠٧ - ١٠١٦) وانتقل ملكهم الى عبد عبيد بن نجاح وذلك انه لما قتل قيس ابراهيم وعمته وملك عظيم الامر على نجاح واستنصر الاسود والاحمر وقصد قيسًا وجرى بينها قتال عنيد

انجلي عن قتل قيس على باب زيد وفتح نجاح زيدا (في ذي القعدة سنة ٤١٢) وسال نجاح مرجان ماذا عمل بالصبي وعمته فدله على مكانها فاخرجها وصلى عليها ودفنها واقام لها مشهدا وجعل نجاح قيسا وسيدة مرجان موضعها وارجع الجدار كما كان وتلك نجاح وركب في المظلة وضرب السكة باسمه واستقل بملك اليمن وهو اصل دولة زيد (انتهى ملخصا ابو الفدا)

وكان المامون يحب العلماء من كل نوع ويكرمهم لاسيما علماء الافلاك ومن النجيين في ايامه كان حبش الحاسب المروزي الاصل البغدادي الدار وله ثلاثة ازياج اولها المؤلف على مذهب السند هند والثاني المتحن وهو اشهرها لانه بعد ان رجع الى معاناة الرصد واجبة الامتحان في زمانه والثالث الزيج الصغير المعروف بالشاه وله خلفا وبلغ من العمر مائة سنة ومنهم احمد بن كثير الفرغاني صاحب المدخل الى علم الافلاك يخون على جوامع كتب بطليموس باعذب لنظ واين عبارة ومنهم عبدالله بن ابي سهل ابن نوبخت كبير القوم في فن النجوم ومنهم محمد بن موسى الخوارزمي وكان الناس قبل الرصد وبعده يعولون على زيجي الاول والثاني ويعرف بالسند هند ومنهم ما شا الله اليهودي كان في زمان المنصور وعاش الى ايام المامون وكان فاضلا اوحد زمانه وله حظ قوي في سهم الغيب ومنهم يحيى بن ابي منصور رجل فاضل كبير القدر مكين المكان ولما عزم المامون على رصد الكواكب تقدم اليه والى جماعة من العلماء فاصحوا الا انه بشمسية بغداد وجبل قاسيون بدمشق . . . قال ابو معشر الفلكي اخبرني محمد بن موسى النجم الجليلي لا ابو الخوارزمي قال حدثني يحيى بن ابي منصور قال « دخلت الى المامون وعنده جماعة من النجيين ورجل يدعى النبوه وقد دعا له المامون بالصبي ولم تحضر بعد ونحن لا نعلم فقال لي ولان حضر من النجيين اذهبوا وخذوا الطالع لدعوى الرجل في شي يدعي وعرفوني ما يدل عليه الفلك من صدق وكذب ولم يعلمنا المامون انه متني قال فحملنا الى بعض تلك الصعوان فاحكمتنا امر الطالع وصورنا موضع الشمس والقمر في دقيقة واحدة وسهم العادة منها وسهم الغيب في دقيقة واحدة مع دقيقة الطالع والطالع الجدي والمشتري في السنبلة بنظر اليه والزهرة وعطارد في العقرب بنظران اليه فقال كبل من حضر من القوم ما يدعي صحيح وانا ساكت فقال لي المامون ما قلت انت قلت هو في طلب تصحيحه وله حجة زهرية عطاردية وتصحيح الذي يدعي لا يتم له ولا ينتظم فقال لي من اين قلت هذا قلت لان صحة الدعاوي من المشتري ومن ثلث الشمس وتسديسها اذا كانت الشمس غير مخوسة وهذا الطالع يخالفه لانه هبوط المشتري والمشتري بنظر اليه نظر موافقة الا انه كاره لهذا البرج والبرج كاره له فلا يتم التصديق والتصحيح والذي قال من حجة زهرية وعطاردية انما هو ضرب من التخمين والتزويق والتخداع تعجب منه ويستحب فقال المامون لله درك انت ثم قال

اتدرون من الرجل قلنا له لا قال هذا يدعي النبوة فقلت يا امير المؤمنين امعه شي بختج بو فسأله فقال نعم معي خاتم ذو فصين البسة انا فلا يتعين منه شي بختج بو ولبسه غيري فيضحك ولا يمالك من الضحك حتي يتزعه ومعني قلم شامي اخذه فاكتب بو وياخذه غيري فلا ينطلق اصبعه فقلت ياسيدي هذه الزهرة وعطارده قد عملا عملها فامر المامون بعمل ما ادعاه فقلنا له هذا ضرب من الطلسمات فما زال بو المامون اباماً كثيرة حتي اقر وتبرا من الدعوى ووصف الحيلة التي احنا لها في الخاتم والفلم فوهب له الف دينار فتلقيناه بعد ذلك فاذا هو اعلم الناس بعلم النجوم قال ابو معشر وهذا هو الذي عمل طلسم الخنافس في دور كثيرة من دور بغداد انتهى قال ابو معشر المذكور لو كنت حاضراً مكان القوم لقلت اشيا ذهبت عليهم . كنت اقول الدعوى باطلة لان البرج منقلب والمشتري في الوبال والقمر في المحاق والكوكبان الناظران في برج كذاب وهو العقرب

ومن الحكماء يوحنا بن البطريق الترجمان مولى المامون كان اميناً على ترجمة الكتب الحكيمية حسن النادية للمعاني لكن اللسان في العربية وكانت الفلسفة اغلب عليه من الطب

ومن الاطباء سهل بن شابور ويعرف بالكوسيج كان بالاهواز في لسانه خوزية وتقدم بالطب في ايام المامون وكان اذا اجتمع مع يوحنا بن ماسويه وجيورجيس بن بختيشوع وعيسى ابن الحكم وزكريا الطينوري قصر عنهم في العبارة لا في العلاج ومنهم جبريل الكحال وكان له كل شهر الف درهم وكان اول من يدخل الى المامون كل يوم ثم سقطت مرتبته لانه كان يقل اخباراً فقال له المامون يوماً اني جعلتك كحال لاعاملاً للاخبار وعزله براتب مائة وخمسين درهما كل شهر قلت لو كان في زمان المامون جرائد ولا سيما مثل الجوائب في القسطنطينية ومصر في الاسكندرية لكان عذر المامون جبريل

وكان المامون قد قرأ ان في كتب الاوائل يجعل دور الارض اربعة وعشرين الف ميل فاراد تحقيق ذلك فامر بني موسى الثلاثة المشهورين وهم محمد واحمد والحسين اولاد موسى المذكور ابن شاكرو كانوا يعلمون جيداً علم الهندسة والحبل والموسيقى بان يحققوا ذلك ويحرووه فسالوا عن الارض المتساوية فاخبروا بصحراء سنجار ووطاة الكوفة فارسل معهم المامون جماعة يثق الى اقوالهم فساروا الى صحراء سنجار وحققوا ارتفاع القطب الشمالي وضربوا هناك وتدًا وربطوا فيه حبلًا ومشوا الى الجهة الشمالية على الاستواء من دون انحراف حسب الامكان وبقوا كلما فرغ حبل نصبوا في الارض وتدًا اخر وربطوه الى حبل اخر كفعلهم الاول حتي انتهوا كذلك الى موضع قد زاد فيه ارتفاع القطب الشمالي المذكور درجة محقة ومعهما ذلك القدر فكان ستة وستين ميلًا وثلاثي ميل ثم وقفوا عند موقعهم الاول وربطوا الى الوند حبلًا ومشوا الى جهة الجنوب من غير انحراف كالاول حتي وصلوا

الى موضع المنحط فيه ارتفاع القطب الشمالي درجة ومسحوا ذلك القدر فكان كالاول ثم عادوا الى المامون واخبروه بذلك فاراد المامون تحفة في موضع اخر فسيرهم الى ارض الكوفة فساروا اليها وفعلوا كالعادة فوافق الحسابات ثم ضربوا الاميال المذكورة بعدد الدرج (٢٦٠) وهي درج الملك فكان الحاصل موافقا لقول الاوائل قال ابو الفدى كذا قال ابن خلكان وقال غيره ان الذي وجدوه في ايام المامون كان ستة وخمسين ميلا لا غير وان الاول هو ما كان عند القدماء قلت وقالوا نحو ستين ميلا للدرجة

وكان المامون اكرم الخلفاء ذكر ابو الفدى ان المامون كان مرة في دمشق وقد قل معه المال فشكى الى اخيه المعتصم وكان يتولى الشام ومصر فقال له يا امير المؤمنين كانك بالمال وقد وافاك بعد جمعة وحمل اليه المعتصم من خراج ما يتولاه ثلاثين الف الف الف (ولعله درهم) فلما ورد ذلك قال ليعني بن اكرم اخرج بنا نلظ الى هذا المال فخرجه ونظرا اليه وقد هيء باحسن هيئة وحليت ابا عره فاستكثر المامون ذلك واستحسنه واستبشر به الناس والناس يظرون ويتعجبون فقال المامون يا ابا احمد انصرف بالمال وبرجع اصحابنا خائبين ان هذا للوم فدعا بمحمد بن رداد وقال له وقع لآل فلان بكذا ولا لآل فلان بكذا فما زال كذلك حتى فرق اربعة اخماسه ورجله في الركاب

في خلافة المعتصم بالله وهو ثامنهم (من سنة ٢١٨ - ٨٢٢ الى سنة ٢٢٧ - ٨٤١)

ولما حصلت المباينة للمعتصم حصل شغب فيما بين الجند وبادوا باسم العباس ابن المامون فارسل المعتصم الى العباس فحضر وبايع المعتصم وخرج نفسه الى الجند واعلمهم بانه بايع لعمه فسكنوا وقام المعتصم الى بغداد وصحبته العباس في (سنة ٢٢٢) خرج طيوفيل فيصر الروم في جمع عظيم وبلغ زبطه وسي وقتل واغار على ملطية وغيرها وسبى المسلمات واسر المسلمين وقطع اناقاً واذاناً كثيرة وبلغ ذلك المعتصم وان امرأة هاشمية سمعت اصيح وهي في ايدي الروم وامعتصاه فلعبت به الحماسة العربية واستعظم الامر ونهض من وقته بعساكره في اخر جمادى الاولى ودخل بلاد الروم طالبا عمورية لانه كان قد سمع انها عين النصرانية واشرف من بزطية عند الروم وكان جهازه لم يسبق اليه قبلاً. ونزل على نهر قرب البحر يوماً من طرسوس وجعل عسكره ثلث فرق فرقة مع الافشين خيذر بن كاووس في الميمنة وفرقة مع اشناس التركي في الميسرة وفرقة معه في القلب وكان بين كل واحدة والاخرى فرسخان وامرهم المعتصم بالحريق والتخريب ففعلوا ذلك حتى وصلوا الى عمورية وكان اول من قدمها اشناس ثم المعتصم ثم الافشين فاتقاملوا عليها المتعجبات واحدقوا بها

من كل جانب وجرى بين المسلمين والروم حرب شديدة وانجلى الامرا خيرا عن انتصار المسلمين وخراب السور وقتل الاهلين وسي النساء والاولاد ونهب الاموال واحراق البلد بعد حصاره خمسة وخمسين يوما وقيل انهم قتلوا ثلثين الفا وسبوا مثلها . ثم قام راجعا الى الثغور فبلغه وهو في اثناء الطريق ان جماعة من القواد كانوا قد بايعوا العباس بن المأمون فدعا المعتصم بالعباس وبعثه للافشين خيبر فاهله عطشا في منج

ومن الحوادث المهمة في عهد المعتصم كان اولاً خروج محمد بن قاسم من اولاد الحسين بن علي فتقاتل مع عبدالله بن طاهر مرارا واخيرا خرج ناجيا بنفسه ومرضه بنساء فوثق به الى عاملها فقبض عليه وبعثه الى همدان فبعثه عبدالله الى المعتصم (سنة ٢١٩) فحبسه عند الخادم مسرورا الكبير فهرب من حبسه ليلة النطرون ولم يوقف له على خبر

ومنها حرب الزط وهم قوم من اخلاط الناس غلبوا على طريق البصرة وعاثوا وولوا عليهم رجلا منهم اسمه محمد بن عثمان وقام بامرهم اخر منهم اسمه سحاق فارسل الى حريم المعتصم عفيف بن عبيدة فسار الى واسط وحاربهم سبعة اشهر الى ان استامنوا اليه وجاءوا باجمعهم في سبعة وعشرين الفا المقاتلة منهم اثنا عشر الفا فعباهم عجب في السفن على ههناهم البحرية ودخل بهم بغداد في عاشوراء (سنة ٢٢٠) وركب المعتصم الى الشامية في سفينة حتى رآهم ثم غرهم الى عين زربة فاغارت عليهم الروم فلم يفلت منهم واحد

ومنها اكمال مدينة سامرا التي كان ابتدأها الرشيد ولم يستتمها وخربت فجددها المعتصم وبنها (سنة ٢٢٠) وسماها سرمين راي فرخمها الناس سامرا وصارت دارا لملك العباسيين من اذن المعتصم ومنها نكبة الفصل بن مروان الكاتب وكان المعتصم قد استكتبه بعد موت كاتبه يحيى الجرماني واخذته معه الى الشام فائرى جدا ولما استخلف المعتصم تولى على هواه واستنبح الدواوين واخبر الاموال ثم صار يرد اوامر المعتصم في العطايا فاختلفت فيه السعيات ودسوا عليه عند سنده فمقد عليه وصادره (سنة ٢٢٠) وجميع اهل بيتو واقام عوضه محمد بن عبد الملك بن الزيات وغرب الفصل الى بعض قرى الموصل

ومنها انتفاض مازيار بن قارن بن ونداه رمز صاحب طبرستان وكان منافرا للمعبد الله بن طاهر فلا يحمل اليه الخراج وعظمت الفتنة بينهما وكان عبد الله بن طاهر شديد للمسلمية على المازيار عند المعتصم حتى استوحش منه فعند ظفر الافشين بياك وعظم محله عند المعتصم طمع في ولايته خراسان فاستمال مازيار وحزبه على هداية ابن طاهر طمعا في ان يهدي ذلك للخلاف ويرسله المعتصم عليه فيتخذ ذلك فرصة للاستيلاء على خراسان وكان ذلك سببا للحرب وقتل المازيار ثم

علم امر الافشين باغرائه على العصاة

فصل

في الربع الثاني من القرن الثالث

فغضب المعتصم على خيذر الافشين وحبسه حتى مات (سنة ٢٢٦). ثم اخرج من السجن ميتاً وصلب واحرقت جثته والافشين المذكور هو الذي قاتل بابك المجوسي الذي كان قد استولى على جبال طبرستان مدة عشرين سنة وعظم امره وهزم مراراً عساكر المعتصم حتى ارسل عليه المعتصم الافشين خيذر بن كاوس المذكور فقاتله قتالاً عنيداً واتصر عليه واسره واخذ مدينته «البذر» وارسله الى المعتصم فقتله وقيل انه كان من نيت قتل الملك الى الاعجام وانه كان اقلب ويعبد الوثن سرّاً وقد وجدوا في منزله اصناماً . وقد ابقى لنا التاريخ نوع مآثره فيما عرف به وكان ذلك عند الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات بمحضر القاضي احمد بن ابي داود وابحق بن ابراهيم وجماعة القواد والاعيان وقد جرى بالمازبار من حبسه والمويد والمرزبان بن تركش احد ملوك الصفد وبرجلين من اهل الصفد يدعيان ان الافشين ضربهما احدهما امام والثاني موزن بمسجد . فكشفنا عن ظمريهما وهما عاريان من اللحم فقال ابن الزيات للافشين ما بال هذين كذلك قال عهدا الى معاھدين ووثبا على بيت عبادهم فكسرا اصنامهم واتخذوا البيت مسجداً فعاقيتهما على ذلك قال ابن الزيات ما بال عندك كتاب محلي بالذهب والمجوهر وفيه الكفر قال الافشين كتاب ورثته عن اباي واصوفي بما فيه من ادايم فكنت اخذها منه واترك كفرهم ولم اسمح الى نزع حليتي وما ظننت ان مثل هذا يخرج عن الاسلام ثم قال المويد انه ياكل لحم الخنزيرة ويحملني على اكلها ويقول هو اربط من لحم المذبوحة فقال الافشين آفة هذا عدمكم في دينه وكان مجوسياً قالوا لا قال فكيف تقبلونه على ثم قال له المرزبان كيف يكانت اهل اشروسته قال ما ادري قال اليس يكانتوك بما تفسيره عربياً الى اله الالهة من عبده فلان قال الافشين بلى قال ابن الزيات « فما بقيت لفرعون » قال هذه عادة منهم لا بي وجددي ولي قبل الاسلام ولو منعتم لفست علي طاعتهم ثم قال له ابن الزيات هل كانت هذا وإشار الى المازبار فقال المازبار كتب اخوة الى اخي قوهيار انه لن يتصر هذا الدين غيري وغورك وغير بابك فاما بابك فقد قتل نفسه بجبهه ولقد عهدت ان امنه قاني الاخنة وانت ان خالنت ارسلوني عليك ومعني اهل النجدة فان توجهت اليك لم يبق احد يحاربنا الا العرب والمغاربة والترك فالعربي كلب تناوله لقمة وتضرب راسه والمغاربة آكلة راس والترك لم صدمة ثم تجول الخيل جولة فتاتي عليهم ويعود هذا الدين الى ما كان عليه ايام العجم فقال الافشين ان

ان هذا يدعي ان اخي كتب الى اخيه فما يجب علي وعلى فرض الصحة فانا استميلة مكرًا يو لا حظي عند الخليفة كما حظي يو ابن طاهر فزجره ابن ابي داود فقال له الافشين ترفع طيلسانك فلا تضعه حتى تقتل جماعة فقال انتظروا انت قال لا قال فما يمنعك وهو شعار الاسلام قال غشيت على نفسي من القطع قال فكيف وانت تلقى الرماح والسيوف قال تلك ضرورة اصبر عليها فقال ابن ابي داود ليها الكبير قد بان لكم امره يا بغا عليك يو فدفعه بغا يديه ورده الى حبسه وضرب مازيار اربع مئة سوط فمات منها . قلت ان في هذه المحاكمة ما يشير الى ان قصاص ذلك المصري كان مغائرا لما في زماننا لان ما حكم يو على الافشين بالموت وقتله لم يكن كافيا له في عهدنا هذا على ان اكثر الذنوب المدعى بها عليه ليست بذنوب قطعًا وكل ذلك اختلاف زمان ورجال

(وفي سنة ٢٢٧ اسر المبرقع المعروف بابي حرب الياني واسر معه ابن بهيس وكان المبرقع خرج على الخليفة واخفى في جبال الاردن لا بسا برقعًا وكان يامر بالمعروف وينهي عن المنكر وادعى انه اموي واجتمع اليه قوم واجابة قوم من روساء الياينة منهم ابن بهيس وصار له مئة الف فارس على المعتصم رجاء بن ايوب فانتظر ان تفرق اصحابه عنه زمان الزراعة وفي هذه المدة توفي المعتصم وثار الفتن في دمشق فامر الواثق بقتل من اثار الفتن والعود الى المبرقع ففعل وقاتله حتى اسره وقتل من اصحابه كثير وذلك (سنة ٢٢٧)

وكان ابتداء خروج بابك (سنة ٢٠١) وهزم جيش الخليفة عدة مرار وقتل من قواديه جماعة ودخل الناس رعب شديد واخنوى اليه قطاع الطرق واهل الفتن وتكاثفت جموعه فكان يركب على عشرين الف فارس ما عدا الرجاله وكان اصحابه لا يدعون مسلمًا او ذميًا الا قطعوه واحصى عدد من قتلهم بايديهم فكان ما بين وخمسة وخمسين الفًا وخمسمائة

(وفي سنة ٢٢٧) توفي المعتصم لثاني عشرة خلت من ربيع الاول بسامرا وولادته (سنة ١٩٧) فيها وكانت خلافة ثنائي سنين وثمانية اشهر وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ومات عن ثمانية بنين وثنائي بنات ولذلك دعي المثنى وكان ايضاً اصعب الحجة طوبى لها مريبوعاً مشرب اللون بحمرة وهو اول من اضاف الى لقبه اسم الله فقبل المعتصم بالله وكان طيب الاخلاق لكنه غضوب اذا غضب لا يبالي من قتل او ما فعل . وحكى عن المعتصم انه انفرد يوماً عن اصحابه وكان مطر فراى شيخاً معه حمار يحمل شوكة قد توكل الحمار ووقع الحمل وهو يتظر ماراً يو لمساعدته فقتل المعتصم عن طرفه وخلص الحمار ورفع معه الحمل ثم قدم اصحابه فامر لصاحب الحمار باربعة الاف درهم وقالوا ان المعتصم تصدق عن يد واحد فقط بمائة الف الف درهم

وكان طيب المعتصم حنين بن سلويه وقد حزن عليه المعتصم جداً لما مات وقال اني سالحق يو لانه

كان يسلك حياتي وانتع من الأكل كل ذلك النهار وأمر باحضار جنازته الى الدار وان يصلى عليها بالشمع والبخور على عادة النصارى وسلوبه المذكور كان مع الافشين في المعسكر وهو يجارت بابك وقد اخبر قال جرى وقتئذ ذكر الصيادلة فقلت اعز الله الامير ان الصيدلاني لا يطلب منه شيء الا قال عنده منه فدعا الامير بدفتر من دفاتر الاسر وثبته واخرج منه نحو عشرين اسماً ووجه الى الصيادلة في طلب ذلك فبعضهم انكرها والبعض ادعى معرفتها واخذ الدراهم من الرسل ودفع اليهم شيئاً من حانوته فأمر الافشين باحضارهم جميعاً فمن انكر معرفتها اذن له بالمقام ونفى الباقين والمعتصم كان اول من استخدم الاتراك في المعسكر وذلك عندما رأى قوتهم في الحروب وقد قلت حماسة العرب وقتئذ وارنا حولاً للعيشة الزائفة في حرب الروم انما كان الاتراك الذين ربحوا اليوم وقد انتهزتهم العرب امام العدو

في خلافة الواثق بالله وهو التاسع (من سنة ٢٢٧ - ٨٤١ الى سنة ٢٢١ - ٨٤٥)

بويج هرون بن المعتصم يوم وفاة ابيه ولقب بالواثق وكانت امه رومية ام ولد اسمها فراطيس وفي الوقف المذكور توفي طيوفيل ملك الروم واوصى لولده ميخائيل وكان صغيراً فقامت امه ثودوره في امره

وعند موت المعتصم تجددت التن في الشام بين القيسية وحاصروا اميرهم في دمشق فجهر اليهم الواثق بن ايوب فلقبهم عند مرج راهط واقتتلوا فقتل من العصاة نحو الف وخسمائة وانهمز الباقي (سنة ٢٢٨) اكرم الواثق على اشناس التركي بتاج ووشاحين وغزا المسلمون جزيرة صقلية وفتحوا مدينة مسيني . اما سبب حرب صقلية فهو ان شاباً اسمه ابوقامبوس احب راهبة فخطبها ثم قبض عليها وحكم بقطع لسانه ففر والنجا الى افرقيا فقبله العرب ورحبوا به وجهزوا معه عسكراً من سبعمائة فارس وعشرة الاف راجل وارسلوه بمائة سفينة والبسوه الولاية على الجزيرة فقصدوا اولاً مازانيا وظهروا على الروم قليلاً الا ان الروم تكاثروا وظفروا بهم اخيراً ونجحت منهم سيراكوسه وقتل ابوقامبوس وتضايق الاسلام جداً من الجوع وعلوا بذبحون الخيل وياكلون لحومها ثم انهم نجحوا من الاندلس وفتحوا الى القسم الغربي من الجزيرة وهو الاكبر واخناروا فالرمن بقر مراكيهم والمجسود اما سيراكوسه فقاومتهم خمسين سنة الى ان حاصروها حصاراً شديداً والقوا عليها المنجنيقات بكثرة وانشبا بها الحرب من كل جانب عشرين يوماً وفتحوها عنوة وقيل ان الذي ساعدهم على اخذها هو غياب عمارة الروم وقتئذ فانها كانت سارت لناخذ لوازم كنيسة كانت تبني باسم السيدة في القسطنطينية ولولا ذلك لما كان تسهل لم فتحها وبعد دخولهم اسروا الاكليروس

كلهم وارسلهم الى فالرمس والقوم في السجن وكانوا يتمددونهم بالقتل ما لم يسلموا وهذه صورة كتاب من الراهب ثيودوسيوس (سنة ٢٦٧ - ٨٨٠) الحاضر في تلك الحرب الى صاحبو ليون رئيس الشمامسة وهي « لقد قاومنا العدو عشرة اشهر ولم نغفل عن شيء محاربين الليل والنهار فوق الارض وتحتها لكي نوقع بالمحاصرين ونغرب اعمالهم وكان قوتنا بتحقيق الاعشاب التي تنبت على السطوح وعظام المحوّنات ثم عدنا نبتلع الاطفال من الجوع وتبع ذلك امراض مخيفة وكاد انما بانتظار المساعدة الموعود بها واتقينا بمتانة اسوارنا الى ان هبطت قلعة قوية من قلاعها كانت عمدة عظيمة لنا ومع ذلك بقينا نقاوم ثلاثة اسابيع ولم نجدنا شيئا عنا نفعا لان بينما كان عساكرنا يرتاحون قليلا من كثرة التعب والحرق الشديد واذا فاجأنا عساكر الاسلام من كل جانب وفتحوا المدينة فالتجأوا الى كنيسة المحلص فتبعنا الاعداء الى هناك وذبحوا بعد السيف القضاة والكهنة والرهبان والشيخ والسباء والاولاد واخرجوا اعيان الاهالي الى خارج السور وقتلوا الوفا منهم بالعصي والحجارة وسحقوا راس تقيطس والي طرسوس بعد ان سلخوه حيا واخرجوا امعاءه وقد احرقوا البيوت وهدموا الفلاع واعدوا الرهبان والكهنة الاسرى مع رئيس الاساقفة للحريق يوم عيد الاضحى عديم وقد خلاصنا من هذه الميثة رجل شيخ له سلطان عظيم عليهم كتبت هذا من فالرمس من سجن اربعة عشر قدما تحت الارض ما بين عدد وافر من المحاييس يهود وافريقية ولومباردية وبنصاري وكفار اثني »

وكانت سيراكوسه قد ضعفت وقتئذ وافتقرت بعد حرب قرطاجنة والروم ونجوم الابان العرب وجدوا فيها من النهب ما يساوي مليون ذهب فان القصة التي وجدت في الكنيسة الكاندرائية كانت نحو الف واربعمئة اقة والعرب نفوا الصراينة واللغة الرومية من كل صقلية والنزم كثير بالاسلام وقد تظهر يوم طهور ابن الخليفة الناطي خمسة عشر النّا

و (في سنة ٢٢٢) وجد الواثق ان الكتاب كانوا قد اختصوا لانفسهم اموال بيت المسلمين فامر بمحاسبتهم والزامهم بما بلغ وافرة

و (في سنة ٢٢٠) خرج المجوس في اقاصي الاندلس بجرا الى بلاد الاسلام وجرى بينهم حملة مواقع وتوصلوا الى شيبابه ثم تكوثر عليهم وطردوا واخذ منهم اربعة مراكب بما فيها وهربوا في مراكبهم الى بلادهم وفيها مات اشناس و (سنة ٢٢١) توفي ابن طاهر وابن الاعرابي الكوفي وهو محمد بن زياد صاحب اللغة ومن مصنفات العبدية كتاب النادر وكتاب تاريخ القبائل

وفيها كان الفدا بين المسلمين والروم علي يد خاقان خادم الرشيد واجتمع المسلمون على نهر اللامس على مسيرة يوم من طرسوس وامر الواثق خاقان ان يمنع اسرى المسلمين فن قال بخلق القران وان الله لا يرزى في الاخرة بالابصار فودي به واعطى دينارا ومن لم يقل ذلك ترك في ايدي الروم

فلما كان في يوم عاشوراء أتت الروم ومن معهم من الأسرى وكان الأمرين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون أسيراً والروم أسيراً فيلنقيان وسط البحر فاذا وصل المسلم إلى قومه كبروا وإذا وصل الرومي إلى الروم صاحوا كبير باليسون حتى فرغوا وكان عدة أسارى المسلمين أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفساً والصبيان ثمان مئة ومئة من أهل الذمة ثم غزا المسلمون شتاء فاصابهم مطر وبلج فمات ما بينان وأسر نحوهم وغرق بالبدندون خلق كثير

وتوفي الواصل بالله لست بقين من ذي الحجة (سنة ٢٢١) بمرض الاستسقا وكان قد عولج بالاقعاد في تنور مسخن فوجد على ذلك راحة فعادته وشدد سخوته وقعه في أكثر من الأول فمات ودفن بالهاروني. ولما اشتد مرضه أمر بأحضار المنجيين منهم الحسن بن أبي سهل بن نوبخت فنظروا في مولده وقدروا أنه يعيش خمسين سنة مستأنفة من ذلك اليوم فلم يعيش بعد قولم ذلك الا عشرة أيام وكان الواصل أبيض مشرباً بحمرة في عينيه اليسرى نكته يضاء وكانت خلافته نحو خمس سنين وتسعة أشهر وعمره اثنتين وثلاثين سنة وكان يحب العلويين ويبالغ في إكرامهم وفرق في الحروب أموالاً عظيمة وعند ما سمع أهل المدينة بموته حزنوا جداً وخرجت نساؤهم إلى البقيع يبكين مدة طويلة ويندبن موته لفرط احسانه وكان كافي وعمره في خلق القرآن وكان يلزم الناس إلى مذهبه من المحوادث المهمة في عهد الواصل مصادرة الكتاب خوفاً من اثرائهم واستبدادهم عليه نظير البرامكة على الرشيد فاخذ من أحمد بن إسرائيل ثمانين ألف دينار ومن سليمان بن وهب أربعمائة ألف ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألفاً ومن إبراهيم بن دباح مئة ألف ومن أبي الورد مئة وأربعين ألفاً

ومنها وقعة بغا في الأعراب وذلك أن بني سليم كانوا يفسدون ويتسلطون بنواحي المدينة وأوقعوا بقوم من كنانة وباهلة فبعث محمد بن صالح اليهم مسلحة المدينة ومعهم متطوعة من قریش ولا انتصار فهزمهم بنو سليم ونهبوا القرى بين مكة والمدينة وأقطع الطريق فبعث الواصل بغا الكبير عليهم فقاتلهم وغلبهم وقبض على ألف رجل منهم ممن يعرف بالفساد وحبسهم في المدينة (سنة ٢٢٠) ثم خرج إلى ذات عرق وعرض على بني هلال مثل بني سليم واخذ من المفسدين منهم ثلاث مئة وحبسهم في المدينة وأطلق الباقيين ثم خرج بغا إلى بني مرة فنقب الأسرى الحبس وفتلوا الحراس فاجتمع عليهم أهل المدينة ليلاً ومنعهم الخروج وقتلوا الصبيح وقتلوه وشق الأمر على بغا وكان سبب غيبتهم أن فزارة وبني مرة تغلبوا على فذك فخرج اليهم وأرسل رجلاً من قواده يعرض عليهم الأمان فهربوا منه إلى الشام واتبعهم إلى نخوم الحجاز وأقام أربعين ليلة ثم رجع إلى المدينة من أخذ منهم وجاء إلى قوم من بطون غنار وفزارة وأشجع وتعلبة فاستلمهم على الطاعة ثم سار إلى بني كلاب فأتوا في

ثلاثة آلاف رجل فحبس النّافي في المدينة وأطلق الباقيين وسار (سنة ٢٣٢) بأمر الواثق إلى بني نير باليامة ولقي جماعة الشريف منهم وقتل منهم خمسين وأسار أربعين ثم ذهب إلى مرة فامرهم بالطاعة فقبلوا وقاموا إلى جبال السند فطف اليامة وأرسل سراياؤه فوقع بهم في كل ناحية ثم سار إليهم فلقبهم بقرب اضاخ فكشفوا مقدمته وميسرته وأثخنوا في عسكره ثم ساروا تحت الليل فتبعهم بدعوى إلى الطاعة وبعد قتال وخداع وانتفاضات حرّية انجلى الأمر عن ظفرو عليهم ولم يخلص منهم إلا من بقي سالماً على ظهور الخيل وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة وإقام بمكان الواقعة إلى أن استامن له أمراؤه فقيدهم وحبسهم بالبصرة ثم قدم عليهم واجن الأشروسني في ٧٠٠ مقاتل مدداً فارسله إلى اتباعهم إلى أن بلغ تبالة من أعمال اليمن ورجع ونهض بغا إلى بغداد بن كان معه منهم نحو ألفين وما بقي رجل وكتب إلى صالح أمير المدينة بأن يوافيه بن عده منهم إلى بغداد ففعل

ومنها مقتل أحمد بن نصر أحد النقباء وذلك لأن أحمد كان نسبة لأهل الحديث وكانوا يكرهون الواثق لقوله بخلق القرآن فقام له أناس مثل هرون السراج وطالب وغيرها فدعوا الناس إليه وبابعة خلق على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفرقوا الأموال في الناس ديناراً لكل رجل فنشأ أمره وعلم وقبض عليه وعلى طالب ونحوها وأرسلوا إلى الواثق في سامرا وجلس لهم مجلس عام حضر فيه أحمد بن أبي داود ولم يسأله الواثق عن خروجه بل سأله عن خلق القرآن فقال هو كلام الله ثم سأله عن الرواية فقال جاءت بها الأخبار الصحيحة ونصيحتي أن لا يخالف حديث رسول الله صلعم ثم سأل واثق العلماء حولة فاجابوا باستباحة دمه فداء الواثق بالصمصامة فانتصاها ومشى إليه فضربه على جل عاتقه ثم على راسه ثم وخزه في بطنه ثم أجهز سياً إلى دمشق عليه وحزر راسه ونصبه ببغداد وصلب شلوه عند بابها قلت أن هذا الأمر يدلنا على شيئين أولاً أن المحاكمة كانت ظالمة لأنها لم تثبت جنة على ابن نصر ثانياً أن الواثق لم يكن يحسن ضرب السيف نظير سلفائه

وحدث أحمد بن هرون الشراي بمصر أن المتوكل على الله حدثه أنه في خلافة الواثق كان يوحنا بن ماسويه معه على دكان في دجلة وكان مع الواثق قصبة فيها شص وقد القاها في النهر لوبيد سمكاً فحرم الصيد فالتفت إلى يوحنا وكان على يمينه وقال له قم بامشثوم عن يميني فقال يوحنا يا أمير المؤمنين لا تنكلم بالمال يوحنا أبوه ماسويه الخوزي وأمه رسالة الصقلية المبتاعة بثمانمائة درهم وأقبلت به السعادة إلى أن صار نديم الخلفاء وسميرهم وعشيرهم وغمرته الدنيا فقال منها ما لم يبلغه أمله فمن أعظم المحال أن يكون هذا مشثوماً ولكن أن أحب أمير المؤمنين أخبرته بالمشثوم من هو فقال من هو فقال من ولده أربعة خلفاء ثم ساق إليه الخلافة فترك خلافته وقصورها وقعد في مكان مقدار عشرين ذراعاً في مثلها وسط دجلة لا يأمن من عصف الريح عليه فيفرقه وتشبه بافترقوم في الدنيا

وأشرم وهم صيادوا السمك قال المتوكل فرايت الكلام قد نجمع فيه

فصل في خلافة المتوكل على الله وهو العاشر (من سنة ٢٢٢-٨٤٦ الى ٢٤٦-٨٦٥)

لما توفي الواثق انوا بولده محمد وكان صغيرا والبسوه قلنسوة ودراعة سوداء فلم يروا ذلك مصلحة فاحضروا اخاه جعفر بن المعتصم وبايعوه واتمب بالمتوكل وذلك في ٦ ذي الحجة (سنة ٢٢٢-٨٤٦) وبحال تولي المتوكل قبض على الوزير محمد بن عبد الملك الزيات واخذ جميع ماله والقاه في السجن وعذبته بالسهر ثم وضعه في تنور خشب فيه مسامير روه وسها الى داخله الى ان مات وابن الزيات هذا هو الذي امات بن اسباط المصري بمثل ذلك واخذ امواله ثم ولي المتوكل ابنة المنتصر الحرمين واليمن والطائف (وفي سنة ٢٢٢-٨٤٧) وثب ميخائيل بن طوفيل بامويودورا والزمها الرهبانية وقتل حبيبها (سنة ٢٢٥-٨٤٩) عقد المتوكل البيعة لنبى الثلاثة بولاية العهد وهم المنتصر والمعتز والمويد واعطى لكل منهم سواء وولى المنتصر العراق والحجاز واليمن وولى المعتز خراسان والري والمويد الشام وفي السنة المذكورة ظهر رجل بسامرة يقال له محمود بن فرج وادعى النبوة فكان يقول انه ذو القرنين وتبعه سبعة وعشرون رجلا فاني به وباصحابه الى المتوكل فامر اصحابه فصفعه كل منهم عشر صفعات ثم ضرب حتى مات وحس اصحابه وفي وقت توفي اسحق بن ابراهيم الموصلى الموسيقى الشهير (سنة ٢٢٦-٨٥٠) امر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وملاشاة ما حوله من المنازل ومنع الناس من زيارته وكان المتوكل بكره داء العلويين وفيها توفي بن رغبان الشاعر الشهير المعروف بديك الجن ومن جيد شعره ما قال

وقم انت فاحتمت كاسها غير صاغية ولا نسق الا خمرها وعسارها

مشعشة من كف ظمي كأنما تناولها من خده وادارها

ومنع المتوكل الناس من الاول بخلق القرآن (سنة ٢٢٧-٨٥١) ولي يوسف بن محمد ارمينية واذر بيجان ولما وصل الى اخلاط جاء ابراط بن اسوط البطريق فامر باخذه وارسالو حبيرا الى المتوكل فاغناظ بقية البطارقة ونحالتوا علي قتل ابن يوسف المذكور ووافقهم على ذلك يوسف بن زرارة زوج ابنة ابراط فوثبوا يوسف وهو في قلعة موسى في رمضان وكان البرد شديدا فخرج اليهم ابن يوسف وقاتل حتى قتل هو وكل من معه اما الذين لم يقاتلوا فانهم انزعوم ثيابهم واطلقوهم عراة حفاة فهلك اكثرهم من البرد

ولما بلغ ذلك المتوكل سير عليهم بغا الكبير فسار وناخ طالبا بشار يوسف وقتل منهم زهاء ثلثين

الفا وسبى خلقاً كثيراً ثم قام الى مدينة تفلّيس وحاصرها ودعا بالنفاطين فحصر بها المدينة بالنار وهي من خشب الصنوبر فاحترفت واحترق فيها نحو خمسين ألفاً و(سنة ٢٢٧) ايضاً توفي محمد بن عبد الله امير صفليه وتولى موضعه العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة وفتح فتوحات جليلة فاخذ العاصمة (قصريانه) وكان الملك قبلاً يسكن مرقوسه ثم انتقل الى قصر يانه عندما استولى العرب على بعض الجزيرة لحصانها

وفيها قدم ثلاث مئة مركب من الروم بثلاثة امراء واناخ احدث مئة مركب بدمياط وكان بينها وبين الشط شبيه البحيرة ماؤها لصدر الرجل فمن جازها الى الارض امن من مراكب البحر وجازها قوم من المسلمين فسلموا وغرق كثير من نساء وصبيان ومن كان بقوة سار الى مصر واتفق وصول الروم ودمياط فارغة من الجند فنهبوا واحرقوا وسبوا مسلمات وذميات نحو ست مئة وساروا الى مصر ونهبوها ورجعوا ولم يتعرض لم احد و(سنة ٢٤٢) حدثت زلازل هائلة واصوات منكرة بقوس ورساتيقها في شهر شعبان وتهدمت الدور وهلك بشر كثير قيل نحو خمسة واربعين ألفاً وكان اكثر من ذلك بالدامغان وامتد ذلك الى الشام وفارس وخراسان واليمن وخسف وانقطع الجبل الاقصر وسقط في البحر فمات اهل اللاذقية من ذلك وفيها توفي ابو العباس محمد بن ابراهيم بن اغلب امير افرقية وخلعة ابنه ابراهيم احمد وتوجه المتوكل (سنة ٢٤٤ - ١٥٨) الى دمشق وعزم على الإقامة هناك ونقل دواوين الملك اليها فقال يزيد بن محمد المهلب في ذلك شعراً

اظن الشام يشمت بالعراق اذا عزم الامام على الطلاق
فان تدع العراق وساكنيه فقد تبكي المنيعة بالطلاق

لكنه كرمها حالاً ووجد ماءها قليلاً واستو بآها فقل الى سامرا وكان قيامه بدمشق شهرين وبدا بهار الجعفري (سنة ٢٤٥) واتفق عليه اموالاً غزيرة وقتل اليه (سنة ٢٤٦) وكان يقال لموضع الماصوره . ثم اتفق البعض مع بغا الصغير الشراي والمتصر بن المتوكل وارسلوا على المتوكل جماعة بالسيف وهو في مجلس شراي ليلا فقتلوه ومعه وزيره الفتح بن خاقان وكان ذلك ليلة الاربعاء (٤ شوال سنة ٢٤٧ - ١٦١) وكانت خلافته نحو الاربع عشرة سنة وعمره نحو الاربعمائة وكان اسماً خفيف العارضين

وما يستحق الذكر في عهد المتوكل نكبة اتيها وقتلها وكان الامام مولياً للإمام ابراهيم فاشتراها الجعفي (سنة ١٦١) كان شجاعاً فتيماً في دواوين الدولة لهو المائت وكان له الموهبة بسامرا مع (سنة ١٦١)

بن ابراهيم بن مصعب وكانت نكبة العظماء في الدولة على يديه وعجبهم في داره مثل اولاد المامون وابن الزيات وصالح وعجيف وعمر بن الفرج وابن المجند وامثالهم وكان له البريد والحجابة والحجيش والمغاربة والأتراك فاتفق انه شرب ذات ليلة مع المتوكل فعربد المتوكل عليه فهم اتياخ بقتله ثم غدا عليه المتوكل فاعذره ورمى عليه من زين له الحج فاستاذن المتوكل فاذن له وخلع عليه وجعله امير كل بلد يري فصار (سنة ٢٢٢ او سنة ٢٢٤) والعسكر امامه وجعلت الحجابة الى وصيف الخادم وعند رجوعه من الحج بعث اليه المتوكل بالالطاف والهدايا وكتب سرا الى اسحق بن ابراهيم المذكور بحبسه فلما قارب بغداد كتب اليه اسحق بان المتوكل امر ان يدخل بغداد وان يلقاه بنوهائهم ووجوه الناس وان يقعد بدار خزينة بن خازم فيامر للناس بالجواز على قدر طبقاتهم ففعل وكان ان وقف اسحق بالباب فنع اصحابه من الدخول اليه ثم قبض على ولديه منصور ومظفر وكان به سليمان بن وهب وقدامة بن زياد واودع اتياخ السجن الى ان مات

ومنها اغارة البجاة وكانت بين اهل مصر والبجاة هدنة من لدن الفتح وكانت في بلاد البجاة معادن الذهب يودون منها الخمس الى اهل مصر فامتنعوا ايام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين بالمعادن وكتب صاحب البريد بذلك الى المتوكل فاسنشار في غزوه فقالوا له انهم اهل ابل وشاء وان بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر ولا بد فيها من الزاد وان فنيت الازواد هلك العسكر فامسك عنهم وخاف اهل الصغد من شرم فولى المتوكل محمد بن عبدالله القتي على اسوان وقنط والاقصر واسنا وارمنت وامره بحرب البجاة وكتب الى عنبسة بن اسحق الضبي عامل مصر تجهيز العساكر معه فسيره في عشرين الفا من الجند والمتطوعة وحملت المراكب من القلزم دقيقا وقررا وادما الى سواحل بلاد البجاة وانتهى الى حصونهم وقلاعهم فرحف اليه ملكهم واسمه علي بابا في اضعاف عساكر القتي على المهارى وطاول علي بابا الاسلام على ان تقني ازوادهم ثم جات المراكب وفرقا القتي في اصحابه فناجزهم البجاة الحرب وكانت ابلهم نفورة وامر القتي عسكره باتخاذ الاجراس بخيلهم ثم حملوا عليهم فانهزموا واتخن فيهم قتلا حتى استامنوا على اداء الخراج عما مضى ولما بقي

الصوائف

وغزا بالصائفة (سنة ٢٢٨) علي بن يحيى الارمني صاحب الصوائف وكان الفدا (سنة ١٢٤) في عهد ثيودورة ملكة الروم وكانت قد حملت الاسرى على التنصر فتنصرا كثيرا ثم طلبت المفاداة في من بقي فبعث المتوكل سيفا الخادم بالفدا ومعه قاضي بغداد جعفر بن عبد الواحد وكان الفدا على نهر اللامس (الاميس) ثم اغارت الروم بعد ذلك على روبة فاسروا من كان هناك من الزحف وسبوا النساء والاولاد ولما رجع علي بن يحيى الارمني من الصائفة خرجت الروم وانتهوا الى آمد واكتملوا

نواحي الثغور والمخزبة نهبا واسروا نحو عشرة الاف وارسل المتوكل بغا الكبير بالصائفة فدخل بلاد الروم ودوخ واكتسبها من حملة نواح ورجع و (في سنة ٢٤٥) اغارت الروم على سبساط فغنموا وغزا على بن بجي الارمني بالصائفة كركرة فانتقض اهلها على بطريقهم وسلموه الى مهالي المتوكل فاطلق ملك الروم في فدائه الف اسير . وغزا (سنة ٢٤٦) عمر بن عبيد الله الاقطع بالصائفة فجهادوا باربعة الاف راس وغزا قرشاس فجهاد بخمسة الاف راس وغزا الفضل بن قارن في الاسطول فافتح حصن انطاكية وكان الفداء تلك السنة على الفين وثلاث مائة من الاسرى

وعلى ما يظهر ان الصوائف مع الوقت عادت نوع سرقة مرتبة بين الامتين وبها حفظ الضغن والعداوة بين العرب والروم مدة طويلة فان تلك الحروب لم تكن حروب افتتاح بل نهب وسلب وتخريب واذية تليق بالعيشة البربرية لا غير وقد انقضت في هذه الازمنة والحمد لله

وفي عهده كان بخنيشوع الطبيب الذي توفي (سنة ٢٥٦ - ٨٦٩) واشتهر حنين بن اسحق النصراني العبادي في علم الطب والعباديين قوم من نصارى العرب اجتمعوا من قبائل شتى وانفردوا عن الناس في قصور ابنتوها بظواهر الحيرة وتلقوا بالعباد لانه بخلاف العبيد لا يضاف الا الى الخلق وكان اسحق والد حنين صيدلانيا في الحيرة ولما شب حنين مال الى العلم فقصد بغداد وحضر مجلس يوحنا بن ماسويه وخدمه وقرا عليه وكان حنين صاحب سوال ويوحنا ضيق الخلق فسالة حنين يوما مشكلة فاجابه يوحنا ما لاهل الحيرة والطب عليك بيع الفلوس في الطريق . وامر يوحنا بخرج من داره فخرج حنين باكيا متائرا وقصد بلاد الروم واقام بها سنتين حتى احكم اللغة اليونانية وتوصل الى تحصيل كتب الحكمة وعاد الى بغداد ونهض من بغداد الى فارس ولزم الخليل بن احمد في البصرة حتى برع في اللغة العربية ثم قفل الى بغداد قال يوسف الطبيب دخلت يوما على جبريل بن بخنيشوع فوجدت عنده حنيئا وقد ترجم له بعض قضايا تشرى وجبريل يخاطبه بالتعجيل ويسميه الربان فاستعظمت ما رايت وتبين ذلك لجبريل مني فقال لا تستكثر هذا في امر هذا التي فوالله لئن مد الله تعالى له في العمر ليفضح سرجيس وسرجيس هذا هو الراس عيني اليعقوبي ناقل علوم اليونان الى السريانية ولم يزل امر حنين يتقوى وعلة يتزايد وعجائبه تظهر في النقل والتفاسير حتى انفرد بنبوغا للعلوم ومعدنا للفضائل واتصل خبره بالخليفة المتوكل فامر باحضاره واكرمه واقطعه اقطاعا سنيا واقمر له جارجيد واحب امتحانه يوما خوفا من ان يكون مختالا من قبل الروم فاستدعاه وامر ان يخلع عليه واخرج له توقيعا وفيه اقطاع يشتمل على خمسين الف درهم فشكره حنين ثم قال بعد اشياء جرت اريد ان نصف لي ذوات اقبل يا حبيبوا لا يمكن اشهاره فاجاب حنين مولاي اني لم اعلم غير الادوية النافعة ولا فكرت ابن امير المؤمنين

يطلب الي غيرها فان احب ان امضي وانعلم ذلك فعلت فقال هذا شيء لا يطول ثم رعبه وهدده وارسله الى السجن في بعض القلاع وتركه سنة ثم احضره واعاد عليه الطلب واحضر سيفاً ونطعاً فقال حينئذ قد قلت لامير المؤمنين ما فيه الكفاية قال الخليفة تقتلك ان لم تفعل قال حينئذ لي رباً ياخذ بعقي غدًا في الموقف الاعظم فتبسم المتوكل وقال له طب نفسك فاننا اردنا امتحانك والثقة اليك فقبل حينئذ الارض وشكر فقال الخليفة بعد ان سكن روع حينئذ ما الذي منعك عن الاجابة مع ما رايت من صدق الامر منا في الحالين قال حينئذ شيان الدين والصناعة اما الدين فانه يامرنا باصطناع الجميل مع اعدائنا فكيف ظنك بالاصدقا وقد يكون المطلوب قتله صديقاً لي واما الصناعة فانها موضوعة لنفع ابناء الجنس ومقصورة على معالجتهم ومع هذا فقد جعل في رقاب الاطباء عهد موكد بايمان مغلظة الا يعطوا دواء قتلاً للاحد فقال الخليفة انها شرعان جليلان وانعم عليه فحمل انعامه وخرج وهوارق الناس حالاً وجاهاً وكان الطينوري النصراني الكاتب يحسد حينئذ وبكره فاجتمعا يوماً في دار بعض النصاري ببغداد وهناك صورة المسيح والتلاميذ وقندبل يشتعل قدامها فقال حينئذ لصاحب البيت لم تضع الزيت فليس هذا بالمسيح ولا هؤلاء بالتلاميذ وانما هي صور فانكر ذلك الطينوري وقال ان لم تستحق الاكرام فابصق عليها فبصق حينئذ فاشهد عليه الطينوري ورفعته الى المتوكل وطلب اباحة المحكم عليه لروساء الملة فبعث الى الجبائلق والاساقفة وسالوا عن ذلك فاوجبوا حرم حينئذ وقطع زناؤه فانصرف حينئذ الى داره ومات من ليلته فجأة وقول انه شرب سماً وكان لحين ولدان داود واسحق اما اسحق فخدم على الترجمة واتقنها واحسن فيها وكانت نفسه اميل الى الفلسفة واما داود فكان طبيباً للعامة وكان له ابن اخت يقال له حبش بن الاعمى احد النافلين من اليوناني والسرياني الى العربي وكان يقدمه على تلاميذه وكثيراً ما يرى الجهال شيئاً من الكتب القديمة مترجماً بنقل حبش فيظن الغر منهم انه حينئذ وقد صحف فيكشفه ويجعله حينئذ

في خلافة المنتصر وهو الحادي عشر (من سنة ٢٤٧ - ٨٦١ الى ٢٤٨ - ٨٦٢)

ولما كان صباح الاربعاء حضر الناس واتوا والمساكر الى الجعفري وخرج احمد بن الحبيب وتلا كتاباً من المنتصر مفاده ان الفتح بن خاقان قتل والذي تقتله به ويطلب المبايعه لنفسه فصدق الناس وباعوه

وفي هذه السنة توفي امير صقلية فقام عوضه ابنه عبد الله ثم حضر من افريقية خضاعة بن سفيان اميراً فغزا وفتح في الجزيرة ثم اغتاله رجل من عسكره وهرب فاقاموا عوضه نعمداً ولده ثم

أقره محمد بن أحمد بن أغلب صاحب القيروان فبقي إلى أن قتله خصياناً (سنة ٢٥٧ - ٨٧٠) وهرّبوا فادركهم الناس وقتلوه ٠٠ (سنة ٢٤٨ - ٨٦٢) جد وصيف وبغا وباقي الأتراك في خلع المعتز والموید والحول على المنتصر فخلعها وبايع ولده عبد الوهاب كرهاً منه ومنها ثم دعاها وقال « انتظنان إلى خلعتكما طمعاً في أن أعيش وأرى ولدي صالحاً للخلافة والله ما طمعت بذلك ساعة ولكن هؤلاء » (وأوما إلى سائر الموالى والأتراك من هو قائم وقاعد) الحول عليّ في خلعتكما

وفي هذه السنة قضى المنتصر نوبة نهار الأحد بسامرا في (٥) ربيع الأول بالذبح ومرض ثلاثة أيام وعمره نحو ٢٥ سنة وخلافته ستة أشهر قبل كان كثير يقولون حين أفضت الخلافة إليه أنه لا يعيش أكثر من ستة أشهر نظير شبيرويه بن كسرى قاتل أبيه وكان المنتصر أعين أفتى قصيراً مهيباً عظيم اللحية عاقلاً منصفاً وكان قد رجع قبر الحسين وأمن العلويين بخلاف سلفائه

في خلافة المستعين بالله وهو الثاني عشر (٢٤٨ - ٨٦٢ إلى ٢٥٢ - ٧٦٦)

ولما توفي المنتصر اتفق عظماء الدولة من الأتراك وغيرهم على مبايعة أبي العباس المستعين فبايعوا له ليلة الاثنين (في ٦ ربيع الآخر سنة ٢٤٨) فعقد لمحمد بن طاهر بن عبد الله على خراسان بسبب موت طاهر أبيه وجعل موسى بن بغا الكبير عوض أبيه لموت أيضاً ٠ وفيها تحرك يعقوب بن ليث الصفار من سجستان على هراة وثار الحرب بين المسلمين والروم (سنة ٢٤٩) وتواقعوا في مرج الاسقف وقتل فيها عمر بن الاقطع مقدم عسكر المستعين وكان من الأبطال وإنهزمت جنوده وقتل منهم خلق كثير وأغار الروم على الثغور الجزرية وشغبت الجنود الشاكرية والعامية في بغداد ضد الأتراك لاستيلائهم على مصالح المسلمين يقتلون ويستخلصون من بدا لهم من دون ترو ولا نظروا وقعت فتنة بسامرا وفتحوا الحبوس وأطلقوا من بها وركبت الأتراك وأوقعوا في الشعب إلى أن سكنت الثورة وفيها قامت الموالى على اتامش الترك فقتلوه ونهبوا داره وذلك لأن المستعين كان أطلق يد والدته ويد اتامش ويد شاهك الخادم فكانوا يتناولون من بيوت المال على هواهم ثم أحرقوا أحد الجسرين وقطعوا الآخر وأنهبوا دوراهل الأيسار وأخرجوا أموالاً كثيرة وفرقوها فيمن نهض لحفظ الثغور ٠ وفيها توفي أبو ابرهيم بن أغلب صاحب إفريقية وولى موضعه أخوه زياده ثم توفي زياده ثاني سنة وخلّاه ابن أخيه أبو عبد الله

فصل

في الربع الثالث من القرن الثالث

ومن الحوادث التاريخية في عهد المستعين ظهور مجي بن عمرو ومقتله وهو مجي بن عمرو بن مجي

بن زيد الشهيد وكان على الطالبيين بالكوفة ويكنى ابا الحسين وامه من ولد عبدالله بن جعفر وبعد من سرائهم ووجوههم وكان عمر بن فرج يتولى زمان المتوكل على الطالبيين فعرض له ابو الحسين المذكور عند قدومه من خراسان وطلب منه صلة لدين عليه فاغظ له عمر الجواب وحبه حتى اخذ عليه الكفلاء ثم انطلق الى بغداد وذهب الى سامرا وقد املق فتعرض لوصيف في رزق يجري له فاساه الوصيف عليه فرجع الى الكوفة وعاملها وقتل ابيوب بن الحسين من قبل محمد بن عبدالله بن طاهر فاعتزم على الخروج والتف عليه جمع من العرب واهل الكوفة ودعا للرضى من آل محمد وفتق السجون ونهبها وطرد العمال واخذ من بيت المال التي دينار وسبعين الف درهم وكان صاحب البريد قد طير بخبرها الى ابن طاهر فكتب الى عامله بالسواد عبدالله بن محمود السرخسي ان يبعث بالمدد الى الكوفة ففعل فلقهم بجي وقائلهم وهزمهم وانتهب ما معهم وخرج الى سواد الكوفة ونبعة خلق من الزيدية وانتهى الى ناحية واسط وكثر جموعه وسرح ابن طاهر الى محاربته اسمعيل بن ابراهيم في العساكر فسار اليه وقد كان بجي قصد الكوفة فلقه عبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الدلس فهزمه بجي الى ناحية ساهي ودخل الكوفة واجتمعت عليه الزيدية ثم وصل ابن اسمعيل بن ابراهيم وانضم اليه ابن الخطاب فخرج بجي من الكوفة ليعاجلهم الحرب فاسرى ليلته وصبح العساكر فساروا اليه فهزموه بعد حرب عنيدة ووضعوا السيف في اصحابه واسروا منهم كثيرا وانجلى الامر عن قتل بجي واحتراسته وارسل الى ابن طاهر وهو ارسله الى بغداد الى المستعين وذلك (سنة ٢٥٠) ومنها ظهور الحسن بن زيد من العلوية بطبرستان واستبداده بها وذلك انه لما تقوى ابن طاهر على بجي بن عمرو كما تقدم وكان بجي غنيا وقد عثره على كل ذلك واشتهر اقطعة المستعين قطائع من صوافي السلطان بطبرستان منها قطعة بقرب ثغر الديلم تسمى روسالوس وفيها ارض موات ذات غياض واشجار وكلها مباحة لمصالح الناس من الاخطاب والرعي وكان عامل طبرستان وقتئذ من قبل ابن طاهر عمه سليمان بن عبدالله وهو اخو محمد صاحب القطائع المذكورة وكان سليمان مكفولا لامه وقد حظى عندها وتقدم وفرق اولاده في اعمال طبرستان فاساوا السيرة في الرعايا ثم دخل محمد بن اوس بلاد الديلم وهم مسالمون فسبى منهم وشق الامر عليهم ثم جاء نائب محمد بن عبدالله لقبض القطائع وقد ضمنها الارض المذكورة المباحة لمنافع الناس فانكر عليه ذلك الناظر على تلك الارض وكان من امر كل هذا ان لحق النائب سليمان اخي سيده يستجده وكتب ابنا رسمه نظار الارض الى الديلم يستغيثان ومثله الى محمد بن ابراهيم من طبرستان يدعوانه الى القيام بامره لانه علوى فامتنع ودلهم على كبير العلوية بالري الحسن بن زيد المقدم ذكره فكانت ابنا رسم محمد وجعفر فشنخص اليها وقد اجتمع اهل كلابر وسالوس واهل الريان ومعهم الديلم باسرم فبايعوه جميعا

وطردوا عمال سليمان وابن اوس ثم انضم اليهم رجال طبرستان وزحف الحسن بن معه الى مدينة آمد وخرج ابن اوس من سارية لمدافعته فانهمزم ولحق بسليمان في سارية فخرج سليمان للحرب الحسن ولما التقى الجهمان بعث الحسن بعض قواده خالف سليمان الى سارية وسمع بذلك سليمان فانهمزم واخذ الحسن سارية وبعث باولاد سليمان وعياله الى جرجان بحرًا ثم بعث الحسن ابن عمه الى الري وهو القاسم بن علي وبعث المستعين جنودًا الى همدان ليعتمها ولما ملك محمد بن جعفر قائد الحسن الري اساء النصرف فبعث بن طاهر عليه من نزعها منه واسره فبعث الحسن بن زيد عليه قائده دواجن فهزم رجال ابن طاهر وقتل رئيسهم ابن ميكال واسترد الري ثم جاء موسى بن بغا بالعساكر فملك الري من يدي ابي دلف وبعث مفتاحًا الى طبرستان فحارب الحسن بن زيد وهزمه واستولى على طبرستان ولحق المحسن بالديلم ودخل مفلح آمد وخرب منازل الحسن ورجع الى موسى بالري

والحسن بن زيد بقي مستوليًا بالديلم الى ان قتل (سنة ٢٨٧ - ٨٠٢) وخلفه الحسن بن علي الملقب بالناصر

وفيهما ايضا في (سنة ٢٥٠) عصت حمص على العامل الفصل بن قارن اخي مازيار وقتلوه فجهز المستعين عليهم موسى بن بغا الاكبر فحاربهم بين حمص والرشتن وهزمهم وفتح حمص واحرقها وقتل كثيرًا من اهلها

وفيهما اتفق بغا الصغير ووصيف فقتلا باغر التركي فشغبت الترك وحاصروا المستعين وبغا الصغير ووصيفًا في القصر بسامرا فحرب المستعين وبغا ووصيف في حراقة واتحدروا الى بغداد فاخرجوا المعتز من الحبس وولوه على اموال المستعين بسامرا واموال امو وفرق على الجند وعقد المعتز لاختيه ابي احمد طلحة بن المتوكل وجهازه مع خمسين الفا من الترك لحرب المستعين وتحصن المستعين ببغداد وجرى بين الفريقين قتال كثير ثم اتفق الكبرا على خلع المستعين والزموه بذلك ثم دخلت سنة ٢٥٢

في خلافة المعتز وهو الثالث عشر (من سنة ٢٥٢ - ٨٦٦ الى سنة ٢٥٦ - ٨٦٩)

وبعد خلع المستعين كما تقدم بويغ المعتز ابن المتوكل بن المعتصم وخطب له ببغداد يوم الجمعة رابع محرم (سنة ٢٥٢) وقام المستعين من قصر الرصافة بعياله الى قصر الحسن بن سهل واستلموا منه البردة والقضيب والخاتم ثم طلب المستعين ان يكون بمكة فمنع فاختر البصرة ووكل به جماعة واتحدروا الى واسط ثم امر المعتز بقتله وكتب به الى احمد بن طولون فامتنع احمد بل سار به

الى الفاطول وسله الى الحاجب سعيد بن صالح قاماته ضرباً وحمل راسه الى المعتز وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وتسعة اشهر وعمره نحو اربع وثلاثين سنة وفيها عقد لابن الشيخ عيسى على الرملة فارسل عنه نائباً عليها وكان عيسى شيبانياً وهو عيسى بن الشيخ بن السليك من ولد جساس بن مره فلما كان ما كان من فتنة الانراك في العراق تغلب عيسى المذكور علي دمشق واعمالها وقطع ما كان يحمل منها الى الخليفة واستبد بالامر و (سنة ٢٥٣) تملك يعقوب الصفار هراة وبوشنج وعظم امره وهابة امير خراسان و (سنة ٢٥٤) ولي احمد بن طولون على مصر واستولى الصفار على كرمان وفارس ودخل شيراز وتنادى بالامان (سنة ٢٥٥) وكتب للخليفة بطاعته واهداه هدية جميلة منها عشرة بزا ومائة من المسك وكان طولون مملوكاً تركياً للامون وولد له احمد (سنة ٢٢٠) في بغداد وكان احمد عالي الهمة يستقل بقتول الانراك ودينهم وموثوقاً به في العظام وتشاغل بالخير والصلاح فتمكنت محبة في القلوب

وكان قد خرج بناحية الموصل (سنة ٢٤٨) في ايام المستعين محمد بن عمر الشاربي فسر ح عابو المتصر اسحق بن ثابت الفرغاني فحاربته واسره في عدة من اصحابه وفيها غزا وصيف بالصائفة وامره المتصر بالمقام بملطبة اربع سنين يغزو في اوقات الغزو وكان مقيماً في الثغر الشامي فدخل بلاد الروم وفتح حصن قدوريه وخرج الروم الى الثغور الخزرية فاستباحوها وبلغ ذلك علي بن يحيى الارمني وقد كان صرف على الثغور الشامية وعقد له على ارمينية واذربيجان فلما سمع بخبرهم نفر اليهم وقاتلهم فانهزم وقتل في اربع مئة من المسلمين وغزا محمد بن معاذ (سنة ٢٥٣) في ايام المعتز من ناحية ملطيه فانهزم واسر

وفي تلك المدة خرج مساور بن عبد الله بن مساور الجبلي وله حروب شهيرة مع حسان بن بكير صاحب الشرطة بالحديثة من اعمال الموصل ومع محمد بن جعفر الخزاعي والي الموصل ومع بندار ومظفر بن مشبك ومع خطر مش رئيس الجند ومع حمدون بن الحرث بن لقمان جد الامراء الحمدانية ومع محمد بن عبد الله بن السيد بن انس في نواحي الموصل انتصر فيها جميعاً (سنة ٢٥٣ ٢٥٤) ثم كانت الفتنة (سنة ٢٥٥) وخلع المعتز وبوبع للمهدي وولي على الموصل عبد الله بن سليمان فزحف اليه مساور وحام عبد الله عن لقائه فملك مساور البلد وبقي فيه جمعة وصلى وخطب ثم خرج الى الحديثة وكانت دار هجرتو ثم انتفض عليه احد الخوارج واسمه عبيدة بن زهير العمري بسبب الخلاف في توبة الخاطي وقال عبيدة لا تقبل وكان قتال شديد بينها قتل فيه عبيدة وانهزم اصحابه واستولى مساور على اكثر الفرات ومنع الاموال وسار اليه بغا بالعساكر ثم بلغهم خبر الانراك مع المهدي فاقاموا ثم زحفوا بخلع المهدي ولما نهض المعتمد بعث عليه مئتماً في عسكر كبير فترك مساور الحديثة الى

الجبال واعنصم بها وله مواقع عديدة مع منلج ولما كثرت الجراحة في اصحاب مساور من حين حربه مع عبدة الى ذلك الوقت ترك الجبل فاصبح منلج وقد فقدم فصار منلج الى الموصل ثم الى ديار ريعة وسنجار ونصيبين والخابور فاصلح امورها ثم جاء مساور تحطف من اعقابهم ويقاتلهم وعاد الى الحديثة ورجع منلج الى بغداد (سنة ٢٥٥)

وفيهما خلع المعتز نهار الاربعاء لثلاث بقين من رجب واختلف في اسم قتل محمد وقيل الزبير وكنيته ابو عبد الله وتوفي في ٢ شعبان وكان السبب ان الاثر اك طلبوا ارضهم فلم يكن عند المعتز مال فترلوا معه الى خمسين الف دينار فارسل المعتز رسال امه واسمها قبيصة تعاكسا لانها كانت جميلة جدا وغنية فاجابت « ما عدي شيء » فانفق الاثر اك والمغاربة والفراغة على خلعهم وساروا الى بابو وطلبوه فقال اني شربت امس دواء وقد افراط في العمل فان كان لا بد من الاجتماع فليدخل بعضكم الي فدخل منهم جماعة وجروهم برجلهم الى باب الحجر وضربوه بالدابيس ومزقوا قبيصة واقاموه بالشمس ثم ادخلوه الى حجرته واحضروا القاضي واشهدوه وخلافه على خلع نفسه ثم سلموه لمن يعذبه ومنعوا عنه الطعام والشراب ثلاثة ايام ثم ادخلوه سردابا وجصوه عليه فمات ودفنوه بسامرا مع المنتصر وكانت خلافته اربع سنين ونصفا وعمره اربعا وعشرين سنة وكان ابيض اسود الشعر

وفي ذلك الوقت توفي سابور بن سهل النصراني صاحب بيارستان جندي سابور وكان فاضلا في عصره وله تصانيف مشهورة منها كتب القربا بدين المعول عليه في البيارستانات ودكاكين الصيادلة وفيه اثنان وعشرون بابا

في خلافة المهدي وهو الرابع عشر (من سنة ٢٥٥ - ٨٦٨ الى سنة ٢٥٦ - ٨٦٩)

بويج المهدي وهو محمد بن الواثق يوم الاربعاء لثلاث بقين من رجب (سنة ٢٥٥) وكنيته ابو عبد الله وامه رومية وفي هذه السنة ظهرت قبيصة من خباها وكان لها مطمور تحت الارض فيه الف الف دينار ووجد لها في سنفط قدر مكوك زمرد وفي اخر قدر مكوك لؤلؤ ومقدار كيلجة باقوت احمر لامثيل له فنبش ذلك كله واعطى الى صالح بن وصيف فقال صالح قبيج الله قبيصة فقد عرضت ابنتها للقتل لاجل خمسين الف دينار وعندها هذا كله والمكوك هو (نصف الويبة والوبية اثنان وعشرون او اربع وعشرون مداً بمد النبي او) ثلاث كيلبات والكيلجة من وسبعة اثمان المن والمن رطلان والرطل اثنا عشرة اوقية استار وثلاث استار والاستار اربعة مثاقيل ونصف والمثقال درهم وثلاثة اسباع الدرهم والدرهم ستة دوايق والدائق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج حيطان والحنة شعيرتان

والشعبه ست خردل او مساحه ست شعرات من شعر بغل عرضاً

وفي هذه السنة ظهر صاحب الزنج وهو علي بن محمد من ولد عبد القيس وجمع الزنج الذين كانوا يسكنون السباخ في جهة البصره وادعى انه علي بن احمد بن عيسى من ولد علي واستفحل امره وبث اتباعه للاغارة والنهب الى كل ناحية

و (في سنة ٢٥٦) خلع المهدي انصاف رجب وتوفي لاثني عشرة بقين منه وكان السبب انه اراد قتل موسى بن بغا لقتله صالح بن وصيف وكان موسى معسكراً قبالة بعض الخوارج وكتب الى بليكيال من مقدي الاثراك بان يقتله وياخذ موضعه وكانت النتيجة اتفاق الاثنيين عليه فصار الى سامرا ودخل بليكيال على المهدي فحبسه المهدي وقتله وركب لقتال موسى فخان الاثراك الذين معه وتوجهوا مع اثراك موسى فهربوا وتنى الامر بخلع وقتله وكانت خلافته اقل من سنة وعمره ٢٨ سنة وكان امر عظيم البطن قصيراً طويل اللحية ورعاً كثير العبادة في خلافة المعتمد وهو الخامس عشر (من سنة ٢٥٦ - ٨٦٩ الى ٢٧٩ - ٨٩٢)

ولما فشا خلع المهدي وموته اتى بابي العباس احمد بن المتوكل من سجود وبايعوا له بالخلافة وكتب المعتمد على الله ياخذله وزيراً عبد الله بن يعقوب بن خاقان وفيها ملك صاحب الزنج ابله عنوة واحرقها وقتل فيها خلقاً كثيراً ثم استولى على عبادان فالامواز بالسيف وفيها عزل عيسى بن الشيخ عن الشام قهراً وعقد له علي ارمينية وولى اماجور الشام وكان بعد ان توجه ملج الى بغداد و (سنة ٢٥٨) اشتدت شوكة مساور واستولى على البلاد فوقع بمسور البجلي (سنة ٢٥٨) وجهز عليه جعلان احد قواد الاثراك و (سنة ٢٥٧) اخذ الزنج البصرة واخربوها وقتلوا من وجدوه وملك يعقوب الصفار بلخ ثم مضى الى كابل فاستولى عليها وارسل هدايا الى الخليفة وفيها اصنام من تلك البلاد

وفيها اخذ الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان جرجان وقتل خناجة امير صفليه واستخلف ابن اغلب عوضه احمد بن يعقوب وفيها وثب على ملك الروم ميخائيل احد اقربائه وقتله بعد ملك اربع وعشرين سنة وملك مكانه

و (سنة ٢٥٨) جهز المعتمد اخاه ابا احمد الموفق على الزنج و (سنة ٢٥٩) استولى الصفار على نوسابور وخرجت عساكر الروم فتنازلوا سمياط ثم ملطبه وقانلم اهلها فانهزموا وقتل احد بطارقهم وفيها توفي محمد بن موسى بن شاكر احد الاخوة الثلاثة الذين ينسب اليهم حيل بني موسى المشهورين واسم اخويو احمد والحسين وكان لهم هم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكان الغالب عليهم الحيل

والموسيقى وم الذين حققوا بامر المامون قياس دور الارض ومقدار الدرجة كما سياتي
والمعتمد (سنة ٢٦١) عهد بالخلافة لابن جعفر ولقبه المنوف الى الله وولى اخاه ابا احمد
المهد بعد جعفر ولقبه الموفق بالله ثم قتل مساور بجي بن جعفر من ولاية خراسان وصار مسرور
بطلبه وتبعه الموفق فلم يدركاه

وفيها ابتدأ امر الساماني وهو نصر بن احمد بن اسد بن سامان اخذه بن جغان بن طغات بن بهرام
جويين وهو بهرام جويين المذكور في اخبار كسرى برويز

فاسد بن سامان كان له اربعة بنين . نوح . واحمد . وبجي . والياس . وكانوا حين تولي
المامون في خراسان فقرهم وأكرمهم واستعملهم ولما رجع الى العراق استخلف على خراسان غسان بن
عباد فولى غسان احمد على فرغانه (سنة ٢٠٤ - ٨١٩) . وبجي على الشاس واسرشنه . والياس
على هراة . ونوحاً على سمرقند . وعند تولي طاهر بن حسين على خراسان اقرهم في اماكنهم ثم مات
نوح ثم الياس بهراة وبقي مكانه ابنة محمد بن الياس

وكان لاحمد سبعة بنين . نصر . ويعقوب . وبجي . واسد . واسماعيل . واسحق . وحيد ثم
مات احمد المذكور فاستخلف ابنة نصر على اعماله وكان اسمعيل في خدمة اخيه نصر المذكور فولاه
نصر بخارى في السنة المذكورة (اي سنة ٢٦١) ثم سعت الوشاة بين الاخوين حتى اقتتلا (سنة ٢٧٥)
وظفر اسمعيل باخيه ولما حمل اليه ترجل له اسمعيل وقبل بدينه ورده الى موضعه وبقي اسمعيل بخارى
وكان خيراً يحب العلماء ويكرمهم فدام ملكة وملك اولاده وطالت ايامهم

وفيها توفي محمد الاغلبى بعد ولاية عشرين وكسر وولى اخوه ابراهيم ثم سارا ابراهيم الى صفلية
وفتح فتوحات عظيمة كما تقدم وتوفي في الذرب (سنة ٢٨٩ - ٩٠١) بصقلية وجعل في نابوت وحمل
الى افرقيمة ودفن بالقبروان وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة
(سنة ٢٦٢) خرج صاحب الزنج الى جهة بطائح واسط وقتل وسي واحرق و (سنة ٢٦٣)
تولى الصغار علي الامواز

لما سارا احمد بن موسى بن بفا الى الجزيرة وولى موسى بن انامش على ديار ريعة فارق
اسحق بن كنداج عسكره ووقع بالاكرد البعقوية وانتهب اموالهم ثم لقي ابن مساور الخارجي
(سنة ٢٦٣) فقتله وسار الى الموصل فقاطع اهلها على مال وكان عليهم علي بن داود قائداً فدفعه
وسار ابن كنداج اليه فخرج علي بن داود واجتمع حمدان بن حمدون التغلبي واسحق بن عمر بن ايوب
التغلبى العدوي فكانوا خمسة عشر ثم جاءهم علي بن داود فلقبهم ابن كنداج في ثلاثة الاف فهزمهم بدسياسة
من اهل مصرهم وسار حمدان وعلي بن داود الى نيسابور وابن ايوب الى نصيبين وابن كنداج في

اثره فسار عنها واستغاث بعيسى ابن الشيخ الشيباني وهو بآمد وبابي العزموسي بن زرارة وهو عامل اردن فاجدها وبعث المعتمد الى اسحق بن كنداج بولاية الموصل فدخلها فارسل اليه ابن الشيخ وابن زرارة مئة الف دينار على ان يقرها على اعمالها فامتنع فاجتمعوا على حربه فرجع الى اجابة طلبهم ثم حاربوه (سنة ٢٦٧) واجتمع لحربه اسحق بن ابوب وعيسى بن الشيخ وابن حمدان في ربيعة وتغلب وكر واليمن فهزمهم بن كنداج الى نصيبين ثم الى آمد

وبعد قتل بن مساور كما تقدم اراد اصحابه ولاية محمد بن حرداد بشهر روز فامتنع وبابيعوا ايوب بن حيان المعروف بالغلان فقتل فبابيعوا هرون بن عبد الله الجيلي وكثر اتباعه واستولى على الموصل وخرج اليه من اصحابه محمد بن حرداد وكان كثير العبادة والزهد يجلس على الارض ويلبس الصوف الخشن ويركب البقرة لا يفر في الحرب فنزل واسطو قدم اليه وجوه اهل الموصل وهرون غائب في الاحقاد فبادر اليه واقتتلا فانهزم هرون وقصد بني تغلب مستنجدا فاجده وسار معه حمدان بن حمدون ودخل معه الموصل ثم اساق هرون جماعة ابن حرداد ولم يبق معه الا قليل من الاكراد ثم خرج ووقع باين حرداد فقتله ووقع بالاكراذ الجلالية وكثر اتباعه وتغلب على القرى والرساتيق وجعل على دجلة من ياخذ الزكاة من الاموال المصعدة والمنحدرة ووضع في الرساتيق من يقبض اعتبار الغلات واستقام امره ثم جاء بنو سامان لقتاله (سنة ٢٧٦) واستنجد بحمدان بن حمدون فجهاد بنفسه الى نهر الخازن وانهزمت طلعتهم وانهزموا لانهزامها وجاء بنو شيبان الى قسوى فحرب اهلها واقام هرون واصحابه بالمدينة

ومخرج (سنة ٢٦٤) خارجي مجهول في الصين وعظم امره فقصد مدينة خانتقو وحصرها ولما نهر عظيم وبها عالم جزيل من النصارى والمسلمين واليهود والمجوس وغيرهم فتحها عنوة وقتل بها خلقا كثيرا واستولى على بلدان واسعة من الصين ثم عدم وتفرقت اصحابه فلم يعلم عنه شيء بعد ذلك وفيها انتهى عاز رقاده التي بناها ابراهيم بن الاغلب وانتقل اليها وسكنها

ودخل (سنة ٢٦٥) الرنج العمانية وسبوا واحرقوا ثم توجهوا الى جرجرايا ودخل اهل السواد بغداد وفيها مات يعقوب بن ليث الصفار بجندي سabor من الاهواز وكان المعتمد ارسل اليه رسولا يستميله وهو مريض فاستاذن بالدخول اليه فقدم وكان عند يعقوب سيف ورغيف من الخشكار وبصل فقال للرسول قل للخليفة ان مت فقد استراح متي واسترحمت منه وان عوفيت فليس بيني وبينه الا هذا السيف فان كسرتني واقترفتي عدت الى اكل هذا الخبز والبصل وكان يعقوب قد فتح الرنج وقتل ملكا واسلم اهلها عن يده وكان ملك الرنج يجلس على سرير من ذهب ويدعي الربوبية ويعقوب كان عاقلا حازما وكان يعمل الصنعة في زمانه فقبل له الصفار لذلك وصحب

في زمانه رجلاً من اهل سجستان كان مشهوراً بالقطوع في قتال الخوارج يقال له صالح بن النضر الكناني ثم هلك صالح المذكور فتولى مكانه درهم بن الحسين فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح وكان درهم غير ضابط لأمور العسكر فلما رأى اصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه امرهم ودرهم لم ينازعه بذلك فاستبد يعقوب وقويت شوكة ولما مات يعقوب قام بالامر بعده اخوه عمرو بن الليث وكتب الى الخليفة بطاعته فولاه الموفق خراسان واصفهان وسجستان والسند وكرمان وسير اليه الخلع مع الولاية

و(سنة ٢٦٦) صار الناس في ضئلك عظيم تحت حكم الخليفة بسبب تغلب الاجناد والقواد على الامر وقلة خوفهم من القصاص لاشتغال الموفق بقتال الزنج وعجز المعتمد عن ذلك واشتدت الحرب بين الموفق والزنج وانكشفوا عن الاهواز (سنة ٢٦٧) واستولى عليها الموفق وسار الى مدينة صاحب الزنج وحصرها فخرج اليه اكثر اهلها بالامان وضعف الباقون فسلموها وكانت محصنة جداً واسمها المخنارو (سنة ٢٦٨) خامر لولؤه غلام احمد بن طولون على سيده وكان في يده حلب وحمص وتنسرين وديار مصر من الجزيرة وكتب الموفق في المسير اليه ثم سار اليه و(في سنة ٢٧٠) قتل صاحب الزنج وتفرقت شيعته وكان خروجه (٢٦ رمضان سنة ٢٥٥) وقتله يوم السبت في اثنين صفر (سنة ٢٧٠) وكانت المدة اربع عشرة سنة

الصوائف

وفي (سنة ٢٦٢) استولى الروم على قلعة الصقالبة وكانت ثغراً لطرسوس وتدعى قلعة كركرة فرد المعتمد ولاية ثغر طرسوس لابن طولون وكان احمد بن طولون قد خطب ولايتها من الموفق يريد ان يجعلها ركاباً للجهاد لخبرته باحوالها وكان يردد الغزو من هناك الى بلاد الروم قبل ولاية مصر فلم يجبه الموفق الى طلبه وولى عليها محمد بن هرون الثعلبي واعترضه السراة اصحاب مساور وهو مسافر في دجلة فقتلوه فولي مكانه اماجور بن اولغ بن طرخان من الترك وكان غراً جاهلاً فساد اليها واساء السيرة ومنع اقران اهل كركرة مبرتهم وكتبوا الى اهل طرسوس يشكون فجمعوا لم خمسة عشر الف دينار فاخذها اماجور لنفسه وابطأ على اهل القلعة شانها فقتلوا عنها واعطوها الروم وكثر اسف اهل طرسوس لذلك لانها كانت ثغراً وعيناً لهم على العدو فبلغ الامر المعتمد فكتب لاحد بن طولون بولايتها وفوض اليه امر الثغور فولياها وولى فيها من يحفظ الثغور ويقيم الغزو وقارن ذلك وفاة اماجور عامل دمشق وصار ابن طولون من مصر الى دمشق ثم الى حمص ثم الى حماة ثم حلب فملكها جميعاً ثم سار الى انطاكية ودعا اميرها سيبا الطويل الى الطاعة

فاني محاصرة وفتح البلد وقتل سببا وملك قنسرين والرقه ومضى الى طرسوس بنية الاقامة بها للجهاد
 فارتفعت الاسعار وغلا القوت فعاد الى الشام . وامر المعتمد بلعن ابن طولون على المنابر فلمن
 ببنه داد وسائر العراق ولعن ابن طولون المعتمد ايضا على جميع منابر مصر ونحوها وكل ذلك كان
 ظاهرا وضد ارادة المعتمد لان المعتمد كان يميل الى ابن طولون ويخاف الموفق حتى انه كان
 قد قصد اللحق بابن طولون بمصر لينجده على الموفق وسار عن بغداد في غياب اخيه الموفق في
 حرب النرج فامسك عامل الموصل القواد الذين كانوا معه وارجمه الى بغداد . وملك ابن طولون
 الشام جميعها (في سنة ٢٦٤) غزا بالصائفة عبد الله بن رشيد بن كاوس في اربعة الاف فارس
 وقيل في اربعين الفا من اهل الثغور الشامية فاتحن وغنم ورجع ولما رحل عن البدندون خرج عليه
 بطريق سلوقية وقره كوكب وجرسية واحاطوا بالمسلمين فاستمات المسلمون واستلجهم الروم بالقتل ونجا
 فلم الى الثغر واسر عبد الله بن كاوس وحمل الى القسطنطينية وخرج (سنة ٢٦٥) خمسة
 من بطارقة الروم الى اذنه فقتلوا واسروا والي الثغور اوخرد فعزل عنها واقام مرابطا وبعث
 ملك الروم بعبد الله بن كاوس ومن معه من الاسرى الى احمد بن طولون واهدى اليه عدة
 مصاحف واني (سنة ٢٦٦) اسطول المسلمين اسطول الروم عند صقلية فظفر الروم بهم ولحق
 من سلم منهم بصقلية وفيها خرج الروم على ديار ريعة واستنفر الناس وفروا ولم يطيقوا دخول
 الدرب لشدة البرد فيها وغزا عامل ابن طولون في ثلاثمائة من اهل طرسوس واعترضهم اربعة
 الاف من الروم من بلاد هرقل فنال المسلمون منهم اعظم النيل . وخرج (سنة ٢٦٨) ملك
 الروم وفيها غزا بالصائفة خلف الفرغاني عامل ابن طولون فاتحن ورجع وزحف الروم (سنة
 ٢٧٠) في مائة الف ونزلوا قلعية على ستة اميال من طرسوس فخرج اليهم بازبارهم وقتل منهم
 كثيرا وجماعة من البطارقة ومقدمهم وغنم منهم سبعة صلبان من الذهب والفضة وكان اعظمها مكلا
 بالجواهر وغنم خمسة عشر الف دابة ومن السروج والسيوف مثل ذلك واربع كراسي من ذهب
 ومائتين من فضة وعشرين علما من الديباچ وآنية كثيرة

وفيها توفي احمد بن طولون وكانت امارته نحو ست وعشرين سنة وكان حازما عاقلا وهو الذي
 اقام قلعة يافا وبني بيت مصر والقاهرة الجامع المعروف باسمه وترك سبعة عشر ابنا احدهم خمارويه
 وسبع عشرة بنتا وترك اموالا كثيرة ومال يك عديده وكان كثير الصدقات وولى عوضه ابنة خمارويه
 وقام بتدبير الملك احسن قيام (سنة ٢٧١) صار قتال بين خمارويه والمعتضد بن الموفق وانهمز
 ابن الموفق وكان ذلك بين دمشق والرملة

فصل

في الربع الرابع من القرن الثالث

وتوفي الموفق بالله في شهر صفر (سنة ٢٧٨) من داء الفيل وعلى يديه جرت أكثر الحروب مع
لننج وباقي الخوارج ولما مات اجتمع الفواد وباعوا ابنة ابا العباس بولاية العهد بعد المفوض وكتب
لمعتضد بالله

وفيها تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة وكان الذي دعاهم الى مذهبه رجل قد مرض
بقرية من سواد الكوفة فاخذ رجل من اهل القرية اسمه (كريمته) ومعناه باللغة النبطية احمر العين ولما
تعافى مريضة دعي باسمه ثم اخنصر الى قرمط ثم دعا قرمط قوما من السواد والبادية ممن لا يدبون
شيء الى دينه فاجابوه اليه والمعروف من مذهبهم ومعلمهم انه جاء بكتاب فيه « باسم الله الرحمن
الرحيم » يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانه انه داعية المسح وهو عيسى والكلمة
المهدي واحمد بن محمد بن الحنفية وجبريل . وان المسح تصور بجسم اسنان وقال له انك الداعية
انك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك يحيى بن زكريا وانك الروح القدس وعرفة ان
لصلوة اربع ركعات ثنتان قبل طلوع الشمس وثنتان قبل الغروب . وان الاذان في كل صلاة
ان يقول المودن الله اكبر ثلاث مرار . . اشهد ان لا اله الا الله مرتين . اشهد ان ادم رسول الله
اشهد ان نوحا رسول الله واشهد ان ابراهيم رسول الله واشهد ان عيسى رسول الله واشهد ان
محمد رسول الله واشهد ان احمد بن محمد ابن الحنفية رسول الله كل ذلك مرة وان القبلة الى
بيت المقدس والجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيها شيء ويقرا في كل ركعة الاستفتاح المنزل على احمد
بن محمد بن الحنفية وهو الحمد لله بكملة وتعالى باسمه المنجد لا وليا له ولا وليا له قل ان الالهة مواقيت
للتناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام وباطنها لا وليا له الذين عرفوا من عبادي
سلي . واتقوني يا اولي الابواب انا الذي لا اسأل عما افعل وانا العليم الحكيم انا الذي ابلو عبادي
بامتن خلقي فمن صبر على بلائي ومحبي واخباري ادخلته في جنتي واخلدته في نعيي ومن زال عن
امري وكذب رسلي اخلدته مهانا في عذابي واتمت اجلي واظهرت امري على السنة رسلي انا الذي لم
يعل جبار الا وضعته ولا عزيز الا اذلته وبس الذي اصر على امره ودام على جهالة وقال لن
نبرح عليه عاكفين وبموقنين اولئك هم الكافرون » ثم يركع ومن شرائعه ان يصام يومان في
السنة المهرجان والنيروز وحرم النبيذ وحل الخمر ومنع اكل ذي ناب وذي مخلب وقال لا غسل
بعد جنابة والوضوء كوضوء الصلوة وقبل غير ذلك ومنذ كره فيما بعد

و (سنة ٢٧٩) خلع المعتمد ولده جعفر المفوض لامر الله من ولاية العهد وجعل المعتضد بن الموفق ولي عهده وتوفي المعتمد لاحد عشر بتي من رجب ببغداد وكان الامر في كل شيء لاختي الموفق وكان الموفق يضيق عليه حتى في مصروفه فلم يكن يملك شيئاً وهو الذي قال
ليس من العجائب ان مثلي يرى ما قل معتنعاً عليه
وتوخذ باسم الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه

في خلافة ابي العباس احمد المعتضد وهو السادس عشر (من سنة ٢٧٩ - ٨٩٢ الى سنة ٢٨٩ - ٩٠١)

بويج ابو العباس احمد بن الموفق صبيحة مات المعتمد واقتب المعتضد بالله وبوقتو توفي نصر بن احمد الساماني وقام اخوه اسمعيل بما كان اليه ما وراء النهر . وقدم ابن الجصاص بهذا يا عظمة المعتضد من خمارويه بسبب تزوج المعتضد ابنته و (سنة ٢٨١ - ٨٩٤) خرج المعتضد الى الموصل تاصداً الاعراب والاكرد ووقع بهم وغرق منهم كثير في الراب واخذ القلعة وهدمها ونقل ما فيها الى بغداد وكانت لابن حمدان ثم ظر بابن حمدان بعد رجوعه الى بغداد وفيها دخل طغج بن جف عامل دمشق من طرسوس الى بلاد الروم من قبل خمارويه ونهب وسبوا (سنة ٢٨٢ - ٨٩٥) قتل خمارويه على فراشه قتله جماعة من الخدم وبويج ولده جيش ثم خلع طغج بن جف جيش بن خمارويه لانه كان صبيهاً واختلف جده عليه لذلك ولتقريبه الاراذل وثاروا به وقتلوه ونهبوا داره ونهبوا مصر واحرقوها واجلسوا اخاه هرون والتزم ان يحمل من مصر الى المعتضد كل سنة الف الف دينار وخمسة الف دينار وكانت ولاية جيش تسعة اشهر و (سنة ٢٨٣ - ٨٩٦) سارت الصقالية الى الروم وحاصروا برنطية وقتلوا من اهلها خلقاً كثيراً وخرّبوا البلاد ولما لم يجد ملك الروم منهم خلاصاً جمع من عنده من اسرى المسلمين وسلمهم وسالم معوثته على الصقالية ففعلوا وهزموم وارا حوا القسطنطينية واذ رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسو فاخذ سلاحهم وفرقهم في البلاد وفيها كان العدا بين المسلمين والروم وكان جملة من فودي من المسلمين رجالاً ونساء وصبياناً الفين وخمسمائة واربعة انفس

و (سنة ٢٨٤) قال المنجمون بفرق اكثر الاقاليم الا اقليم بابل فانه يسلم منه اليسير وان ذلك يكون عن غزارة الامطار وزيادة المياه والانهار والعيون وانقائه صار العكس وغارت المياه حتى استسقى الناس ببغداد مراراً وكان من ذلك قحط عظيم

و (سنة ٢٨٥) اختل حال هارون بن خمارويه بمصر واختلف القواد عليه وانحل نظام ملكه وكان على دمشق من جهته طغج بن جف وفيها بنى المعتضد سوراً على البصرة من تعدي ابي سعيد

القرمطي وحزف عليه اربعة عشر الف دينار وقوي امر القرمطي وهو ابو سعيد الجبائي (سنة ٢٨٦) بالعزيرين وعظم جمعة وقتل جماعة وسبي بالقطيف والقرى . و (سنة ٢٨٧) استولى اسمعيل بن احمد الساماني صاحب ما وراء النهر على خراسان بعد قتال واسراميرها عمرو بن ليث الصفار وارسله الى المعتضد فحبسه ثم قتل (سنة ٢٨٩) قالوا انه عندما أخذ عمرو وأرسل الى الخليفة قال له اخبرني هل تزعمون ان روح الله يحل في اجسادكم فقال له الرجل يا هذا ان حلت روح الله فينا فما يضرك وان حلت روح ابليس فما ينفعك فلا تسال عما لا يعينك وسل عما خملك فقال ماذا تقول فيما خصمني . قال ان النبي مات وابوكم حي فهل طلبت الخلافة او بايعه احد من الصحابة على ذلك ثم مات ابو بكر واستخلف عمر وكان يرى موضع العباس ولم يوص اليه . ثم مات عمر وجعلها شورى في سنة انفس ولم يوص الى العباس ولا ادخله فيهم فيماذا نستعصمون الخلافة وقد اتفق الصحابة على اخراج جدك منها . فامر به المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطعت يداؤه ثم رجلاه ثم قتل

وفيهما اوفي التي قبلها سار محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان الى خراسان لما بلغه اسر الصفار لم يستولي عليها فجري بينه وبين اسمعيل الساماني قتال شديد انهزم فيه عسكر العلوي وجرح وأسر ولده زيد واتي به الى اسمعيل فأكرمه ووسع عليه . وكان محمد بن زيد ادبياً فاضلاً شاعراً حسن السيرة ثم خلفه الناصر للحق الحسن بن علي المعروف بالاطروش (سنة ٢٨٩) كان حرب بين الترامطة وطغ بن جف امير دمشق

ومن الحوادث التاريخية في عهد المعتضد مقتل رافع بن الليث فانه كان وضع يده على قرى السلطان بالري وكتب اليه المعتضد برفع يده فلم يفعل فكتب الخليفة احمد بن عبد العزيز بن ابي دلف فحاربه واخرجه عن الري فسار رافع الى جرجان ودخل نيسابور (سنة ٢٨٢) فوقع بينه وبين عمرو بن الليث حرب وانهمز رافع وخلص عمرو ابني اخيه وما العدل والليث ابن علي بن الليث من يد رافع ثم سار رافع الى هراة ورصده عمرو بسرخص فشعر رافع بفرجع الى نيسابور في مسالك صعبة وطرق ضيقة واتبعه عمرو وحاصره في نيسابور ثم تلاقيا وترك رافع بعض قواده الى عمرو فانهمز رافع وارسل اخاه محمد بن هرثة الى محمد بن زيد يستعده فلم يفعل وقد تركه اكثر اصحابه فلحق رافع بخوارزم في فل من العسكر ومعه بقية امواله فغدر به ابو سعيد الدرغاني وقتله وحمل راسه الى عمرو بن الليث (سنة ٢٨٢)

ومنها انه خرج (سنة ٢٨٠) محمد بن عبادة ويعرف بابي جوزة من بني زهير من البقعاء وكان فقيراً ويظهر الزهد فجمع الجموع وحكم واستجمع اليه الاعراب من تلك النواحي وقبض الزكوات والاعشار وبني عند سنجار حصناً وانزل به ابنة ابا ملال في مئة وخمسين رجلاً . فجمع هرون الشاري

الذي كان تغلب بعد مساور على خوارج الموصل من الشراة وبدأ بمحاصر الحصن واحاط به وكان محمد بن عبادة المذكور غائباً وفتح الحصن وقيد ابا هلال وثراً مئة ثم ساروا الى محمد فلقهم وهزمهم اولاً ثم تشددوا وهجموا عليه فهزموه وقتلوا من اصحابه اثناً واربع مئة فلق محمد بآمد فحاربها صاحبها احمد بن عيسى بن الشيخ فظفر به وبعثه الى المعتضد فسلخه حياً « والشراة جمع شراي الخوارج وسموا كذلك لانهم يقولون انهم شروا انفسهم لله بالجنة او باعوها لاجل الجنة »

ومنها ايقاع المعتضد ببني شيان واخذه مارد بن وذلك انه بلغ المعتضد ان احمد بن حمدون كان مائلاً لهرون الشاري وداخلاً في دعوتيه فسار المعتضد اليه (سنة ٢٨١) واجتمع الاعراب من بني ثعلب وغيرهم للقائه فقتل منهم وغرق في الراب كثيراً وسار الى الموصل ثم بلغه ان احمد هرب عن مارد بن وخلف بها ابنة فسار المعتضد اليه وقتلته يوماً ثم صعد من القدالى باب القلعة وصاح بابن حمدان واستفتح الباب ففتح له دمهشاً فامر بنقل ما في القلعة وهدمها وبعث في طلب حمدان واخذ امواله

ومنها عقد المعتضد (سنة ٢٨١) لابنه علي وهو المكتفي على الري وقزوين وزنجان وابهر وقم وهمذان والدينور

ومنها هزيمة هرون الشاري ومهلكه وذلك عند ما كثر عيث الخوارج واخذوا يقاومون عمال الخليفة في كل جهة فجرد هرون الشاري حسين بن حمدون (سنة ٢٨٢) على انه ان جاء به اطلق له المعتضد ابنة حمدان وبعد مداورات كثيرة قبض عليه واتي به الى المعتضد اخر ربيع اول فخلع على الحسين واخوته وطوقه وادخل هرون على النبل وهو ينادي لاحكم الله ولو كره المشركون وكان هرون صغدياً وامر المعتضد بحمل قيود حمدان بن حمدون والاحسان اليه واطلاقه

والمعتضد كان دائماً في حركة وركوب على عمال النواحي ليودب ثوراتهم وعصاتهم ولمصادرة من كان منهم قد ائثرى بال المملكة مثل عمر بن عبد العزيز بن ابي دلف وبكر اخيه واحمد بن عيسى بن الشيخ ونحوهم واخذ آمد من ابن الشيخ وسار الى الرقة وتسلم قنسرين والعواصم من يد عمال هرون بن خمارويه لانه كان كتب اليه ان يقاطعه على الشام ومصر ويسلم اليه اعمال قنسرين وانه يحمل اليه اربع مئة وخمسين ائف دينار فتوجه واستلم البلاد وعقد لابنه علي واقبة بالمكتفي واقامه على الجزيرة وقنسرين والعواصم (سنة ٢٨٦) واستكتب له الحسن بن عمر النصاراني

واستقدم راغباً مولى الموفق من طرسوس وحبيه وغلانة واستصفى اموالها ومات راغب لا يام في حبسه وكان قد استبد بطرسوس

الصوائف

وكان (سنة ٢٨٥) قد غزا راغب المذكور بالصائفة من طرسوس بجزيرة فغنم مراكب الروم وقتل نحو ثلاثة آلاف وأحرقها . وخرج الروم (سنة ٢٨٧) ونازلوا طرسوس فقاتلهم أميرها وأتبعهم إلى نهر الرجال فأسروهم . وبعث الحسن بن علي كوره صاحب الثغور بالصائفة فغزا وفتح حصوناً وعاد بالأسرى فخرج الروم في أثره برّاً وبحراً إلى كيسوم من نواحي حلب فأسروا نحو خمسة عشر ألفاً (سنة ٢٨٨)

وفيهما توفي المعتضد الثاني بقين من ربيع الآخر ودفن ليلاً في دار محمد بن طاهر وكان مولده سنة ٢٤٢ وخلافة تحت العشر سنين وترك بين علياً وجعفرًا وهرون وأحدى عشرة بنتاً وكان شهماً مهيباً عدد أصحابه يتقون سطوته ويكفون عن المظالم خوفاً من بأسه إلا أنه كان شجاعاً وله شعر منه ما قال عند موته

ولا تamen الدهر اني امتة فلم يبق لي خلا ولم يرج لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم ادع عدوا ولم اهل على طغوى خلقا
واخلت دار الملك من كل نازع فشردهم غربا ومزقتهم شرقا
ولما بلغت النجم عزاً ورفعة وصارت رقاب الخلق اجمع لي رقا
رماني الردى سهماً فاحمد جرني فها انا ذا في حنرتي عاجلاً اني

وفي أيام المعتضد علت منزلة بنو موسى بن شاكر وهم ثلثة محمد وأحمد والحسن وكان موسى صاحب المأمون ولم يكن من أهل العلم بل كان في حدائق حرامياً يقطع الطرق ثم تاب ومات وخلف الأولاد الثلاثة المذكورين صفاراً فوصى بهم المأمون اسحق بن ابراهيم المصممي وأثبتهم مع يحيى بن أبي منصور في بيت الحكمة وكانت حالهم رثة على أن أرزاق أصحاب المأمون كلهم كانت قليلة فخرج بنو موسى نهاية في علومهم وكان أكبرهم وأجلهم ابو جعفر محمد وكان أفرأ الخ من الهندسة والنجوم ثم خدم وصار من وجوه القواد إلى أن غاب الأتراك على الدولة وكان أحمد دونه في العلم إلا صناعة المحل فإنه فتح له فيها ما لم يفتح مثله لأحد وكان الحسن وهو الثالث منفرداً بالهندسة وله طبع عجيب فيها لا يدانيه أحد فإنه علم كل ما علم بطبيع ولم يقرأ من كتب الهندسة إلا ست مقالات من كتاب أوقليدس في الأصول فقط وهي أقل من نصف الكتاب ولكن ذكره كان عجباً ونجيلة قوياً وحكي أن المروزي قال عنه يوماً للمأمون أنه لم يقرأ من كتاب أوقليدس إلا ست مقالات مریداً بذلك تحفيده . فقال الحسن يا أمير المؤمنين لم يكن يساني عن شكل من أشكال المقالات التي لم أقرأها إلا استخراجها بفكري وإتيته به ولم يكن يضرني أنني لم أقرأها ولا تنعمه قرائه لما أذا كان

من الضعف فيها بحيث لم تغزو قراته في اصغر مسئلة من الهندسة فانه لا يحسن ان يستخرجها فقال
 له المامون ما ادفع قوائك ولكن ما اعذرک ومحلك من الهندسة محل ان يبلغ بك الكسل ان لا تقرا
 كلمة وهو للهندسة كحرف ا ب ت ث للكلام والكتابة

وفي دار محمد بن موسى تعلم ثابت بن قرة بن مروان الصابي الحراني تزيل بغداد فوجب
 على محمد حقه فوصله بالمعتضد وادخله في جملة المنجمين . وبلغ ثابت هذا مع المعتضد اجل المراتب
 واعلى المنازل حتى كان يجلس بمحضرتي في كل وقت وبجادة طويلا ويصاحكه ويقبل عليه دون
 وزرائه وله مصنفات كثيرة في التعليمات الرياضية والطب والمنطق وله تصانيف بالسريانية فيما
 يتعلق بمذهب الصابئة في الرسوم والفروض والسنن وتكفين الموتى ودفنهم وفي الطهارة والنجاسة وما
 يصلح من الحيوان للضحية وما لا يصلح وفي اوقات العبادات وترتيب القراءة في الصلوة والمترجح
 من مذهب الصابئة ان دعوتهم هي دعوة الكلدانيين القدماء بعينها وقبلتهم القطب الشمالي ولزموا
 فضائل النفس الاربع والمفتروض عليهم ثلث صلوات اولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة او اقل
 لتنتهي مع الطلوع ثماني ركعات في كل ركعة ثلث سجعات . والثانية انقضاؤها مع نصف النهار
 والزوال خمس ركعات في كل ركعة ثلث سجعات . والثالثة كالثانية تنتقض مع الغروب . والصيام
 المفروض عليهم ثلثون يوما اولها الثامن من اجتماع اذار . وتسعة ايام اولها التاسع من اجتماع كانون
 الاول . وسبعة ايام اولها ثامن شباط ويدعون الكواكب وقرايهم عديدة لا ياكلون منها بل
 يحرقونها ولا ياكلون الباقي والثوم وبعض اللويا والقميط والكرنب والعفس . واقوالهم قريبة من
 اقوال الحكماء ومقالاتهم في التوحيد على غاية الاتقان ويزعمون ان نفس الفاسق تعذب تسعة الاف
 دور ثم تصير الى رحمة الله تعالى . وكان في دولة المعتضد احمد بن محمد بن مروان بن الطيب
 السرخسي احد فلاسفة الاسلام وله تأليف جليلة في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب وكان
 حسن المعرفة جيد الترجمة بليغ اللسان ملج التصنيف وكان اولاً معلماً للمعتضد ثم نادمة وخصه
 وكان يفضي اليه بأسراره كلها ويستشير في امور مملكته وكان الغالب على احمد هذا طعة لا حققة
 وانفق ان افضي اليه المعتضد بسرفاذاه فامر بقتله

في خلافة المكتفي وهو السابع عشر (من سنة ٢٨٩ - ٩٠١ الى سنة ٢٩٥ - ٩٠٧)

وبعد المعتضد اخذت البيعة لولده محمد وكان وقتئذ بالرقعة فسار الى بغداد ولقب المكتفي بالله
 وتوفي وقتئذ ابراهيم بن احمد الاغلي صاحب افريقية وخلته ولده عبد الله الذي قتل (سنة ٢٩٠)
 وظهر رجل في الشام من القرامطة وجمع جموعاً من الاعراب وبها طغى بن جف من طرف هرون بن

خمارويه بن احمد بن طولون وصارت بينهم معارك وقتل مقدم القرامطة المعروف بالشيخ بجي وخلفه اخوه الحسين وسي احمد . وكانت آيته انه اظهر شامة في وجهه وكثر جمعه وصالحه اهل دمشق على مال فانصرف الى حمص وملكها وخطب له على منابرهما باسم المهدي امير المؤمنين . وعهد الى ابن عمه عبد الله ولقبه بالمدثر اشارة الى المدثر المذكور في القرآن . ثم ذهب الى حماة والمرة وغيرها فقتل اهلها حتى النساء والاطفال . ثم قام الى سلمية فاخذها بالامان ثم ذبح اهلها حتى اولاد الكتب ولما اشتد امر صاحب الشامة المذكور نهض المكتفي من بغداد ودخل الرقة وارسل اليه الجيوش وثلاثت عساكرها على اثني عشر ميلاً من حماة (سنة ٢٩١ - ٢٩٢) فهرب صاحب الشامة ومعه ابن عمه المدثر و غلام له رومي فقبض عليهم في البرية واخذوهم الى الخليفة فسار بهم الى بغداد وقتلوا هناك وظوف براس صاحب الشامة ويقال ان موضع الموقعة كان قرية (يمنع) من المرة على طريق حماة الى حلب

وفي السنة هذه خرج الترك في عدد لا يحصى الى ما وراء النهر وكان فيهم سبعمائة خركاه أي سرادق امير فالتقى بهم عساكر المسلمين وظفروا بهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وهزموا الباقين وخرج الروم كذلك الى الثغور بعشر رايات صليب عبارة عن مئة ألف فاغاروا واحرقوا وسبوا (وفي سنة ٢٩٢ - ٢٩٤) ركب المكتفي على هرون بن خمارويه برًا وبحرًا وحاصره بمصر وانتهت الحرب بقتل هرون وانقضى امر بني طولون ودولتهم واستولى محمد بن سليمان على مصر وقبض على بني طولون وكانوا بضع عشر رجلاً واحصني ما لهم وارسلوا متيدين الى بغداد قال بن خلدون «ولي خاقان الخنقي على الري ثم اسمعيل بن احمد بن سامان وعيسى التوشري على مصر بعد انتراعهما من بني طولون وابو العشائر احمد بن نصر على طرسوس (سنة ٢٩٠) ثم عزل ابو العشائر وولي رسم بن بردو (سنة ٢٩٢) وانتزع الليث بن علي بن الليث بلاد فارس من يد طاهر بن محمد (سنة ٢٩٤) وولي ابو العيلاء عبد الله بن حمدان فيها على الموصل وتغلب داعية القرامطة على صنعاء وكثير من مدن اليمن»

وفي السنة التي بعدها غزا الروم قورس (او هي مؤارس) من اعمال حلب ودخلوها واحرقوا جامعتها وساقوا من بقي من اهلها . وفيها خرج الخنقي في مصر وقوي وسار اليه احمد بن كيفلغ عامل دمشق فطمعت القرامطة وقصدوا دمشق في غياجه فنهبوها ونهبوا طبرية وساروا الى جهة الكوفة فارسل اليهم المكتفي وصيف بن صوارنكين التركي والفضل بن موسى بن بغا وبشر الخادم الافشيني ورائق المجزري وكانت الهزيمة لعساكر الخليفة وغنم القرامطة منهم شيئا كثيراً . وفيها عقد المكتفي على الموصل واعمالها لابي العيلاء عبد الله بن حمدان بن حمدون المدوي

الثعالي فقدمها اول المحرم وجاء الصريح من نينوى بان الاكراد الهدبانية ومقدمهم محمد بن سلال قد اغاروا على البلاد وعائلوا فخرج ابو الهيثم بالعساكر ولفيهم على الحاردي الى شرقي الجسر فلم يقدروا عليهم واستنجد بالحليفة فابطا عليه المدد الى ربيع (سنة ٢٩٤) ولما جاءه ذهب اليهم وهم مجتمعون في خمسة الاف بيت فذهبوا امامه واعترضوا بجبل السلق المشرف على الزاب فحاصروهم حتى عرفوه وخذله اميرهم محمد بن سلال بالمراسلة في الطاعة والرهن وحث اصحابه خلال ذلك في المسير الى اذربيجان فاتبعهم ابو الهيثم ولحقهم صاعدين الى جبل انقنديل فمال منهم وامتنعوا بذروتو فرجع ابو الهيثم عنهم ولحقوا باذربيجان ثم انجده المكني ورجع بجارب الاكراد في جبل السلق ودخله بنتنة وقهرهم واستامنوا اليه واستامن كذلك احمد بن سلال واستقام امره (ثم انتقض سنة ٣٠١ فبعث اليه المقتدر وتبذره مونساً الحادى فجاء اليه بنفسه مستامناً ورجع به الى بغداد فقبلة المقتدر واكرمه وبقي ببغداد الى ان انتقض اخوه الحسين بديار ريعة (سنة ٣٠٥) فسارت العساكر بطليو واتى به اسيراً وحبس المقتدر عند ذلك ابا الهيثم واولاده وجميع اخوتو بداره ثم اطلقهم (سنة ٣٠٥)

الصوائف

ثم غزا بالصائفة غلام زرافة من طرسوس ففتح مدينة انطاكية عموة وقتل خمسة الاف مقاتل وارمى مثلها واستنقذ من اسرى المسلمين نحو ذلك وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها وقسم الغنائم فكان سهم الواحد الف دينار واغار الروم (سنة ٢٩٢) على مرعش ونواحها فخرج اهل المصيصة واهل طرسوس فاصيب منهم جماعة وكان سبياً لعزل ابي العشائر عن الثغور وتولية رستم بن بردو فكان على يد يوهى القدي وقودي الف من المسلمين وغزا (سنة ٢٩٤) ابن كيغليخ من طرسوس فاصاب اربعة الاف من الروم سبياً واستامن بطريق منهم واسلم ثم عاد ابن كيغليخ الغزو وبلغ اسكند ودوخ واخذ نحو خمسين الف راس وقتل خلقاً واستامن البطريق المتولي الثغور الى المكني وخرج باثنين من اسرى المسلمين وكان ملك الروم قد شعر بامرهم فارسل عليه من يقبضه فدافع عنه اسرى المسلمين واجتمع الروم على البطريق المذكور ونحاشد المسلمون لخلاصه فبلغوا قونية وخربوها وانصرف الروم ومر المسلمون بحصن البطريق ورحل معهم باهوا الى بغداد وافتتح اسمعيل الساماني (سنة ٢٩٢) مدائن كثيرة من بلاد الترك . . .

وفيهما توفي بن الراوندي المتكلم واسمه احمد بن يحيى بن اسحق وهو صاحب مولفات عديدة في نض: أربعة المسلمين منها قضيب الذهب واللامع والفرند والزمردة وطعن في القرآن كقولوه في كتاب الزمردة انا نجد في كلام اكنم بن صيني ما هو احسن من قواو انا اعطيناك الكوثر وقرف الانبياء

عليهم سلام الله بطلمسات جاذبوا بها الخلق كما يجذب المغناطيس الحديد وله غير ذلك من الاعتراضات على الادبيان كلها ما لا يحمل لما هنا (وفي سنة ٢٩٤) اخذت القرامطة الحجاج من طريق العراق وقتلوه عن اخرهم نحو عشرين الفاً وغنموا منهم اموالاً جزيلة وكان كبير القرامطة ذكرويه فارسل المكتني اليهم عسكرياً وقتلهم وهزمهم واسر ذكرويه وجرح ومات بعد ستة ايام (و سنة ٢٩٥) توفي اسمعيل بن احمد بن اسد الساماني صاحب ما وراء النهر وخراسان وولي بعده والده احمد ابو نصر وارسل اليه المكتني التقليد

وتوفي المكتني في ١٢ ذي القعدة (سنة ٢٩٥ - ٩٠٧) وهو ابو احمد علي بن المعتضد بالله احمد بن الموفق طلحة بن المتوكل جعفر ابن المعتصم محمد بن هرون الرشيد وكانت خلافته نحو ست سنين ونصف وعمره ثلاثاً وثلاثين سنة وكان ربة جميلة رقيق السمرة حسن الوجه والشعر وافر اللحية امه ام ولد تركيه تدعى حُجُك بعد مرض طال ودفن في دار محمد بن طاهر ٠٠٠

في خلافة المقتدر بالله وهو الثامن عشر (من سنة ٢٩٥ - ٩٠٧ الى سنة ٣٢٠ - ٩٢٢)

ولما توفي المكتني بويع جعفر ابن المعتضد ولقب بالمقتدر بالله وكان العباس ابن الحسن وزير المكتني يستصفره فعزم على خلعه فاجتمع الوزير والقواد (سنة ٢٩٦ - ٩٠٨) على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز ثم عدل الوزير لنفعه وبدا له خلاف ذلك فوثب به الحسين ابن حمدان وقتله وخلع المقتدر. وباع الناس ابن المعتز ولقب المرتضي بالله وطلب المرتضي من المقتدر الانتقال الى داره لينتقل هو الى دار الخلافة فاجابه طالباً مهلة الى الليل فجاء الوقت ولم يفعل فتوجه ابن حمدان صباحاً الى دار الخلافة فقاتله الفلمان والرجالة من وراء الستور طول النهار فانهرف عنهم وصار باهلو ليلاً عن بغداد الى الموصل ولا يعلم لماذا فعل ذلك . ولم يكن من القواد مع المقتدر غير مونس الخادم ومونس الخازن ثم ركب المرتضي وصحبته الوزير محمد بن داود و غلام له الى نحو الصحراء طمعاً في ان يتبعهم الجنود الذين بايعوا المرتضي فلم يتبعهم احد فرجعوا واخذوا ووقعت التثنية والنهب والقتل ببغداد وتقوى رعاي الشعب فخرج المقتدر بالعسكر وقبض على جماعة وقتلهم وكتب الى ابي الهيثم ابن حمدان يامره بارسال اخيه الحسين فانهمزم الحسين وارسل ابراهيم اخوه يطلب الامان فقبلة المقتدر واجابه الى طلبه واقطعه ثم وقاشان فصار اليها ثم قبض على ابن المعتز واسمه عبد الله وقتل خنقاً واشاعوا انه مات حنقاً انه وكان فاضلاً شاعراً وله اشعار مشهورة واخذ العلم عن المبرد وتعلم وتولى الخلافة يوماً ومن كلامه لما تولى قد آن للحق ان يتضح وللباطل ان يتضخ وله حكم جميلة منها قوله يشفيك من الحاسد انه يغتم وقت سرورك

وكان منعكنا على طلب العلم والشعر ولم يترشح للخلافة وقد حملته على قبولها اصحابه الذين خذلوهُ
بعد بيعتو وقد رثاه محمد بن بسام بشعر منه قوله

ما فيهِ لولا ولا ليت فتقصه وانما ادركته حرفة الادب

(في سنة ٢٩٦) انتهى ملك الاغلبية في افريقية في زمان ابي نصر زيادة الله بن عبدالله بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن اغلب . وكان اول من تولى منهم على افريقية ابراهيم بن احمد ولاء الرشيد (سنة ١٩٤) وكان المنقلب عليهم ابو عبدالله الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا الشيعي القائم بدعوة الدولة العلوية الفاطمية بالمغرب وكان زيادة المذكور رجلاً سكراناً سفاكاً للدما وقد قتل كل من قدر عليه من اعيامه واخوته فأرسل عليه من اجله عن مملكته ومات غربياً مهوراً بعد امراض متطاولة وسقط شعره كحيتو وكان ذلك بالرملة قرب القدس وبعد موته لم يبق من الاغلبية احد وفيها ابتدأت دولة الخلفاء العلويين في افريقية ودامت بمصر الى (سنة ٥٦٧ - ١١٨١) كما سيأتي واوالم كان ابا محمد عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن ميمون بن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب وقيل بغير ذلك ومنهم من جعل نسبهم مدخولاً به ومنهم من نسبهم الى اليهود فقالوا لم يكن اسم المهدي عبدالله بل كان اسمه سعيد بن احمد بن عبدالله القداح بن ميمون ابن ديسان وقيل سعيد بن الحسين وان الحسين تزوج بامرأة رجل يهودي ولها ابن فاحبة الحسين وادبه ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد وهو المهدي عبيد الله وعرفه اسرار الدعوة واعطاه الاموال والعلامات واختلف المؤرخون في كل ذلك فلا حاجة لذكره هنا . وكان امر اتصال الشيعي بالمهدي المذكورين هو ان الدعاة بالمغرب كانوا يدعون لمحمد والد المهدي وكان بسلمية ثم توفي فعهد الى ابنه المذكور وكان في عهد المكتفي بالله فهرب المهدي وولده محمد نحو المغرب وجاز مصر ووصلا الى طرابلس وكان المكتفي قد وقع لعيسى النوشري في مصر ولزيادة الله ابن الاغلب في افريقية وهذان كتبوا الى كل العمال ضدهما ثم قبض عليهما اليسع ابن مدرار عامل سجلماسة والقاهما في السجن . وكان قبل ذلك عبدالله المهدي المقتول انه القداح قام من نواحي كرج واصفهان الى الاهواز والبصرة . وسلمية من ارض حمص يدعوا الناس اليه . ثم توفي وقام ابنه احمد او محمد مقامه وصحبه انسان يقال له رسم ابن الحوشب من اهل الكوفة فارسله احمد الى الشيعة باليمن ليدعو الناس الى المهدي فذهب رسم وسمع به ابو عبيد الله الشيعي من صنعاء فتوجه الى رسم وصار من حزبه وكان رسم ارسل الدعاة الى المغرب وقد اجابه اهل كتامة فارسل ابن حوشب الشيعي اليهم وجهزهُ بالاموال فذهب الى مكة واجتمع بمحاج المغرب من كتامة وتوجه معهم الى المغرب (سنة ٢٨٠) فاناه البربر من كل جانب وعظم امره

وكانوا يدعونه ابا عبد الله المشرقي . وكان الاغاليون يستصغرون امره ولم ينتبهوا اليه فذهب الى تاهرت فاحتفلوا به وقدمت اليه القبائل من كل جانب الى ان تولى ابو نصر زيادة الله اخبرني الاغاب فقتل عمه ابراهيم الاحول واخذ النزاع والقتال بينه وبين الشيعي المذكور . ثم تقدم امر الشيعي واستولى على افريقية وهرب زياده وركب الشيعي من رقادة (سنة ٢٩٦) الى سجلماسة مستغلاً اخاه ابا العباس فخرج السع صاحبها ليقاها فلم يقدر عليه وهرب فدخل الشيعي المدينة واخرج المهدي وولده من السجن واركبها ومشي هو وروثوس القبائل بين ايديهما ثم سار المهدي الى رقادة (سنة ٢٩٧) فدون الدواوين وجي الاموال وبعث العمال الى سائر البلاد واستعمل على الجزيرة صقاية ابن حنتر بر وانهى ملك الاغالبة وبني مدرار وبني رستم من تاهرت بعد ان حكم المدرارية مئة وثلاثين سنة والرسمية مئة وستين سنة

و(في سنة ٢٩٨) قتل المهدي ولي نعمته ابا عبد الله الشيعي واخاه ابا العباس ليهنا له العيش بعدها كما هو داب اصحاب القوة لانهم لا يذكرون العم الا عند الحصول عليها فاذا تم مرامهم اهلكوا من سعى لم بها خوفاً من العقاب كما انه بدخول (سنة ٢٩٩) قبض المقتدر على وزيره ابي الحسن بن الثورات ونهب داره وهتك حرمة وولي الوزارة ابا علي محمد بن يحيى الخاقاني وكان رجلاً هوائياً يعزل ويولي الواحد مراراً في اليوم فانه ولي ماء الكوفة في عشرين يوماً سبعة من العمال وقد قيل فيه

وزير قد تكامل في الرقاة بولي ثم يعزل بعد ساعة

اذا اهل الرشا اجتمعوا عليه فخير القوم او فرم بضاعة

ثم اتت صقاية على المهدي العلوي وارادوا قتل واليه احمد بن موهب فدعا الى طاعة المقتدر العباسي وخطب له بصقاية وخطبة المهدي وبعث اسطولا الى ساحل افريقية فلقوا اسطول المهدي وعليه الحسن بن ابي خنترير وحرقوه وقتلوا الحسن ووصلت خلع السواد وراياتهم لابن موهب من بغداد ثم فسد امره وانتهى بان قبض عليه وتناك ورجوع صقاية لطاعة المهدي (سنة ٣٠٠)

وكان المقتدر يتصرف على مضي اشارة الساء والمقدام فخرجت المالك وطعمت العمال في

الادراف

وختم الجيل الثالث من الهجرة بعزل الخاقاني وتولية علي بن عيسى الوزارة وفيه عيد المسلمين حسب العادة وعملوا احتفالات نهاية القرن الا ان افراحهم كانت ممزوجة بانراح كثيرة لما حل بالملكة من الحروب والانقسامات والفتن في تلك المدة الاخيرة اي في النصف الاخير من ذلك

القرن

وإذ قد بلغنا الآن في سياق هذه الأخبار إلى زمان ملو من الأمور المهمة وقد شاهدنا سرعة نمو القوة الإسلامية وافتتاح أحسن الأماكن المعمورة ثم حصول الاختلافات والانشقاقات والفتن في ما بين الخلفاء والأحزاب وقد أخذت السلطة العربية البغدادية بالانحطاط وتكاثر المواد المهمة الواجب على المؤرخ ذكرها والملاحظة عليها لاسيما على من كانت غاية تاريخ المسألة التي نحن في صددها إذ المراد من ذكر كل هذه الحوادث من التواريخ القديمة ليس هو إبراز تاريخ فيها لانه وجد كبرون نقدمونا بأكثر استحقاق في ذلك بل المراد أخذ ملخص صادق يوصلنا إلى المرغوب ولهذا وجدنا من الضروري أن نترك قليلاً الدولة العباسية ونذكر شيئاً عن بني أمية في إسبانيا ثم نعود إلى العباسيين وننتهي الجزء الأول في أخذ خلاصة عامة وقد جعلنا لذلك كله باباً خاصاً لاشتماله على مواد كثيرة والله ولي التوفيق



الباب الثالث ونحنه فصول

فصل

في امراء الاندلس الامويين

من عبد الرحمن الداخل الى عبد الرحمن الناصر سنة ٢٠٠

سبق كيف ان عبد الرحمن الداخل بن معاوية الاموي خلص من ايدي العباسيين وبقي متغافلاً الى ان دخل الاندلس (سنة ١٢٨) واسس دولة منفصلة عن دولة بني العباس في المشرق ولكن ذلك كان على وجه مختصر في نذات متقطعة وقد اردنا الان جعله خبراً متصل الحلقات الى ان ناتي الى قيام عبد الرحمن الناصر (سنة ٢٠٠) من الهجرة

قالوا ان عبد الرحمن المذكور اخفى ولحق اولاً بمغيلة وقيل بمكاسة وقيل بقوم من زانة وكلم من البربر ثم لحق بمغيلة وارسل بداراً مولاه الى جماعة من موالي المروانيين في الاندلس واشباعهم فيثول دعوته ونشروا ذكره وصادف ذلك عندما كان اختلاف بين اليمانية والمصرية فاصطفت اليمانية على امره وكان الامر ليوسف بن عبد الرحمن النهري وصاحبه الصميل من المصرية ثم رجع بدر بالخبر فاجتاز عبد الرحمن البحر (سنة ١٢٨ - ١٥٥) في خلافة ابي جعفر المنصور ونزل بساحل المنكب واتاه قوم من اشيلية فباعوه ثم انتقل الى كورة ربة فباعه عاملها عيسى بن - اور ثم الى (شدونة) فباعه عتاب بن علقمة اللخمي ثم الى (مورور) فباعه ابن الصباح . ونهد الى قرطبة فاجتمعت اليه اليمانية ونما خبره الى والي الاندلس يوسف المذكور وكان غارباً في جلوية فرجع الى قرطبة واراد المكر يو فلم يتم له ذلك وارتمل عبد الرحمن من المنكب الى ماله فباعه جندها . ثم الى رنده . ثم شريش . ثم اشيلية فتوافقت اليه جنود الامصار وتسايلت المضربة اليه ايضاً حتى لم يبق مع النهري غير النهري والقيسية . فزحف عبد الرحمن حينئذٍ وناجزم الحرب بظاهر قرطبة فانكشف يوسف ولجأ الى غرناطة وتحصن بها فبعه عبد الرحمن ثم رغب يوسف الصلح فعقد له على

ان يسكن في قرطبة وافق له معه ثم نقض يوسف عهده وخرج (سنة ١٤١ - ٧٥٠) ولحق بطليطلة واجتمع اليه نحو عشرين ألفاً من البربر فارسل عليه عبد الرحمن بن عبد الملك بن عمر المرواني وكان قد وفد عليه من المشرق وكان ابوه عمر بن مروان بن الحكم في كماله اخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما دخلت المسودة ارض مصر خرج عبد الملك يطلب الاندلس ونزل على عبد الرحمن (سنة ١٤٠ - ٧٥٧) وعقد له على اشبيلية ولايتي عمر على مورور و سار اليه يوسف وتناجزا ليربقان وكانت الدائرة على يوسف وابعد المرفا غنائه بعض اصحابه بنواحي طليطلة واحترا راسه وقدمه الى عبد الرحمن وثبت قدم عبد الرحمن واستقل في احكام الاندلس واجتد بيناء المسجد الجامع والقصر في قرطبة وانفق على الجامع ثمانين الف دينار وقبل ان ينفق هذا المبلغ ثمن المكان والكنيسة التي كانت قبلاً هناك وانه انفق عليه ما عدا ذلك مئة الف دينار ومات قبل تمامه وبني اماكن وقصوراً ومساجد اخرى وانه جماع من اهل من المشرق قالوا وكان عبد الرحمن يدعو اولاً للمصور ثم قطع دعوته واستبد ومهد الدولة بالاندلس واثل بها الملك العظيم لبني مروان وجدد ما طمس لهم من معالم الخلافة واثارها واستلهم الثوار المقاومين لسلطنته على كثيرتهم وتوفي (سنة ١٧٢ - ٧٨٨) وكان ابو جعفر المنصور يسمو صقر قريش ولم يكن له سوى لقب امير وعليه جرى بنوه من بعده ولم يدع احد منهم بامير المؤمنين نادى بامع الخلافة الكبرى في مقر الاسلام وامتدى العرب حتي عبد الرحمن الناصر ثامنهم بالاندلس فتلقب بامير المؤمنين كما سيأتي بخلو وذلك من ضعف خلفاء بني العباس وغلبة الاعاجم عليهم وعدم تركهم لهم . وى الاسم . وتوارث اولاد الناصر لقب امير المؤمنين واحد بعد الاخر الى ما بعد المئة الرابعة من الهجرة

وعند ما اشتغل المسلمون بامر عبد الرحمن الداخل قوى امر الانجلافة وعبد فرويليه بن اذفونس ملكهم الى الثغور فاخرج المسلمين منها وتملك مدينة لك وبرقال وسموره وقشتاله وشقوييه وصارت للجلالة حتى استردها المنصور بن ابي عامر اخر الدولة . ثم عادت للافرنج بعده لما استعادوا البلاد كلها . وكانت عبد الرحمن قارله (شارل) ملك الافرنج بعد ان تمس بومدة فوجده صلب المكر نام الرجولية فال معه الى المداراة ودعاه الى المصاهرة والسلم فاجابة قارله الثاني لاملالاول . وعبد الرحمن وجد الاندلس ثغراً قاصياً عاطلاً عن حلية الملك فارهب اهله بالطاعة السلطانية واخذهم بالاداب فاكسبهم المروة واقامهم على الطرية ودون الدواوين ورفع الاواوين وفرض الاعطية واعطى الاولوية وجند الاجناد واوثق الاوتاد حتي اعترف له بذلك اكابر الملوك وحذروه ولم يلبث ان دانت له بلاد الاندلس واستقل له امرها فانقاد له عصيها وذل له ايها واستولى على اريكته ملكاً قاهراً اعدوه حامياً لدماره وكان من رجال ابي جعفر المنصور في الصلابة والامتلاء والصرامة

والاجتراء وكانت ام كلثوم منها بربرية كما قال ابن حبان وكان عبد الرحمن يقعد الناس ويسمع منهم ويقضي بينهم ويتوصل اليه من اراد ذكر ابن خلدون ما مفاده ان العلاء بن مغيرة اليه سار من افرقية الى الاندلس ونزل بياضة البلاد داعياً لابي جعفر المنصور واجتمع اليه خلق فزار اليه عبد الرحمن وقاتله وهزمه ثم قتل ومعه سبعة الاف من اصحابه وبعث عبد الرحمن برووس كثير منهم الى القبروان ومكناسة فالقيت سراً في اسواقها ومعها اللواء الاسود وكتاب المنصور لابن العلاء فارتاب المنصور لذلك وشكر الله الذي جعل بينهما البحر وكثرت ثورات العرب على عبد الرحمن ونافسوه الملك وكانت العاقبة له فاستراب اخيراً من العرب واراد اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالي وغزا الفرنج والبشكنس ورجع ظافراً وكان من نيتو ان يحدد دولة بني مروان الاموية في الاندلس فمات وخلافته نحو ثلاث وثلاثين سنة ومن اعماله الحسنة ادارة قرطبة بسور

وبعد عبد الرحمن بويج لولده هشام وهذا بعد اختلاف بينه وبين اخويه سليمان وعبد الله استقر له الامر وانصرف اخواه الى بلاد العدو قالوا ان هذا كان يعتقد بيلم الاحكام واتقنا من النجوم فاستطلع الصبي المنجم الشهير بان ينظر له وكان سكنه في الجزيرة الخضراء فجاء الى قرطبة عند ما نهض هشام فنظر واكتة الى ان يخبر هشام بذلك لانه راي في طالعو من الامور التي لا تسره واعذر بانه نظر ولكنه لم يتحقق الامر لجلالته في نفسه فقال له هشام قد اجلتك لذلك فتفرغ للنظر فيما بقي عليك فيه ثم احضره بعد ايام وقال له ان الذي سالتك عنه جد عندي مع اني لا يجب ان اتق بحقيقته اذ كان من غيب الله غير اني احب ان اسمع ما عندك فيه فان النفس طامعة والزمن فقال الصبي اعلم ايها الامير انه سوف يستقر ملكك سعيداً ظافراً الا ان مدتك فيوتكون ثمانية اعوام او نحو ذلك فاطرق هشام ساعة ثم رفع راسه وقال يا صبي ما اخوفني ان يكون النذير كلمني بلسانك وخاع علي وزهد في الدنيا وكان يذهب في سيرته مذهب عمر بن عبد العزيز فكان يرسل اناساً من ثقاته الى الكور يستمعون عن سيرة العمال في الناس فاذا انتهى اليه حيف من قبلهم اوقع بهم واسقطهم وانصف منهم ولم يستعملهم بعد وفي ايامه فتحت اريونه الشهيرة واشترط على المعاهدين من جليقية انتقال عدد من احوال التراب من سور اريونه الى باب قصره بقرطبة وبقي منه المسجد الذي قدام باب الجنان وفضلت منه فتلة بقيت مكومة ونحارب مع المخالفين له من اهل بيتو وانتصر على حركاتهم وغزا وقصد البنة وانقلاع ولقي العدو وظفر به ونجح الفتوحات (سنة ١٧٥ - ٧٩١) وبعث العساكر الى جليقية مع يوسف بن نجبة فلقى ملكها ابن مندة وهزمه وانخن بالعدو وبعث (سنة ١٧٦ - ٧٩٢) وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيرة اغزو

العدو فبلغ البنة والقلاع وانحن فيها ٠ ثم بعث (سنة ١٧٧ - ٧٩٢) الى اربونه وجريدة فلتحن فيها ووطي ارض بربطانية وتوغل في بلاد العدو وهزمهم ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد (سنة ١٧٨ - ٧٩٤) الى البنة والقلاع وارسل اخاه عبد الملك الى بلاد جليقية فانتبهى الى استرقه فجمع له ملك الجلالة واستمد بملك البشكس ثم خام عن اللقاء ورجع فاتبعه عبد الملك وكان هشام قد بعث جيوشاً من جهة اخرى فالتقوا بعبد الملك وانحنوا جميعاً في البلاد فاعترضتهم عساكر الفرنج ووقفوا مسيرهم ونالوا منهم فرجعوا غائمين سالمين ومن محاسن هشام تجديد القنطرة التي بضرب بها المثل في قرطبة وكان قد بناها السخ الخولاني عامل عمر بن عبد العزيز واحكم هشام بناها للغاية واذ سمع ان اهل قرطبة قالوا انه انما بناها لير عليها الى الصيد والقنص حلف ووفي بعدم المرور عليها بعده وتوفي (سنة ١٨٠ - ٧٩٦) وعمره ثلث واربعون سنة وامارته سبع سنين وتسعة اشهر واكمل الجامع الذي كان ابتداءه ابوه

وبعد هشام نهض الحكم ولده واكثر من المالك واربط الخيل واستفحل ملكه وفي خلال القننة التي كانت بينه وبين عمه لاجل الملك اغتنم العدو فرصة وقصد برشلونه فملكها (سنة ١٨٥) وناخرت عساكر المسلمين فجهز الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الجلالة فانحنوا فيها فخانهم العدو الى المنافذ وظفر بهم وخرج الى بلاد المسلمين ظافراً ٠ وكانت للحكم الوقعة الشهيرة مع اهل الرض من قرطبة لانه في صدر ولايتو كان قد انهمك في اللذات واهل الاحكام فثاروا عليه في قرطبة وخلعوه وبايعوا بعض قرابتو فقاتلهم الحكم وظفر بهم وخرب دورهم ومباجدم ولحقوا بناس من اهل العدو وباسكندرية مصر فتلوا فيها ثم ثاروا بها فزحف اليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمامون فغلبهم واجازهم الى جزيرة اقريطش وكان في ايام الحكم حروب وقتن مع المخالفين له من الثوار في طليطله وغيرها

و (في سنة ١٩٢) جمع لذريق (رودريكس) بن قارله ملك الفرنج جموعه وسار الى حصار طرسونه فشبع الحكم ابنه عبد الرحمن فهزمهم ثم اشتد عيث الفرنج مع وجود الفتن الداخلية فسار بنفسه اليهم (سنة ١٩٦) وفتح ثغوراً وحصوناً وخرب النواحي وعاد ٠ وبعث (سنة ٢٠٠) العساكر مع ابن مغيث الى بلاد الفرنج فحرب وهدم عدة حصون واقبل على اليوط ملك الجلالة في جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا اياماً واقاموا على ذلك ثلاث عشرة ليلة ثم كثرت الامطار ومد النهر فقتل المسلمون بالغنائم

والحكم اول من جند الاجناد واتخذ العدة وكان افحل بني امية بالاندلس واشدم وكان يشبه بابي جعفر المنصور العباسي في شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الاعداء وكان خاتمة منقوشاً هكذا

« بالله يفتق الحاكم ويعتصم » وكان له من الذكور عشرون ومن الاناث مثله وامة جارية اسمها زخرف
امرطويلاً فخيفاً وملك سنّاً وعشرين سنة . وقال بعضهم هو اول من جعل ائمة للملك في الاندلس
واشتهر بالممالك حتى بلغوا خمسة الاف منهم ثلاثة الاف فارس والافان رجاله وتوفي اخر (سنة ٢٠٦)
وكان له عيون بطل العوثة باحوال الناس وبياسر الامور بنفسه ويقرب العلماء والصالحين وكان له
الناقرس مرتبطة على شاطئ النهر قربي قصره يجمعها داران وهو اقائل لما قتل اهل الرض وهم
ديارم وحرثها

فمذي بلادي اني قد تركتها مهاداً ولم اترك عليها منازعا
وتل انه كان من المجاهدين بالمعاصي السافكين للدماء وكان يمسك اولاد الناس ويخصهم ولذلك
ثارت عليه العلماء والفتهاء واهل الصلاح ومنهم من نسب اليه بناء قصر العبدة الموجودة فصلاثة
للان في الاندلس وفي من الاثار الغربية والحق ان العبدة مكسر عن العامرية ولا يمد ان تكون
اثار الزاهرة وهو قصر العامرية نسبة الى المنصور بن ابي عامر وزير الحكم بن الناصر او قصر الزهراء
الشهير الذي بناه عبد الرحمن الناصر كما سياتي خبره في محله وكان قد عهد لولده عبد الرحمن
ومن بعده لاخته المغيرة فلما توفي بوع لولده عبد الرحمن المذكور المعروف بالاوسط
وغزا عبد الرحمن لاول ولايته الى بلاد الجلالة وابعده واطال الغيب واثنى في ام المسيحين
ورجع

وقدم عليه زرباب المغني من العراق وهو مولى الممدى واسمه علي بن نافع . فركب عبد الرحمن
للقائه وبالغ في اكرامه واورث زرباب صناعة الغناء بالاندلس وكان الاول بعده ولده عبد
الرحمن واغزا عبد الرحمن الاوسط (سنة ٢٠٨) حاحبه عبد الكرم الى البنة والقلع فخرّب كثيراً
من البلاد واتسها وفتح حصوناً كثيرة وصالح بعضها على الخراج واطلاق اسرى المسلمين ورجع غانماً .
وارسل سنة (٢٢٤) قرية عبد الله بن البلسي لغزو البنة

ثم خرج لذريق ملك الجلالة واغار على مدينة سالم بالثغر فتوجه اليه فرتون بن موسى وقائمه
فهزمه . ثم سار الى الحصن الذي بناه اهل البنة بالثغر نكاية للمسلمين فهدمه . ثم قصد بلاد جايقيه
فدوخ فيها وفتح جملة حصون ورجع غانماً . وبعث سنة (٢٢٦) عساكره الى الثرىجة فانتهاوا الى ارض
برطانية وكان على العساكر موسى بن موسى عامل نطيلة فاني العدو وصبر الى ان هزم . وبعث
(سنة ٢٢٩) ابنه محمداً بالعساكر وتقدم الى بنبلونه وقتل غرسبه صاحبها وفي ايامه ظهر الجيوس (وم من
سكان بر العذوة غير المسلمين) ودخلوا اشبيلية فارسل اليهم عبد الرحمن العساكر مع القواد فتزل
الجيوس من مراكزهم وغاثلوا المسلمين وكان قتال عظيم واتجلى الامر عن انكسار المسلمين اولاً . ثم

حسرتهم نجات من قرطبة فهزموا العدو وغنموا بعض مراكبهم واحرقوها وقام المجوس الى شدونة فاقاموا عليها يومين وغنموا بعض الشيء . ثم وصلت مراكب عبد الرحمن الى اشبيلية فاقبل المجوس الى ابله واغاروا وسبوا ثم الى باجة . ثم اشبونه . ثم اقطع خبرهم (سنة ٢٢٠) وتقدم عبد الرحمن باصلاح ما افسدوه من البلاد واكتنف حاميتها

وجوز سنة ٢٢١ العساكر الى جليقية فدخلوها وحاصروا مدينة ليون ورموها بالمجانيق وهرب اهله عنها ونهب المسلمون ما فيها واحرقوها وارادوا دم سورها فلم يقدر ولا ان عرضه سبع عشرة ذراعاً فثللوا فيه ثلثة وعادوا

ثم اغزا عبد الرحمن عبد الكريم الى بلاد برشلونه فعاث في نواحيها واجاز الدروب التي تسمى البرت او البربات الى الفرنجة وحاصر مدينتها العظى حرنده

وبعث توفلس ملك الروم (سنة ٢٢٥) بهدية الى عبد الرحمن يطلب مواصلته ويرغبة في ملك سلبه بالمشرق من اجل ما ضيق به المامون والمعتم وذكرها له في كتابه تحت اسم ابني مراحل وماردة فكافاه الامير عبد الرحمن عن الهدية وارسل اليه يحيى الغزال من اكبراهل الدولة وكان مشهوراً في الشعر والحكمة وارفع لعبد الرحمن ذكر في المشرق

وتوفي عبد الرحمن (سنة ٢٢٨) بعد ولاية احدى وثلاثين سنة ومولده طليطله (سنة ١٧٦) وكان عالماً بالشرع والفلسفة وايامه هذو وسكية وكثرت ثروته واتخذ القصور والمتنزهات وجلب اليها المياه من الجبال وجعله لفلسو مصنعا اتخذه الناس شريعة . واقام الجسور ونبت في ايامه جوامع في كور الاندلس وزاد في جامع قرطبة وواقين ومات قبل ان يستتمها فانم ذلك ابنة محمد واقام في الاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم المملكة واحجب عن العامة وكان له خمسة واربعون ابناً كما ذكره ابو العدا وابن الاثير وعمرس الورددي وغيرهم اما المقي في كتاب نفع الطيب فيقول ان اولاده الذكور مائة وخمسون وبناته خمسون والاول اقرب للعقل على انه لا يبعد ان يكون صادقاً وانه جاء له هذا العدد وسلم منهم خمسة واربعون ذكراً وكان نقش خاتم «عابد الرحمن بقضاء الله راض» قال ابن سعيد وفي ايامه انتهى مال الجباية الى الف الف دينار في السنة وكان قبلاً لا يزيد عن ستمائة الف وكان كثير الميل للنساء ومولعاً بيجاريتو طروب وقد كلف بها كلفاً شديداً وهي التي بنى عليها الباب ببدر المال حين تجبت عايو واعطاها حلياً قيمته مائة الف دينار فقيل له ان مثل هذا لا ينبغي ان يخرج من خزانة الملك فقال ان لا بسه انفس منه خطراً وارفع قدراً واكرم جوهرًا واشرف عنصراً وامر بدر المال هو انه كان قد اغضبها فهجرت وصدت عنه ولزمت معصورتها فارسل من خاصة خصيائه من يكرها على الوصول اليه فاغلقت الباب في وجوهم وحلفت

ان لا تخرج اليهم طائفة فامرهم بسد الباب عليها من خارج بيدرا المال ففعلوا ثم حضر ووقف في الباب وكلها مسترضياً راغباً في المراجعة على ان يكون لها جميع ما سد به الباب فاجابت وفتحت فانها لت البدر في غرفتها . وكان له اخرى يحبها اسمها مدثرة واخرى اسمها شفا . وكان له جارية اسمها قلم اديبة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار وكان مولعاً بالسماع وله اخبار كثيرة

ونقض بعده ابنه محمد وهذا اغزى نواحي البنة والقلاع وبرشلونه وما وراها ورجع عسكره غانماً وكان لما ثارت عليه طليطلة واستمدت لذلك ملكي جليقية والبشكنس لقيهم محمد على وادي سليطه وقد اكمن لم يقتل منهم نحو عشرين الفا . واغزى (سنة ٢٤٧) الى جهة بنبلونه وصاحبها غرسية بن وبقه وكان بظاهر اردن بن ادفنش قدوخ وفتح حصوناً واسر فورتون ابن صاحبها وبقي اسيراً في قرطبة عشرين سنة واغزى اخاه المنذر ٢٥١ الى نواحي البنة والقلاع فعمائوا فيها وجمع لذر يق للقاتم وكان النصر للمسلمين وغزا محمد بنفسه بلاد الجلاله فيها . و(في سنة ٢٦٣) ارسل ولده المنذر الى دار النصارى (سنة ٢٦٤) الى بنبلونه واغزاه ايضاً (سنة ٢٦٨) الى دار الحرب وفي ايامه خرجت ماردة ولم يبق لها اثر وذكر بعضهم انه رأى هذه الايات في المشرق (سنة ٢٥٤) قبل ان تحرب ماردة

وبل لما ردة التي مردت وتكبرت عن عدوة النهر
كانت ترى لم بها زهر فخلت من الزهراء كالقفر
فالويل ثم الوجح حين غزا بجمعهم من صاحب الامر

وتوفي محمد (سنة ٢٧٣) لخمس وثلاثين سنة من امارته وولد (سنة ٢٠٧) وخلفه ولده المنذر واقام نحو ستين ومات (سنة ٢٧٥) وفيه قيل

بالمنذر بن محمد صلحت بلاد الاندلس

وكانت اعماله قليلة نظراً لقصر مدة ولايته وكان جيد السيرة محب الاصلاح والصلاح وقام بعده اخوه عبد الله وكانت مدته رخاء ولم يحدث فيها ما يستحق الذكر قال ابن خلدون كان خراج الاندلس قبله ثلاث مئة الف دينار مئة الف للجيش ومئة الف للنفقة في النوائب وما يعرض ومئة الف ذخيرة ووفر . فانفق الوفير حين اضطربت عليه بلاد الاندلس بالثوار والمتغلبين في تلك السنين وقل الخراج اه .

وتوفي الامير عبد الله (سنة ١٣٠٠) ومدة ملكه نحو خمس وعشرين سنة وكان ايضاً اصهب ازرق ربعة ورزق احد عشر ولداً ذكر الاحد محمد وقتله ابو في حد من الحدود . وولى بعده حافده عبد الرحمن الناصر واخذ الملك شأناً واعامة واعام ايو حاضرون وسند ذكر خبره في الجزء الثاني ان شاء الله

فصل

في الربع الاول من القرن الرابع

و (في سنة ٢٠١) قتل احمد بن اسمعيل الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر بجمعة جماعة من غلمانه ليلًا وولي بعده ابنه ابو الحسن نصر

وفيهما قتل ابو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي كبير القرامطة قتله خادم له صقلي في الحمام . ولما قتله استدعى رجلاً اخر من اكابر روسائهم وقال له ان الرئيس يسند عليك فلما دخل قتله الى ان قتل اربعة من الكبراء فعلوا غدره واجتمعوا عليه وقتلوه . وكان ابو سعيد قد عهد لولده الاكبر سعيد فعجز عن القيام بالامر وتغلب عليه اخوه ابو طاهر سليمان وكان شجاعاً . وكان عند قتل ابيو واليا على هجر والاحساء والتطيف وسائر بلاد البحرين

وفيهما سير المهدي العلوي جيشاً مع ولده محمد الى مصر فاخذ الاسكندرية والقيوم فارسل المقتدر جيشاً مع مونس الخادم واجلاهم فعادوا الى المغرب . و (في سنة ٢٠٢) قبض المقتدر على الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص الجوهري واخذ منه من صنوف الاموال ما قيمته اربعة الاف الف دينار واكثر

وفيهما ركب المهدي العلوي ثانية على مصر وارسل اليه المقتدر مونساً الخادم فاقتتلوا بين مصر والاسكندرية اربع دفعات واخيراً ثبت النصر للمقتدر وقتل من الفريقين خلق وافروهي السنة التي فيها انتهى الطبري (ابو جعفر) تاريخه الشهير

وفيهما بنيت المدينة بناها المهدي على ساحل البحر في شبه جزيرة متصلة بالبركة كيفة كف متصلة بزند وجعل لها سوراً حصيناً وابواباً عظيمة وزن كل مصراع مائة قنطار . وفيها اغارت الروم على الثغور الجزرية وسبوا وقتلوا وغنموا كثيراً . وفيها توفي الاطروش وهو الناصر العلوي صاحب طبرستان واسم الحسن بن علي وهو الثامن من نسل علي بن ابي طالب . وكان قد ملك طبرستان (سنة ٢٠١) ثم قام بعده الحسن بن القاسم العلوي ويلقب بالداعي وقتل (سنة ٢١٦) وانقرض بموتهم ملكهم من طبرستان

وخرج (سنة ٢٠٢) الحسين بن حمدان عن طاعة المقتدر في الجزيرة فارسل الخليفة عليه الوزير رائق الكبير في جيش فاقتتلا وانهمز رائق فبلغ الخبر مونساً فذهب اليوفير الحسين الى ارمينية مع اولاده وثقله وتشتت عسكره فادركه عسكر مونس واسروه مع ابنه عبد الوهاب وذهب بها الى

بغداد راكين جملاً وعليها البرانس اللبوداء وقصان الشعر الاحمر
(و سنة ٣٠٥-٩١٧) حضرت رسل ملك الروم يطلبون المهادنة والتدا فاكروا اكراماً تاماً وصار
قبولهم في اعظم هيئة . وسير الخليفة معهم مونساً الخادم وانفذ معه الفداء عن الاسرى مائة وعشرين ألف
دينار . وفيها أطلق ابو الهيثم بن حمدان واخوته واهل بيته من السجن
(و سنة ٣٠٦-٩١٨) جعل على شرطة بغداد نوح الطولوني فاقام في الارباع فقهاء يعمل
الشرطة بفتواهم فضعفت هيبة السلطنة بسبب ذلك وكثر الخلل وقطاعة الطرق . وفيها جهز المهدي
العلوي ابنة القائم على مصر فاخذ الاسكندرية ووصل الى الجيزة وملك اشمونين وبعض الصعيد
وحضرت له ثمانون مركباً من افرقيه وجهاز المتندر عليهم مونساً وارسل خمساً وعشرين مركباً من
طرسوس لقتال مراكب القائم فالتقت العساكر في البر والمراكب في رشيد واقتتلوا قتالاً شديداً
وانجلى الامر بهزيمة المهديين وعادوا الى افرقيه

وفي هذه السنة (وهي سنة ٣٠٦-٩١٨) انقرضت دولة الادارسة العلويين قد تقدم ابتداء
هذه الدولة الى محمد بن ادريس بن ادريس (سنة ٢١٤-٨٢٩) وكان محمد قد اعطى اخاه
عمر صنهجة وغماره وابقى لنفسه الامامة الكبرى وبقي محمد حتى مات وتاريخ موته مجهول . فملك بعده
ابن اخيه المذكور علي ولكنه لم يفلح فخلع وولي بعده علي ابن اخيه يحيى بن ادريس بن عمر وهذا
يحيى هو اخرايمتهم بفاس وانقرضت دولتهم (سنة ٣٠٧) وتغلب عليهم قضالة بن جبوس . ثم ظهر
من الادارسة حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس وقصد استرداد الدولة وقد اخذت بالاختلال
ودولة المهدي في الاقبال فملك عامين ولم يم له ارب وانقرضت دولتهم من جميع المغرب الاقصى
واخذ اكثر الادارسة الى المهدي ثم ثار بعد الاربعين وثلاثماية ادريس من ولد محمد بن القاسم
فاعاد لم الامامة . ثم تغلب على بر العدو عبد الملك بن المنصور بن ابي عامر وخطب فيها لبني
امية ثم عاد عبد الملك الى الاندلس فضعفت سلطنته ببر العدو وتغلب على فاس بنو ابي العافية
الزناتيون ثم اخذ يوسف بن تاشفين امير المسلمين تلك البلاد

(وفي سنة ٣٠٦-٩٢١) قتل حامد الوزير الحسين بن منصور الصوفي المعروف بالحلاج
لدعواه النبوة وخداعه الناس بشعبدات كاخرا جوفاكهة الشتا صيفاً وفاكة الصيف شتاء وكمدته يده
الى الهوام واعادتها مملوءة دراهم عليها مكتوب « قل هو الله احد » وكان يسميها دراهم القدرة . وكاخباره
الناس بما اكلوه وما صنعوه في بيوتهم واخراج ضائهم حتى افتتن الناس به واعتقدوا فيو الحلول
فانقسم عليهم اراء الناس فمنهم من قال انه مظهر من مظاهر الله تع . ومنهم انه ولي . ومنهم قال انه
مشعوذ وغيرهم ساحر وكذاب . وكان قد قدم الحلاج من خراسان ومضى الى مكة واقام بها سنة

بالبحر لا يابى البيوت لا صيفاً ولا شتاء . ونظر على جبل ابي قيس فوق صخرة حافياً مكشوف الرأس والعرق يجري منه الى الارض من حرارة التوسلات . وكان بصوم الدهر وينظر على الماء ويأكل ثلاث فضات من قرص ولا يأخذ شيئاً آخر . ثم نقل عنه الى الوزير حامد انه كان يجي الموتى فاستدعاه وسأله عن ذلك فانكر وقال اعوذ بالله وما انا الا انسان اعبد الله تع . قالوا وبقي الوزير في استنفاصه واستنطاقه الى ان وجد معه كتاباً فيه ان الا انسان اذا اراد الحج ولم يمكنه افرد من داره بيتاً طاهراً فاذا حضرت ايام الحج طاف حوله وفعل ما يفعل الحجاج ثم يطعم ثلثين بيتاً ويكسوم ويعطي كلاً منهم سبعة دراهم . فاحضر الوزير القضاة ووجوه النباهة وامر بقراءة ذلك امامهم . فسأله ابو عمرو القاضي من اين لك هذا فقال من كتاب الاخلاص للحسن البصري . فقال له القاضي كذبت وافتوا باباحة دمو . وسلم الى صاحب الشرطة فضربه الف سوط فما ناره لها ثم قطعوا يده الواحدة ثم الاخرى ثم الرجل الواحدة ثم الاخرى ثم قتل واحرق والقي رماده في دجلة . « قلتان في عمل الوزير قساوة وحشية لاحاجة لها تنفر من تلاوتها اذان العصر وقد وافقه القضاة لغاية سياسية او لخوف دني منهم لا غير والا فان القضاة على رجل متعيش بتليبسو على الناس انما يكون بترينته واطلاقه لا يقتلوه وتعذيبه ولسنا نرى فيما قاله هذا الرجل من ضرر على الدين فالحمد لله اننا لسنا في عصر مثل عصرا بن حامد »

والحلّاج كان من خراسان ونيسابور وقيل من مرو وقيل من الطالقان وقيل من الري . وكان على الاصح رجلاً محملاً مشعباً يميل الى راي الصوفية وربما ادعى حلول الالهية فيه وقيل له وهو مصلوب في الشمس قل لا اله الا الله . فقال ان بيتاً انت ساكنة غير محتاج الى السرج . وقيل كان صنفراً من العلوم حتى ان على بن عيسى عندما امتحنه قال له ان تعلمك فروضك اجدي بك من رسائل لا تعرف معناها وان تكتب للناس بقولك ذو النور الشعشعاني الذي يلعب بعد شعشعته فما احوجك الى الادب . وقال ابو الحسين بن المجندي انه راي الحلّاج ونظر من شعابذه اشيا منها تصويره بين يديه جنبته فيها زروع وماء

(سنة ٢١١) كبست القرامطة وكبيرهم ابو طاهر البصرة ليلاً ودخلوا من فوق السور وقتلوا وسلبوا مدة سبعة عشر يوماً . و(سنة ٢١٢) اخذوا الحجاج وربحوا منهم امواً لا عظيمة . وفيها قبض المقتدر على وزيره ابي الحسن بن الفرات وذبحه مع ولده الحسن . وفيها سار ابو طاهر الترمطي الى الكوفة واخذها بالسيف وقتل وسي سنة ايام

وسنة (٢١٤) قلد المقتدر يوسف بن ابي الساج نواحي المشرق وامره بالمسير الى واسط وحرب القرامطة فالتقى سنة (٢١٥) ومعه نحو اربعمائة الفاً بابي طاهر في الف وخمسمائة منهم

سبعائة فارس وكان ابوالساج قد احتقرهم لقلة عددهم وشيع الى بغداد يقول بالفتح وانهم في يده ثم اقتتلوا فعملت القرامطة وانهزم عسكر الخليفة واخذ يوسف اسيراً وقتله ابو طاهر واستولى على الكوفة . فارسل له الخليفة مونساً الخادم فصادف ما صادفه يوسف من الانهزام . وغزا القرامطة غالب البلاد القرائية ورجعوا الى هجر بالغنائم قال ابو الفرج وفي سنة ٢١٥ ازال مونس الخادم شعره خوفاً من المتندر فاجتمع اليه الجنود وقالوا له لا تخف نحن نحارب عنك الى ان يبيت لك الحمية . ووجه له المتندر رقعة بخط يده يخلف له ان ما بلغته كان باطلاً فقصد مونس دار المتندر مع عدد من القواد ودخل اليه وقبل يديه وحلف له المتندر على طيب طويته فنحو « قلت ربما كان ذلك عن انهزامه من ابي طاهر . وفيها حارب عبد الرحمن الناصر الاموي صاحب الاندلس طليطله وبعد حصار طويل فتحها وخرب كثيراً منها . وفيها دخلت القرامطة الرحبة ونهبوا وسبوا . ثم ساروا الى الرقة فنهبوا ريفها ثم الى سنجار فطلب اهلها الامان فامنوهم . ثم نهبوا الجبال وغيرها من البلاد وعادوا الى هجر . وفيها عزل المتندر علي بن عيسى عن الوزارة وولاه ابا علي بن مقله

(وفي سنة ٢١٦) ظهر امر مرداويج بن زيار من الديلم وكان احد قواد اسفار بن شيرويه الذي فتح جرجان (سنة ٢١٥) فنهض على سيده وكان قد استمال اكثر العساكر اليه وقتله واخذ يفتح البلاد فملك قزوين ثم الري وهمدان وكنكور والدينور وبروجرد و قم وقاشان واصفهان وجرباذقان وعمل له سريراً من ذهب يجلس عليه ثم استولى على طبرستان

(وفي سنة ٢١٧) خلع المتندر وبويع اخوه محمد بن المعتضد ولقب بالقاهر وذلك لان المتندر كان قد جعل نفسه مبعوضاً من الجند والقواد لاستيلاء النساء والخدام على الامور واخذهم الاموال والضيايع وزاد ذلك وحشة مونس الخادم مع المتندر . فاجتمع الجند الى مونس وقصدوا دار الخلافة واخرجوا المتندر والدته وخالته وخواص جواريه واولاده وحملوهم الى دار مونس واحضروا محمداً وباعوه واشهدوا على المتندر بالخلع القاضي ابا عمرو ونهبوا دار الخلافة واخرجوا من تربة قد بنتها ام المتندر ستمائة الف دينار

وبعد خلع المتندر يومين في ١٧ محرم بكر الناس الى دار الخلافة حتى امتلأت الرحاب وكان يوم موكب ولم يحضر مونس وحضرت الرجال المصافية بالسلاح يطالبون بحق البيعة وعلت اصواتهم فارسل القاهر ياروك بطبيب خواطرم فقتلوه وهجموا على القاهر فهرب وتفرق الناس وخلت دار الخلافة فذهب الرجال الى دار مونس الخادم وطلبوا المتندر فسلمهم مطلوبهم فحملوا المتندر على اعناقهم واخذوه الى دار الخلافة ثم امر المتندر فاني بالقاهر فامته وقبله وعذره واعتقلوه عند والده المتندر فاحسنت اليه ووسعت عليه واستقر المتندر في الخلافة

وفيها قصد ابو طاهر مكة يوم التروية وكان الحجاج قد وصلوا اليها فتهب اموالهم وقتلهم حتى في المسجد الحرام . ودخل الكعبة وقلع الحجر الاسود من الركن ونقله الى هجر وقتل ابن محلب امير مكة واصحابه وقلع باب البيت واصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط ومات . وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين في المسجد الحرام حيث قتلوا وقسم كسوة البيت على اصحابه

وفيها وقع خلاف بين الحنابلة وغيرهم في بغداد على معنى الآية « عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً » فقال الحنابلة معنى ذلك ان الله تع يقعد الرسول معه على العرش . وقال الآخرون انما هي الشفاعة فاقبلوا ودخل في ذلك الجند والعامه وكان شر عظيم

وفيها اخرجت الرجاء المصافية من بغداد لاستطاعتهم على الناس وتمردهم من حين اعدوا المقتدر وتقاتلوا مع الجند وهربوا الى واسط فاستولوا عليها فقصدهم مونس الخادم وفرقه الصوائف

سار مونس (سنة ٢٩٦) من بغداد الى الفرات ودخل الروم من جهة ملطيه ومعه السلي فظفر وغنم واسروبعث المقتدر ابا القاسم بن سيما لغزو الصائفة (سنة ٢٩٨) وغزا في التي بعدها رستم امير الثغور ودخل في ناحية طرسوس ومعه دميانه وحاصر حصن ملج الارمني ففتح واحرقه . وتوفي (سنة ٣٠٠) اسكندروس بن لاون ملك الروم وخلفه ابيه قسطنطين ابن اثني عشرة سنة وسار (سنة ٣٠٢) علي بن عيسى الرزبري الف فارس لغزو الصائفة مدداً لبسر الخادم عامل طرسوس ولم يتيسر لهم الدخول في المصيف فدخلوا شاتية في كلب البرد وشدت ووغموا وسبوا . وغزا بسرا الخادم (سنة ٣٠٢) بلاد الروم ففتح وغنم وسي واسر مئة وخمسين ونحو التي راس . وفي التي بعدها انحازت الروم على ثغور الجزيرة ونهبوا حصن منصور وسبوا اهله لا شتغال عسكر الجزيرة بطلب الحسين بن حمدان مع مونس كما مر

وفيها خرج الروم الى ناحية طرسوس والفرات فقاتلوا وقتلوا نحو ست مئة فارس وقدم ملج الارمني الى مرعش فعاث في نواحيها ولم يكن للمسلمين فيها صائفة (في سنة ٣٠٤) سار مونس بالصائفة ومرّ بالموصل فقلد سبكاً المنجلي باربدى وقردى من اعمال الفرات . وقلد عثمان العبودي مدينة سنجار ووصفنا البكرى باقي بلاد ريعة وسار الى ملطيه فدخل منها وكتب الى ابي القاسم علي بن احمد بن بسطام ان يدخل من طرسوس في اهلها ففتح مونس حصوناً كثيرة وغنم وسي ورجع الى بغداد فآكرمه المقتدر وخلع عليه (سنة ٣٠٥) غزا الصائفة جنا الصفواني فغنم وغزا نالي الخادم في الاسطول فغنم . وغزا نالي في السنة التي بعدها بجرّاً وجنا الصفواني وفتح وظفرو عاد . وغزا بشر الافشين بلاد الروم ففتح عدة حصون وغنم وسي . وغزا نالي (سنة ٣٠٧) بجرّاً فلقى مراكب المهدي صاحب

افريقية فغلبهم وقتل جماعة منهم واسر خادماً له . وغزا محمد بن نصر الحماص (سنة ٢١٠) قالبة فاصابت من الروم وسار اهل طرسوس من ملطية فظفروا واستباحوا وغرامونس (سنة ٢١١) بلا الروم فغنم وفتح حصوناً وغزا نمالي بحرًا فغنم الف راس من السبي وثمانية الاف من الظهر ومئة الف من الغنم وشيئاً كثيراً من الذهب والفضة وجاء (سنة ٢١٢) رسول ملك الروم بالهدايا ومئة ابو عمر بن عبد الباقي يطلبان الهدنة وتقرير الندا فاجيبا الى ذلك، ثم غدروا بالصائفة فدخل المسلمون بلاد الروم فاتخذوا ورجعوا

وخرجت الروم (سنة ٢١٤) الى ملطية ونواحيها مع الدمستق وملج الارمني صاحب الدروب وحاصروا ملطية فهرب اهلها الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا . وغزا اهل طرسوس بالصائفة ففتحوا ورجعوا ودخلت سرية من طرسوس الى بلاد الروم (سنة ٢١٥) فوقع بهم الروم وقتلوا اربعمائة رجل صبراً وجاء الدمستق الى مدينة ديل وبها نصر السبكي فحاصرها وشدد حصارها حتى نقب سورها ودخل الروم اليها فدفعهم المسلمون وغنموا منهم اموالاً جزيلة ومن الغنم مائة الف راس فاكلوها . وخرج الدمستق (سنة ٢١٦) في عساكر الروم فحاصر خلاط وملكها صلحاً وجعل الصليب في جامعها ورحل الى بدليس ففعل كذلك وهرب اهل اردن الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا . وفيها ظهر اهل ملطية على سبعمائة من الروم والارمن ودخلوا بلدهم خفية وكان قد اساء تقدمهم ملج الارمني ليكونوا له عوناً اذا حاصروها فقتلهم اهل ملطية عن اخرهم . وبعث اهل الثغور الجزرية مثل ملطية وفارقين وآمد يستمدون المتندر في العساكر والا يعطوا الاثارة للروم فلم يمدهم فصالحوا الروم وملكوا البلاد . وفيها دخل منلج الساجي بلاد الروم . وغزا نمالي (سنة ٢٢٠) بلاد الروم من طرسوس ولقي الروم وهزمهم واسر ثلاثة الاف وقتل نحو ثلاثمائة وغنم من الفضة والذهب شيئاً كثيراً وعاد بالصائفة في ستة في حشد كثير . وبلغ عموريه فهرب عنها اهلها ودخلها المسلمون وغنموا واحرقوا ونوغلوا في البلاد يقتلون ويكتسحون ويغربون وعادوا سالمين وبلغت قيمة السبي مائة وستة وثلاثين الف دينار . وفيها راسل ابن الريداني وغيره من الارمن في نواحي ارمينية والحوا على الروم في قصد بلاد الاسلام فساروا وخرّبوا نواحي خلاط وقتلوا واسروا فسار اليهم منلج غلام يوسف بن ابي الساج من اذربيجان في جموع من المجند والمتطوعة فاتخذ في بلاد الروم حتى قبل ان عدد القتلى بلغ مائة الف وخرّب بلاد ابن الريداني ومن وافقه ونهب وقتل . ثم جاءت الروم الى سميساط فحاصروها وامدها سعيد بن حمدان وكان المتندر ولاء الموصل وديار ربيعة على ان يسترد ملطية من الروم فلما جاء رسول اهل سميساط اليهم اجفل الروم عنها فسار الى ملطية وبها عساكر الروم وملج الارمني صاحب الثغور الرومية فلما احسوا باقبال سعيد هربوا

وتركوها خشية ان يشب بهم اهلها وملكها سعيد واستخاف عليها وعاد الى الموصل (انتهى ملخصاً عن ابن خلدون)

و (في سنة ٢١٩) ارسل المقتدر عسكرياً لقتال مرداويج فالتقوا بنواحي هذات وانهزمت عساكر المقتدر واخذ مرداويج بلاد الجبل جميعاً ووصلت عساكره بالنهب الى نواحي حلوان ثم ارسل فاخذ اصنهان . وفيها حصلت الوحشة بين المقتدر ومونس الخادم في ذي الحجة فترك مونس بغداد (سنة ٢٢٠) مغاضباً واستولى المقتدر على اقطاع مونس وماليه واملاكه واملاك اصحابه وكتب الى ابنه حمدان امراء الموصل بعده وكان مونس ارسل خادماً بشرّاً برسالة الى المقتدر فسالة الحسين وزير المقتدر عن الرسالة فقال لا ابلغها الا الى المقتدر فشمته الوزير وشم مرسله وصادره بثلاثمائة الف دينار . فلما بلغ مونساً ماجرى بخادموه وهو بحدي سار نحو الموصل ومعه جمع من القواد فاجتمع بنو حمدان لصدده بثلاثين الفا . وكان مونس في ثمانمائة فارس فانتقلوا وانهزم بنو حمدان واستولى مونس على الموصل وعلى امواله وتوجه اليه كثير من العساكر من بغداد والشام ومصر لانه كان محبوباً منهم واقام بالموصل تسعة اشهر ثم انحدر الى بغداد ونزل بباب الشماسية وكان في نية المقتدر عدم القتال والذهاب الى واسط فاقنعه اصحابه بالمقاومة والركوب بشخصه الى القتال قائلين ان القوم متى راوه عادوا اليه فخرج وهو كاره وبين يديه الفقهاء والقراء والمصاحف منشورة وعليه البردة والناس حوله ووقف على رابية عالية ببعد عن الموقعة فارسل اليه قواده يبغون تقدمه ففعل ثم انهزم اصحابه فاراد الرجوع فادركه بعض المغاربة وشهروا عليه السيوف فقال ويلكم انا الخليفة قالوا عرفناك بانذل وضربه احدثهم بالسيف فقتله ورفعوا راسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه واخذوا جميع ما عليه حتى سراويله وتركوه الى ان مر به رجل من الاكره فغطاه اولاً ثم حفر له قبراً واراه وحمل راسه الى مونس فبكي ولطم وجهه ورأسه وانفذ من منع نهب دار الخلافة وهكذا انتهى امر المقتدر وعمره ثمان وثلاثون سنة وخلافته اربع وعشرون سنة وكان جميلاً ضخماً ثقیلاً الجثة

في خلافة القاهرة بن المعتضد (سنة ٢٢٠ - ٢٢٢ الى سنة ٢٢٢ - ٢٢٤) وهو التاسع عشر

وكان راي مونس الخادم عند ما قتل المقتدر ان يبابعوا ولده ابا العباس لانه كان ذا تربية حسنة وعقل وكرم ودين ووفاء اما اسحق التوبختي فقال كفانا ما قدمضي من خليفة له ام وخاله وخدم يسوسون الامور فاخثاروا لكم رجلاً كاملاً يسوس اموره وامورنا واخيراً اتفقوا على ابي المنصور محمد بن المعتضد وكان ذلك لتعس التوبختي كما سيأتي . فاتوا بابي المنصور وبابعوه في شوال ولقب القاهرة بالله وكان الامر ضد ارادة مونس باطناً لانه كان يعرف منه ما لا يعرفه الآخرون حتى انه

لم يركن اليه الى ان استخلفه لنفسه ومحاجبه بليق ولعلي بن بليق واستحجب القاهر بن بليق المذكور
ثم امر القاهر باستنباش اولاد المقتدر وحرمو وامر بامو وهي مريضة بالاستسقاء فساها عن ماها
فاقرت بالمتاع والثياب وانكرت المال والجواهر فضربت اشد الضرب وعلقت برجلها فخلعت منها
ما تملك شيئاً . ثم صادر جميع مقرني المقتدر وامر ببيع كل املاكه وفك وقوفها وسلك سلوك ظالم
مكروه وتوفيت ام المقتدر (سنة ٢٢١) ودفنت في تربتها في الرصافة . وفيها وقعت الوحشة بين
مونس الخادم والخليفة وكان بليق امير دار الخلافة فضيق على القاهر ومنع دخول اصحابه اليه
حتى النساء الا من كان يعرفها واقام وكيلاً على ذلك احمد بن زبرك واخيراً لم يعد القاهر قادراً
على الاحتمال فترع الى التدير والحمل وارسل الى الساجية وهم اصحاب يوسف بن ابي الساج
واستألم للقبض على بليق ومونس والوزير ابن مقله ولما بلغ ذلك ابن مقله اخبر مونساً وبليقاً
وابنه وانفق رايهم جميعاً الا مونس بخلع القاهر وقد اخبر القاهر بذلك طريف السبكري اذ استقدمه
اليه بزي امراءه وهم في الاجتماع وكان راي مونس عدم خلعه او افله محاسنته الى ان يمتلكوه ويكون
لم الفرصة على نوال اربهم . اما علي بن بليق فاعترض وقال ولماذا هذا التطويل ونحن اصحاب
الحجابة وهو في بدنا كالعصفور في القفص قال هذا ولم يكن يعلم ما اعد له القاهر من الكمين ثم
توجه ابن بليق ومعه جماعة وطلب الدخول على القاهر لامر يخلص انقراطة فلما دخل الدار قابضاً قبض
عليه فبلغ الخبر اباه وكان منقطعاً عن دار الخلافة لمرض حصل له فحضر ليخلص ابنة فصادف ما
صادفه ذاك وقبض على ابن زريك ايضاً . ثم ارسل القاهر يستدعي مونساً فامتنع فامنه وقال انه
يريد ان يبلغه ما حصل له ويستشير كوالد وانه لا يجب ان يفعل شيئاً الا براه فانخدع مونس
ومضى فقبض عليه . اما ابن مقله فاخفى وعزله القاهر واستوزر ابا جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله
وجد بطالب احمد بن المكتني الذي كان مرادهم ان يستخلفوه عليه فظفر به وبني عليه حائطاً فمات
ولما علم الجند قبض القاهر على مونس ثاروا وشغبوا وطلبوا اطلاقه فامر القاهر فذبح اولاً ابن
بليق وجعل راسه في طبق واخذ الراس الى ابيه فاخذ ابيه يبكي ويترشف الراس ثم امر به القاهر
فقتل وجعل راسه مع راس ولده في الطبق واخذ الى مونس فلما نظر ذلك مونس تشاهد ولعن
قاتلها فقتله ايضاً واطلعت الرؤوس الثلاثة وطوفت بها بغداد ونودي هذا جزاء من يخون الامار
ثم جعلت في خزانة الروهوس على جاري عادتهم ثم عزل القاهر ابا جعفر وولى الوزارة الخصمي ثم
قبض على شريكه في العمل طريف السبكري وكان من اكبر القواد . وفي السنة المذكورة كانت بداية
دولة بني بويه وهم ثلاثة اخوة . عماد الدولة علي . وركن الدولة الحسن . ومعز الدولة احمد . اولاد ابي
شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوي بن شيرزير الاصغر ابن شيركنده بن شيرزير

الأكبر ابن شيران شاه بن شيرفته بن بستان شاه بن شيرفروز بن شيروزيك بن سبسا بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك من ملوك الفرس . قال ابو الفرج قالوا ان ابا شجاع بويه كان متوسط الحال ورأى في منامه كانه يبول فخرج منه نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تطول السماء ثم تشعبت الى ثلاث تولدت عنها عدة شعب صغرى فاضات الدنيا بملك النيران فمضى بويه الى رجل يقول عن نفسه انه منجم ومعزم ومعبر الاحلام . فقال ذلك الرجل هذا منام عظيم لا افسره الا بنخلعة وفرس فقال بويه انا لا املك الا ما علي من الثياب قال المنجم فعشرة دنائير قال بويه لا املك دينارين فكيف عشرة ثم اعطاه شيئاً فقال المنجم اعلم انه يكون لك ثلاثة اولاد يملكون الارض ويعلو ذكركم في الافاق ويولد لهم من الملوك بقدر ما رايت في تلك الشعب فقال بويه اما تنجل من ان تسخر برجل فقير نظيري ونظير اولادي فقال المنجم اذكروا لي هذا اذا قصدتكم وانتم ملوك فاغناظ بويه وامر اولاده فصنعوا المنجم قال ثم خرج بنو بويه من الديلم وساروا الى مرداويج بطبرستان فقبلهم احسن قبول وخلع عليهم قال ابو الندى « وكان المذكورون في خدمه - ما كان - بن كاكي الديلمي ولما ملك من الديلم اسفار بن شيرويه ومرداويج ملك ماكان بن كاكي الديلمي طبرستان وكانوا من جملة عسكره متقدمين عنده . فلما استولى مرداويج على ماكان بيد ماكان بن كاكي من طبرستان صار ماكان عن طبرستان واستولى على الدامغان ثم انهزم وعاد الى نيسابور ومعه ابنا بويه ولما راوا ضعفه وعجزه عن مقاومة مرداويج قالوا نحن معنا جماعة وانت مضيعف والاصلح ان نفارقك لتخف المونة عنك فاذا صلح امرك عدنا اليك فاذن لهم ولحقوا بمرداويج وتبعهم جماعة من قواد ماكان . فاحسن اليهم مرداويج وقلد عماد الدولة الكرج فقوي وكثر جمعه ثم اطلق مرداويج لجماعة من قواده مالا على كرج فلما وصلوا لتبض المال احسن اليهم عماد الدولة واستألمهم فقالوا اليه حتى اوجبوا طاعته وبلغ ذلك مرداويج فاستوحش من ابن بويه

ثم قصد عماد الدين اصفهان وبها ابن ياقوت فاقتتلوا وانهزم ابن ياقوت واستولى ابن بويه على اصفهان وكان مع عماد تسع مائة رجل ومع ابن ياقوت عشرة الاف فعظم اسم عماد الدولة بهذا الفعل وقويت هيئته وراسله مرداويج بلاطه ليحضر اليه وذاك يعتذر واقام عماد الدولة شهرين باصفهان وجي الاموال وقام الى ارجان وكان قد انهزم اليها ابن ياقوت واسمه ابو بكر ثم انهزم منها بدون قتال فاستولى ابن بويه عليها (سنة ٢٢٠) ثم سار الى النوبندجان واستولى عليها (سنة ٢٢١) ثم ارسل اخاه ركن الدولة الى كازرون وغيرها من اعمال فارس فاستخرج منها الاموال . (وفي سنة ٢٢٢) استولى عماد الدولة على شيراز . وفيها قتل القاهر اسحق بن اسمعيل النوبختي وهو الذي اشار باستخلافه . وفيها خلع القاهر في جمادى الاولى لما ظهر منه من الغدر بطريف السبكري

وحثه في بين الامان للذين قتلهم وكان ابن مقله مستترا من القاهر يجتمع بالقواد وبغريم في ويرهم كيف انه غدر بمونس وبلق وولده وعدم الاعتماد على كلامه وتوصل الى ان رشا منجم سيما زعيم الساجية باثني دينار وهكذا معبر احلامه لكي يفيض اليه القاهر واخيرا بلغ مراده فانفق مع الساجية والنجيرية على خلع القاهر فبلغ الامر الوزير فارسل الحاجب سلاما والطبيب عيسى ليخبرا القاهر بالامر فوجداه نائما من شدة السكر ولم يقدر على الوصول اليه فادر كنه الجنود وسدوا عليه جميع المهارب فاتبه وهو مخمور فاراد الفرار ولات حين فرار فان الابواب كانت مشحونة فهرب الى سطح حمام فاخذه وسجنوه مكان طريق السبكي واطلقوا طريقا وسلموا عيني القاهر وكانت خلافته عاما وستة اشهر تقريبا ثم عاش خاملا الى ان مات (سنة ٢٢٨)

في خلافة الرازي بالله وهو العشرون (من سنة ٢٢٢ - ٢٢٤ الى ٢٢٩ - ٢٤٠)

ولما قبضوا على القاهر علموا منه مكان ابي العباس احمد بن المقتدر فاخرجوه واجلسوه على سرير الخلافة وبايعوه ولقبوه الرازي بالله وبايعه القواد والناس واستوزر ابن مقله اخذا برأي سيما القائد وحاولوا ان يخلع القاهر نفسه فامتنع وهو في الحبس اعمى

وتوفي المهدي عبيد الله العلوي الفاطمي بالمهدية واخيه ولده القائم ابو القاسم موته سنة وكان عمره ثلاثا وستين سنة وولايته اربعا وعشرين ثم اظهر ولده موته فبايعه الناس

وفيها قتل محمد بن علي الشلمغاني نسبة الى شلمغان تربة بنواحي واسطو وكان يذهب الى المثلول والتناخ وتبعه في ذلك عدد من اهل العلم والشهرة مثل الحسين بن القاسم وابو جعفر وابو علي بن بسطام وابراهيم بن ابي عون واحمد العبدوسي وكان الشلمغاني مستترا مع اصحابه فظهر وقبض عليه ابن مقله فانكر مذهبه اولاً وكان اصحابه يعتقدون به الالهية وهو ينكر ان يدعي ذلك واخيرا بعد استنطاقات متكررة قضى الفقه باباحة دمه فصلب وصلب معه ابن ابي عون واحرقا بالنار . ومن مذهبهم ان الله تعالى يحل في كل شيء على قدر ما يحصله ذلك الشيء والله خلق الضد ليستدل به على المضد فحل في ادم وفي ابليس وفي نوح وابليس وصالح وابليس عاقر الناقة وابراهيم وابليس ثم رود وهرون وابليس فرعون وسليمان وعيسى وعلي بن ابي طالب وبالستم وقال ان الدليل على الحق افضل من الحق وان الضد اقرب الى الشيء من شبهه ومن مذهبهم ان من احتاج الناس اليه فهو اله وقد طعن هو واصحابه بموسى ومحمد قائلين انها خائنان لان هرون وعليهما ارسل موسى ومحمد فخا ناهما وان عليا اهل محمدا عدة سني اصحاب الكهف وهي سنة ٢٥٠ فاذا انتقضت انتقلت الشريعة وكان يقول بترك الصلوة والصوم وكل التكليف من العبادات واباحة الفروج وان يجامع المرء من شاء من ذوي

رحموا وإنه لا بد للفاضل منهم ان يتخ المنفصل لكي يكسبه من فضلو وان من امتنع قلب في الدور الثاني امرأة

وفيها غزا الدمستق بلاد الاسلام وفتح ملطية بالامان بعد حصار طويل وفعل الروم ما يكره بالمسلمين وصارت اكثر البلاد في ايديهم

(سنة ٢٢٢) قتل مرداويج الديلي وكان قد تجبر وعنا وعمل لاصحابه كراسي من فضة ولتفسد تاجاً مرصعاً على صفة تاج كسرى فقتله الاتراك الذين في خدمته لانه كان يحنقرهم ويهينهم حتى انه يوماً امر بوضع سروج خيلهم عليهم لانه اغناظ من صهيلها واصواتها وبعد قتله خلفه اخوه وشكبير بن زبار

وفيها عظم امر الحنابلة وتردوا فكانوا يكسبون دور القواد والعامه وحيثما وجدوا خمرًا اراقوها او مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا في البيع والشراء وفي مشي الرجال مع الصبيان فازعجوا بغداد وركب صاحب الشرطة ونادى بمنع تجمع الحنابلة وبان لا يصلي منهم امام الا اذا جهر بالبسملة فلم ينفذ ذلك فيهم . فاخرج الرازي حينئذ توبيخاً فيهم وبنكر عليهم افعالهم واعتقادهم التشبيه ومن جملة قوله « انكم تارة تزعمون ان صورة وجوهكم القبيحة السخنة على مثال رب العالمين وهيتكم على هيئته وتذكرون له شعر القحط والكف والاصابع والرجلين والنعلين والصعود الى السماء والتناول الى الدنيا فلعن الله شيطاناً زين لكم هذه المنكرات ما اغواه واني اقسم بالله جهداً اليه يلزمي الوفاء بها لكن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم هذه لاوسعنكم ضرباً وتشديداً وقتلاً وتبديداً ولاستعملن السيف في رقابكم والنار في مناركم ومحالككم »

وفيها تولى الاخشيذ وهو محمد بن طغج بن جف والي مصر من طرف الرازي وكان الاخشيذ تولى الرملة (سنة ٢١٦) من قبل المقتدر فبقي نحو ستين . ثم ولاه المقتدر دمشق فسار اليها وكانت مصر وقتئذ بيد احمد بن كيغلق فالرازي عزل ابن كيغلق وولى الاخشيذ وعاد الاخشيذ والياً في الشام ومصر وتوجه الى مصر (سنة ٢٢٢) وتسلمها

وفيها قتل ناصر الدولة المحسن بن عبد الله بن حمدان امير الموصل وديار ريعة عمه ابا العلا بن حمدان وكان السبب ان عبد الله ابا ناصر الدولة المذكور المكى بابي الهيماء الذي كان يحكم الموصل كان يدافع عن القاهرة لما قاموا عليه وقتل في تلك المدافعة وكان ابو الهيماء المذكور قد استناب ابنة ناصر الدولة فاستمر بها الى هذه السنة فضمن عمه ابو العلا بن حمدان ما يده من ديوان الخليفة بال بحملة وسار ابو العلا الى الموصل فقتله ناصر الدولة فارسل الرازي عليه عسكرياً مع الوزير بن مقله فهرب ناصر الدولة واقام ابن مقله مدة في الموصل ثم رجع ثم تسلم ناصر الدولة مع الخليفة وضمن الموصل

بمال بمحلة كل سنة

وفيها ارسل القائم العلوي صاحب المغرب عسكرياً في البحر من افريقية وفتح جنوه ووقع باهل
سردنيه ورجع العسكري سالمًا غانمًا واستولى عماد الدولة بن بويه على اصفهان وكان هو وشمكير بن
زيار يتنازعان البلاد اي اصفهان وهمدان وقم وقاشان وكرج والري وكنكور وقزوين وغيرها .
وشغب المجند ببغداد وتقبل دار الوزير فهرت هو وابنه الى الجانب الغربي ثم راضوم فسكنوا
(في سنة ٢٢٤) قبض الحجزية والمظفر بن ياقوت على بن مقله براي الخليفة واستوزر واعلي
بن عيسى فامتنع فولوها اخاه عبد الرحمن ثم قبضوا عليه وولوها ابا جعفر محمد بن قاسم الكرخي
وفيها قطع ابن رائق حمل واسط والبصرة وقطع البريدي حمل الاهواز واعمالها فضايق الامر
على الخليفة وعجز ابو جعفر الوزير فعزلوه واستوزر واسليمان بن الحسن فلم يحسن الامر فالتمز الرازي
ان يقلد اماره الجيش لابي بكر محمد بن رائق وجعله امير الامراء وولاه الخراج والمعادن والدواوين في
جميع البلاد وامران يخطب له على جميع المنابر وبطلت الوزارة من ذلك الوقت فان الوزير لم يكن
ينظر في شي بل رايق وكاتبه وهكذا كل من تولى تلك الرتبة بعده وكانت تحمل اليه الخزائن فيتنصرف
بها كيفما شاء ويطلق للخليفة ما يريد . وهذه هي الخطوة الاولى المهمة التي فصلت بين الولاية والامامة
فكانت الولاية في يد امير الامراء والامامة في يد امير المؤمنين ومن حين ما دخل ابن رايق بطلت
قوة الخليفة الزمنية وصار الامر له وتغلبت عمال الاطراف عليها واستوزر (سنة ٢٢٤) ابن رايق
محمد الفضل بن جعفر بن الفرات وكان على خراج مصر والشام فقدم بغداد وتولى امر الوزارة
لابق رايق والخليفة

واشار ابن رايق على الخليفة (سنة ٢٢٥) بان يرافقه الى قتال ابن البريدي فاجابه وسارا
الى واسط وامسك ابن رايق بعض الاجناد الحجزية ثم اجاب البريدي الى ما طلب منه فرجع
الراضي وابن رايق الى بغداد . ثم نكت البريدي فارسل ابن رايق مع يحكم او يحكم عسكرياً وقتلوه
فانهزم ابن البريدي الى عماد الدولة ابن بويه وطبعة بالعراق . وفيها عصت جرجنت في صقلية
على سالم بن راشد عامل القائم العلوي لانه كان قد اساء التصرف فكتب الى القائم فبعث اليه
عسكرياً وحاصروها فاتجبا الاهلون الى ملك الروم فالحام (ودام الحصار الى سنة ٢٢٩) فرحل
بعض اهلها واستامن الباقون فاخذوا كبارهم وجعلوهم في مركب لياخذوهم الى القائم ولما توسطوا للبحر
تقبل المركب بامر قائد جيش القائم فغرقوا جميعاً فيها من خيانة لائقة بالبرابرة)

والان قد بلغنا الى اخر الربع الاول من القرن الرابع فاردنا اخذ خلاصة لكل ما تقدم في فصل
مختص يستغني بها التاريخ عن مراجعة كل ذلك لنعام الفائدة المتصودة

فصل

في خلاصة تاريخية لما تقدم ما ذكرنا وسقط ذكره

لقد وصلنا الان الى اخر الربع الاول من القرن الرابع للهجرة وقد قام على تخت الخلافة الاسلامية اربعون خليفة من عهد ابي بكر السديق الى الرازي فاذا حسبنا محمداً وولده ابراهيم الامام من بني العباس كانوا اثنين واربعين وذلك اكثر من نصف الخلفاء العربيين لان جميعهم يبلغون سبعة وسبعين في المشرق . وقد لعبت الامة العربية دوراً مجيداً في ملعب هذا الوجود وتغلبت على ممالك عظيمة واقامت على اثارها سلطنة لم يذكر التاريخ اقدر منها . وقد كانت هذه الامة في الاعصار القدية حاملة الذكر منقطعة عن بقية الناس والامم في اماكن اذا استثنيت القليل منها كانت قفاراً وحزناً محترقاً . فكانها كانت ميتة الى ان ظهر الاسلام فسمعت فيها الحية دفعة واحدة وخرجت من قفارها واراخي انزوائها غامرة وجه الباطنة لا يقاومها شي ناشرة الوجة قوتها ودينها ثم علومها وتمدينها حتى اذا بلغت الحدود المفروضة لما من الخالق عز وجل توقفت ثم اخذت بالانحطاط درجة فدرجة تاركة اثاراً عظيمة للتاريخ وغيره الى ان رجعت الى تلك البوادي كان لم يكن شي لا مفعولاً هكذا سنة الله في خلقه . على ان مع ضعف العرب وانتهاء ملكهم وتداخل الاغراب من اترك وغيرهم في امورهم فان دينهم لم يضعف وقد قدر على امم ثانية من اولئك المبعدين عنهم ان يحملوا لواء الاسلام بعد قرون عديدة .

والان اذ قد اتينا الى توقف القوة المذكورة وابتنائها بالتهرة فلنراجع باختصار ملخص اعمالها وحوادثها في المدة المذكورة مما سقط ذكره لحد الان او كان تكراره واجباً لحفظ اتصال السلسلة التاريخية فنقول

لما نهض بنو العباس على تخت الخلافة الاسلامية ووقع السيف في بني امية فلم ينح منهم الا عبد الرحمن الداخل كما سلف واستولى على الاندلس انقردت اسلام اسبانيا عن سوام من المسلمين وتجردوا لحروب الامم المتاخمة لم مثل شعوب بلاجيوس ونسله وشارلمان ملك الفرنج وغيرهم واخبارهم في ذلك طويلة تطلب في المطولات التاريخية

ثم من اسلام اسبانيا اتشر روح الشرف والاريجية في اوربا وما يعبرون عنه بين العامة بالاشبهية فان العرب كانوا يمتازون في كل مكان عن سوام برقتهم وانسانيتهم وجرائمهم وغنوم عند المقدرة وعلو سياستهم وحبهم وكرمهم كما ندل عليه التواريخ واودعته اشعارهم الكثيرة

وكان ما وجده العرب من الثروة والغنى في الممالك المفتوحة شرقاً وغرباً وفي الجبايات والخزاج المجموع من النصارى واليهود وغيرهم قد جعلهم في اوج الاستبداد والنعمة وبدأ من ثم الاسراف

والبدخ بين صغيرهم وكبيرهم وتميزت دولهم بالكرم والترف ونضارة العيش وارتاحوا للحياة الرفاهية ونعيم الدنيا وكانوا يذبلون الاموال في خواصهم وقصورهم وجوامعهم وحجهم ونحو ذلك . ومن بعد فتح سورية والعجم وموريتانيه وبعض الهند والتركستان والاندلس عادت تجارة العرب ذات اهمية فانهم سعلوا في احداث محطات تجارية في ممالكهم وسهل ذلك كله كونهم من دين واحد ولغة واحدة فما كان بدخ حكومة بغداد كما تقدم الا من الاسباب المساعدة لتقدم التجارة وامتداده ومعاطاة الاسفار بينهم وبين الهند من الجبل التاسع للنصرانية وطلق العرب يقطنون في تلك النواحي ودخل كثير من الهنود في دين الاسلام وامتد العرب ايضاً في الجزائر الهندية كسيلون وسومطره وجاءه وقلباس الى الصين وتقدمت القوافل العربية براً الى التتيرة وشمال سيبيريا وتوصلوا من جهة افريقية الى نهر نكر واخذت من الجبل العاشر تناسس دولهم في غاته ودنكره وتكرور وكوكو وبعده في سنار ودرفور وبرنو وتمبكتو ونحوها وجاءوا من باب المندب على سواحل افريقية الى زنجبار واقاموا مواقيم مكشوفة وميلنده وصوفله وكيلاو ومزمبيق الى مداكسكر ولا يبعد ان يكون عرب لوزيتانيه هم الذين اكتشفوا اميركا في الجبل الحادي عشر

وكان الخلفاء الاول غير قادرين على افناء تلك الثروات في اول الامر لعدم وجود اسباب يذبلون فيها غنائم ولان عوائدهم القديمة كانت بسيطة لا تقتضي ذلك لكن لما كانت الكرم خلة طبيعية في العرب لم يلبثوا طويلاً حتى وجدوا طرقاً لتبديد كل ذلك فابتدا الاسراف من لدن عثمان فان ذاك الامير لم يكن عنده بشيء اعطاه نصف مليون دينار في مرة واحدة والوليد بن عبد الملك انتق في بناء جامع دمشق ملايين من الدنانير وعلى ما نقله ابن خلدون كان اربعمائة صندوق من المال في كل صندوق الف واربعماية الف دينار وهذا وان كان من المبالغت الظاهرة المؤسسة على الاستعظام فانه لم ينتق اقل من مليون ونصف مليون دينار في عامه والمنصور بعد ان صرف مبالغ على بناء بغداد وقصورها وعلى حججه الاخيرة ترك نحو ثلثين مليون ليرة انكليزية . وقد تقدم كيف ان ابنة المهدي صرف نحو ستة ملايين جيه في حجة واحدة الى مكة واقام في كل طريقه نحو سبعمائة ميل منازل وخانات ونحوها وكان اول من ادخل الثلج الى الحجاز والمأمون قبل ان يحول عن جواده في دمشق انتق اربعة اخماس دخل بعض الولايات نحو مليونين واربعماية الف دينار (نحو ذلك ليره افرنسية) . وانتق في دخوله على بوران مالا جزيلاً . وكان على راس الملكة مائة جوهرة ثمينة . وفيما يذكره ابو الفدا عن اسراف المتقدر ودولته عند قدوم رسل ملك الروم (سنة ٣٠٤-٣١٤) ما يغني عن البرهان قال « قدم رسل ملك الروم الى بغداد . فلما استقضروا عبي لهم العسكر وصفت الدار بالامثلة وانواع الزينة . وكان من حملة العسكر المصنوف حينئذ مائة الف وستون الفا ما

بين فارس وراجل . ووقف الغلمان الحجرية بالزينة والمناطق الجميلة ووقف الخدام المخصيان كذلك وكانوا سبعة آلاف اربعة آلاف خادم ابيض وثلاثة آلاف اسود . ووقف الحجاب كذلك وم حينئذ سبعمائة حاجب . والقيت المراكب والزوارق في دجلة باعظم زينة . وزينت دار الخلافة فكانت الستور المعلقة عليها ثمانية وثلاثين ألف ستر منها ديباج مذهبة اثنا عشر ألفاً وخمسمائة . وكانت البسط اثنتين وعشرين ألفاً . وكان هناك مائة سبع ومائة سبع . وكان في جملة الزينة شجرة من ذهب وقضة تشتمل على ثمانية عشر غصناً وعلي الأغصان والقضبان الطيور والعصافير من الذهب والفضة والأغصان تماثيل بحركات مصنوعة والطيور تصفر بحركات مرتبة وشاهد الرسول من العظمة ما يطول شرحه واحضر بين يدي المتقدرا .

وكان لكل من الخلفاء اعمال وابنية عظيمة بذلوا عليها خزائن من الاموال فان المتوكل انفق في بناء القصر الجعفري في المتوكلية نحو مليون دينار ولم يكن مثله في علوه ويعرف بقصر اللؤلؤة وقد اجري اليه الماء من نهر احنرفه لهذه الغاية

ولم يكن بنو امية في الاندلس باحكم من العباسيين في بذلهم وعظمتهم فعبد الرحمن الداخل انفق مبالغ في اقامة جامع قرطبة وقصرها قيل مائة الف دينار وقيل مائة وثمانين ألفاً وانه دفع قيمة الكنيسة التي اقام عليها المسجد ثمانين ألفاً وكان الجامع المذكور قائماً على ستائة وخمسة وستين عموداً من المرمر واليصب والرخام الاسود وقد اكمله ابنه هشام بعده ونصفه لم يزل الى الان وقد اضيف الى الكاندره وفيما فعله عبد الرحمن الناصر وتركه كنزاً جليلاً من البناء وهو قصر الزهراء الفخر الابنية العربية ما يفوق كل ما ذكر وكان ذلك القصر في الزهراء التي احدها هذا الامير على بعد ثلاثة اميال من قرطبة وكان في وسط جنان نضرة جميلة وصرف على ذلك من الزمان نحو خمس وعشرين سنة ومن المال نحو ثمانية عشر مليون دينار واستخدم لبنائه اعظم مهندسي العصر ونحاتي الروم وبنائهم . وكان اكثر من الف ومائتي عمود من الرخام الاسياني والافريقي والاطالقي واليوناني تزين تلك المشيدات . وكان الابواب منطلقاً بالذهب والحجار الكريمة . وكنت نشاهد على البركة المائية التي في الوسط صور طيور وحيوانات محكمة الصنعة بما لا مزيد عليه . وكان يرى في القصر الاشرف فيما بين الجنان بركة من المرمر الثمين محكمة الصنعة مملوءة بالزبيب الصافي عوض الماء . وكان يقيم في ذلك القصر من خدم وماليك وغيرهم ستة آلاف وثلاثمائة . وكان عند ما يركب الناصر الى الغزو يركب الى جانبه اثنا عشر ألف فارس بالمناطق والسيوف الذهبية وسندكر بعض اخباره في الجزء الثاني وقس على ذلك من البذل المفرط الذي عم الدول العربية في كل مكان من ممالكهم وكانت حواشيهم وخدامهم سائرين على اثارهم

وفيما يذكر عن البرامكة وغيرهم ما يدلنا على ذلك

فاضت على ممر الزمان هذا البدخ والاسراف قوة الخلفاء . وسن لخدامهم ورجالهم سنن الراحة والنعيم فعادوا يوثرون الشغل والتجارة والتمتع بانعامهم والسكى بسلام على المحروب وفتح الممالك . وفترت فيهم الحماسة الاولى ولا سيما في الاندلس فان عدالة حكم الامويين وحمايتهم العلوم والصنائع والتجارة واطلاقهم حرية الاديان اوصلت اسبانيا في تلك الاجيال الى سرة السعادة . وتضررت من ذلك النصرانية لامتزاج الاهالي بالمسلمين حتي عادوا يتزاوجون بين بعضهم وكثير من الاهليين اخناروا القران على الانجيل وصارت قرطبة مقر العلوم والآداب والبلاغة والصناعة والتجارة والزراعة واثرت خصال العرب جدا في اطباع الاسبانيين المتنازلين عن اهل قرطاجنة والرومان والوندال والقوط وغيرهم كالجراة والمغائرات وحب النساء الذي امتاز به سكان القفار العربية . وتنازلت تلك المملكة من عبد الرحمن الداخل الى بنو . وخلقة اولاً ولده سليمان ثم تغلب عليه اخوه هشام بعد حرب شهيرة في بلن من الاندلس على ان الاسراف المذكور وتورهم العرب كما تقدم لم يتم في مدة قصيرة فانه لم يكن ينقصهم رجال يحبون المخاطرات والفتوحات في كل زمان فان هشام بن عبد الرحمن الداخل جهز عبد الملك احد اقواد الشهيرين وبعثه بعسكر عديد الى محاربة جيرانه وفتح اربونه وتقدم الى نربونه وحاصرها وفتحها عنوة واسر ما بقي من الاسبالي واتي بهم الى سيرقوسة ثم الى قرطبة وشغلهم في بنايات المدينة وترك نربونه خراباً ولما عجز العرب عن فتح اسطورية التي كانت انتضت عليهم في عهد الفونس الملقب بالعفيف وقطعت عنهم المائة جارية التي كانت ترسلهم اليهم نظير خراج سنوي بعد ان خسروا في حروبهم معها نحو سنين ألفاً في مروج بلندوليد تجرد منهم قوم غنير للاخذ بالثار فان العرب من طباعهم الانتقام فكانوا يتجاوزون تخوم ملكهم ويشنون الغارات على المدن والنفور فغزوا بروونسه وقسموا من ايطاليا وداوموا هذه المهنة مدة قيامهم في اسبانيا وكان اكثرهم من عرب افريقية

وهشام بعد ان حكم نحو سبع سنين توفي كما تقدم وبويع لولده الحكم وهذا بعد ان طرد عيو اللذين كانا قد تمضا لمحاربته وساعدها عرب افريقية استبد في الامر وسار على اثار آباءه فحارب جزيرة كورسكة وفتحها ثم لزم السلام كل ايام حياته

وفي عهد المامون وميخائيل بليوس فيصر الروم فتح المسلمون جزيرة كريت (افرطش) وصقلية ولم يكتب مورخوم الا قليلاً عن الاول لجهلهم قدرها وما كانت عليه يوماً وعظمة ملوكها مثل جويتر (المشتري) ومينوس فان الاول قد رفقوا الى درجة الهة . والثاني الى رتبة قاضي قضاة الاخرة قال ابن خلدون ما معناه انه بعد ما فتك الحكم بن هشام الاموي باهل الرض

المجاور قصره في قرطبة لانهم ثاروا به (سنة ٢٢٢ - ١٤٦) ووقع بهم الوقعة الشهيرة وهدم ديارهم ومساجدهم واجلى الغل منهم الى بر العدوى فنزلوا بناس وغيرها وغرّبت اخريين الى اسكندرية فنزلوا وتفرقوا في جوانبها تلاحى رجل منهم مع جزار من سوق الاسكندرية فنادوا بالنار واستحموا كثيراً من اهل البلد واخرجوا بقيتهم وامتنعوا بها وولوا عليهم ابا حفص عمر بن شعيب البلوطي ويعرف بابي الفيض من اهل قرية مطروح من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة فقام برباسهم وكان على مصر يومئذ عبد الله بن طاهر فرحف اليهم وحاصروهم بالاسكندرية فاستامنوا له فامهم وبعثهم الى جزيرة اقريطش فعبروها وامبرهم ابو حفص البلوطي وتداولها بنوه من بعده مدة مائة واربعين سنة الى ان ملكها اربانوس بن قسطنطين ملك القسطنطينية من يد عبد العزيز بن شعيب من اعقايه (سنة ٣٠٥ - ٩١٧) اهـ وهي جزيرة ما بين صقلية وقبرس بمقابلة الاسكندرية اما مورخو الروم فنقلوا لنا ان جماعة من الاندلس تركوا بلادهم لعدم استحبابهم هواها وحكمها ودوخوا يطلبون لهم محلاً اقرب لذوقهم ودعوا بقراصان (اي اصوص بحر) فانه لم يكن لهم اولا غير عشرين سفينة وكانوا يستيحيون غزو املاك العباسيين لانهم كانوا من الحزب الايض والعباسيون من السود فقصدها اسكندرية مصر ودخلوها غدرًا وقتلوا الصديق والعدو ونهبوا الجوامع والكنائس وباعوا ستة الاف اسير نصراني ولم يزالوا هناك الى ان بلغهم مجيء المأمون بالعساكر فعملوا ما وجدوه من ثمن وخفيف ونزحوا قبل وصوله

ثم غزوا من النيل الى مضيق كاليبولي كل الاماكن المخصصة بالروم والعباسيين ولما راوا حسن كريت بمرورهم بها وكثرة خصمها رجعوا اليها باربعين سفينة ودخلوها دون خوف ونهبوها وفي رجوعهم ايعبوا سفنهم بالنهب وينطلقوا وجدوا انها كانت قد احترقت لان ابا كعب رئيسهم احرقها هو نفسه كما اقر لهم حتى استجبت بعضهم والبعض استخانوهُ ونحو ذلك . ولما كثرت المذاهب فيه انتهزم قائلاً اني جئت بكم الى ارض يفيض منها اللبن والعسل فهذه هي مقركم فانسلوا الان قفاركم التي ولدتم فيها واتخذوا لكم مسكناً ووطناً . فاجابوه واولادنا ونساونا . قال فالعذارى اللواتي اسرتموهن يقمن مقام نسائكم ومنهن ترزقون اولاداً فاستصوبوا رايه ولبثوا هناك . ومن غاب واجام جبل ادة بنواهم غير مراكب وداوموا الغزو غير مباينين بعارات الروم مدة مائة واربعين سنة واستوطنوا اولاً عند خليج سوره واحاطوا المكان بسور وخذقوا وبقي هناك الى ان هدام الى مكان اجسن في الجانب الشرقي راهب كان قد اسلم ودعى ذلك المكان من ثم خندقاً ثم اطلق هذا الاسم على كل الجزيرة ومن هذا جاء لفظ كنديا عند الافرنج ومن المائة المدينة التي كانت في عهد منيوس لم يكن وقتئذ سوى نحو ثلثين كلمة خضعت لم الاقيدونيا فانها قاومتهم وحفظت حريتها ودينها .

ثم فتح الافريقيون صقلية وكان يحكمها الامراء الاغليون حكام افريقية ومن موالي تونس وبيزرت وبلغم قلعت اساطيل العرب وغزت مائة وخمسين مدينة من كلابريا وقومبانيا في ملك نابلي ونهبته غير اماكن من ايطاليا حتى اطراف رومه العظمى ولو كان الاسلام وقتئذ في اتحاد لامكنهم فتح ايطاليا كلها ولكن قوة العباسيين كانت قد ضعفت في المغرب واستبد الاغليون والفاطميون في افريقية وكانت صقلية نفسها تحاول الانسلاخ والاستقلال عنهم . هذا ولم يكن عملهم ذلك بقصد الافتتاح والتملك بل على سبيل الغزو والنهب طبق عوائد اجدادهم في البادية

وكانت ايطاليا ترعد عند استماع ذكر العرب ورومه العظمى ترتجف اذ ترى ان الداء عاثها انما اتى اليها قبلاً من افريقية ولم يكن خوفها من اعدائها المحدثاء اقل منه من القدماء

ففي (سنة ٢٢٢-٨٤٦) تجاوز عدد غنمهم من مراكب المسلمين ودخلت نهر طيباربوس ورست عند رومه ونهب المسلمون بعض الكنائس واخذوا مذبحاً من فضة من كنيسة مار بطرس الشهيرة ولم يهدموا ولا احرقوا شيئاً لعدم اتفاقهم وقد كان في امكانهم ذلك لان الرومان تركوا لهم الاماكن خالية وهربوا . ومن هناك اخذوا طريق آنيا ونهسوا فوندى وحاصروا غايتا من اعمال نابلي وداوموا على زيارة المدن المطهرة واهل رومه يرتعدون من ذكرهم واستجدوا بالفرنسيين ولكن شرذمة صغيرة من العرب هزمت عساكر فرنسا . ولما رأى الرومان ما حل بهم من الضرر ونعاسة حالهم ارادوا الرجوع الى سلطة ملوك القسطنطينية انما لعدم الاتفاق واضعف تلك المملكة ايضاً لم يتم ذلك

وفي هذه الاثناء والمصائب محيطة بالرومان من كل جانب توفي البابا وكان متسلطاً وقتئذ على الزمريات فظن في اول الامران بموتو ستزداد البلوى غير ان الدواعي المحاضرة حينئذ جعلتهم يتحجبون من هواهل لتخليص الملك فاقاموا ليون الرابع الروماني المولد وهو بحسن سياسته وجراوته استخلص رومه وكل النصرانية من رق العرب وكان اول اهتمامه بتطهير ما تبقى من الذخائر والاثار القديمة ووضعها في مكان امين ثم باجراء الصلوات العمومية والتطوافات والاحتفالات الدينية فاحيا بذلك الدين الذي كان قد ضعف في قلوب المومنين وحرك في الاهالي روح الاشبهية والشرف واضرم في قلوبهم نيران المدافعة عن معتقد ابائهم ثم تحصين اسرار المدينة المهمة من قديم واقام اثنتي عشرة قلعة في الاماكن التي كان تجاوزها ممكناً وجعل قلعتين على حافتي نهر طيباربوس بينهما سلاسل حديدية تمنع تقدم العدو وقد تمكن من كل ذلك لمصيبة كانت حلت بالعرب فاخرت رجوعهم وهوانهم لما رفعوا الحصار عن غايتا وركبوا البحر تحركت عليهم امواجه وهاج العاصف بهم فابتلع اكثر تلك السفن واصحابها اما الامير الاغلي سلطان افريقية فلم يكن قد اكفى بما سبق فارسل

عمارة أخرى وعسكرًا غديرًا فقاموا من افريقية الى سردينيا وبعد ما اقاموا مدة في مراسيها نهضوا منها وساروا حتى وصلوا الى مصب نهر رومه وكان على ما ظهر من كثرة عددهم وعددهم ان مرادهم الافتتاح هذه المرة لا الغزو فقط وكان البابا ليون الرابع قد اتم الاتحاد بينه وبين نابلي وغايتنا وامالنا الخاضعة وقتئذٍ بالاسم للملك الروم فعند وصول العرب جاءت سفن المدن المذكورة وحلت بفرضه اوسطيه وهي فرضة رومه قديمًا وقد هجرت لرداءة هوائها. وكان على اشارة تلك العمار قيساريوس ابن دوقه نابلي من الابطال المشهورين وكان قد حارب عمارة العرب قبلاً واستظهر عليها فنهض قيساريوس المذكور وذهب صحبته بعض اعيانوا الى رومه ودخلوا على البابا وكان وقتئذٍ في البلاط اللاتراني وبعد المداولة نهض ليون وسار على رؤوس العساكر الرومانية الى اوسطيه المذكورة وغلبان حضروا القداس وتناولوا القربان المقدس ومنهم ليون البركة الرسولية وجه خطابه الى العلاء قائلاً «اللهم كما انك اعنت وخلصت السليحين بطرس وبولس من امواج البحر خالص واحفظ الان بقدرتك اذرع هؤلاء المجاهدين عن اسمك القدوس» وبعد ان استغاث المسلمون بالعزة الالهية وروحانية الرسول اخذوا بمصادمة سفن العدو وكانت سفن النصارى بعزل عن الريح ومحصنة ضمن المينا فلم تكن سفن المسلمين قادرة على صدامها بدون التقدم نحوها وكان الوجه اجمالاً للطلليان الا انه قبل تمام الظفر بيد البشرهبت ربح عاصفة فازعجت البحر وامواجه وضربت تلك الامواج المخلطة مراكب المسلمين من جميع الجوانب فاعدمتها الحركة الاختيارية وتكسر كثير منها كل ذلك وسفن النصارى آمنة في مراسيها. واخيراً انجلى الامر عن ظفر النصارى وما بقي من تلك السفن الاسلامية وقعت في ايديهم فقبضوا على من فيها من الرجال واقعدوا بهم دون شفقة وايقول منهم عدداً وافراً ليقبضوا ما كانوا هدموه واخربوه ثم انطلق البابا مصحوباً بالعساكر المتحدة واهل رومه الى قبري السليحين بطرس وبولس وقدموا الشكر لله الذي نصرهم على اعدائهم ورفعوا من الكسب ثلاثة عشر قضيبياً من الفضة شبه القناطر وعلقوها على هيكل ماري بطرس

وكان ليون كل حيانه مجتهداً في تزيين رومه واصلاحها وترميم خراباتها وكنائسها الى غير ذلك وبعد من فضلاء الباباوات نظراً الى غيرته وكرم خصاله. ومن جملة ما زين به كنيسة ماري بطرس تلك الاوعية الذهبية نحو مائتي اوقية المنقورة عليها صورته وصورة قيصر محاطة باكليل من لؤلؤه. وبعد ان قبل ليون اناساً نزحوا من كورسكة التي كانت حينئذٍ في يد العرب وغيرهم من المغرب وقدم لهم المساعدات اللازمة فانزل بعضهم بقرب نهر طيباريوس والبعض وهم الاكثر بقرب ماري بطرس اقام سوراً للكنيسة المذكورة وحصن المكان واطلق من ثم على ماري بطرس والقصر الباباوي الذي بقربه وهو الوايتكان اسم مدينة ليون

هذا ما كان في المغرب واما ما كان في المشرق فان طيوفيل بن ميخائيل يلبوس ملك الروم واشد امراء اليونان في عصره نهض ضد العرب وركب عليهم بنفسه خمس مراكب وطاراً مدافعاً وتارة مهاجماً وكان موقراً من اعدائه حتى في وقت الهزيمة واخيراً دخل الشام وحصر مدينة زبطره المجهولة حيث ولد المعتصم ولاشتغال الاسلام وقتئذٍ بمحاربة بعض الانبياء الكذبة من الفرس لم يتجهوا اليه فامر باحراق المدينة المذكورة وبان يتطعموا بعض اعضاء سكانها ويضعوا اكل منهم علامات بقصد الانتقام . وكان المعتصم في مدة خلافة اخويه الامين والمامون متولياً على الاناضول وازمينية والكرج والشركس ولما كانت هذه في اخر حدود الروم كان قد تعلم ما تحمله في الحروب لحفظها الجراة وفن الحرب وكان من ابطال زمانه وقد لقب بالمشين لانه انتصر ثمان مراكب وقيل لانه الثامن من العباسيين ولخلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام وتركه ثمانية بنين وثمانية بنات وثمانية الاف عبد وثمانية ملايين ذهب وقد سبق ذكر بعض ذلك فعزم المعتصم اخيراً على اخذ النار ورفع العار ولا سيما لما اخبر انه عند حريق زبطرة سمع صوت امرأة من قومه تقول آه وامعتصماه فامر بمشيد العساكر العراقية والشامية والمصرية ويجمع عسكر جديد من العرب والأتراك قيل ان عدد الفرسان كان ثلثمائة وثلثين ألفاً وان جبهة العساكر كلفت عشرة ملايين ذهب وبعد ما اجمع على السفر نهض بالعساكر الى طرسوس ومن هناك انقسمت ثلث قسم ذاهبة الى الروم وكان ولد اخيه العباس معه في موخرة القوم وهو في الوسط والافشين خيذر بن كاوس في الامام . وكان فكره اخذ ثاره اولاً بمثل ما افترى عليه وهو خراب مدينة عمورية حيث ولد ابن طيوفيل وكانت المدينة المذكورة من فريجية مهد العائلة المالكة وبعد القسطنطينية في المقام فحاصرها المعتصم بعساكره . وكان راي وزراء القسطنطينية في اول الامر ترك المدينة والقيام عنها اما طيوفيل فابي الا القتال وبدت الحرب . قال اهل الدقة والتحصن من المؤرخين ان لا العرب ولا الروم نالوا وقتئذٍ شرف النصر وان يكن المعتصم هو الظاهر اخيراً وذلك لان العرب ظفر عليهم ثلثون ألفاً من الفرس كانوا في خدمة الروم وظفر بالروم فرسان الاتراك الذين كانوا في خدمة المعتصم ولو لم يحدث مطر تلك الليلة وترخي الاقواس من الماء لما قدر طيوفيل على النجاة بقليل من عساكره . ووقف اليونان بعد انهزامهم على مدينة درولية مسافة ثمانية ايام من عمورية . وكانت طيوفيل المعتصم يطلب اليه ان يترك عمورية ويدفع له ما يريد فلم يقبل وابقى الرسل عنده ليكونوا شهوداً على نصره . وبدأ الحصار وبقي خمسة وخمسين يوماً لا يقدر على شيء الى ان دل الاسلام رجل يوناني خائن على مكان يمكن الدخول منه بسهولة واعطاه علامة وجود صورة اسد وثور فيه فدخلوها اخيراً واخربوها ونهبوها ومن هناك رجع المعتصم بعساكره الى بغداد . وكان

طيوفيل ينتظر النجدة من الافرنج وفي تلك الحرب قتل من الاسلام ستون ألفاً ومن النصارى اربعون ألفاً فقتل الاسلام عشرين ألف اسير ليفندوا رجلاً برجل فانه كانت تدعوم الضرورة احياناً الى المساواة اما بالاعداد واما بالخلاص

وفي تلك الحروب الامية والملية لم يكن يوثق بالصلح ولا بالحرب فان العفو كان نادراً في القتال وكانت الاسرى تحمل اشد الاهانات والضرر والعبودية والعذاب فان بعض الملوك الكاثوليكين يذكر ميتة عرب اكر يد عندما اخذها النصارى بان منهم من سلخوا احياء ومنهم من وضعوا في الزيت المغلي والمعتم لاجل كيدته وهواه لاشئ المدينة المقدم ذكرها المحاربة مائتي ألف نفس وخسر لاجل ذلك رجالاً كثيرة وانفق اموالاً غزيرة وامثال ذلك كثيرة في نوارنجهم

وبعد موت المعتم توقفت حقيقة قوة الخلفاء العباسيين فان هذا الامير بعد رجوعه من حرب طيوفيل ملك الروم وقد شاهد فتور جراءة المسلمين من العرب باخلائهم مع الفرس واهل الشام ومصر وفقدانهم بسالتهم بانصباهم على اللذات والعيشة الارتياحية التزم باستخدام الاتراك سكان الشمال فان قوتهم وشجاعتهم طبيعتان لا كالعرب الذين باسم صوري يحرك بالمعاني ولهذا كانت المذاهب الدينية ونحوها من الامور المعنوية تؤثر في طباعهم فاذا ضعف الفكر بطلت الجراءة وقلت الهمة منهم

فالعرب تقلدوا سيف الاسلام عن اقتناع باطني عقلي بصحة تعاليمهم وكانوا ينصبون على الموت لاطمئناً بالارباح والمجد العالميين بل بنوال الجزاء الاخير الموعود به لكن بعد ان ذاقوا نعيم الدنيا وارتاحوا للذات ما جمع ذلك العطش للتنعمات الآتية وانقسمت اميالهم ما بينها فلم تعد جرائمهم كافية لمتنضيات الازمنة اما الاتراك وغيرهم من سكان الشمال فان الجراءة فيهم بالطبع لقوة ابدانهم ولان القوى الحيوانية فيهم اشد من سكان الجنوب ففي حروبهم تكون غايتهم الاولى الظفر للاطاع الحالية اذ هي غاية لديهم ومن كانت هذه صفاته يبقى ابداً شجاعاً بالطبع فاذا امكنك ان تضرم عقلك بأمال صورية دينية ايضاً جعلته مضاعف البسالة وهذا ما جعل المعتم يفضل الاغراب على قومه فاستخدم منهم نحو خمسين ألفاً وفوض اليهم امر الحراسة بعد مهذبيهم في دين الاسلام وعوائدهم فكانوا قوة جديدة في اول الامر اشربت للملكة الى ان عادت مع الوقت ضعفاً وسبباً لانحطاط العرب باخلائهم القوة منهم متصرفين بامور الخلفاء كيفما شاءوا ومستبدين بالولايات فاصبحوا ممقوتين من الجميع وقامت الاختلافات بينهم وبين الرعايا والعساكر الاهلية والتزم من اجل ذلك المعتم نفسه ان ينقل محل سكناه الى سامره على جانب دجلة نحو اثني عشر فرسخاً من بغداد مصحبةً الاتراك وبموت المعتم ماتت شوكة الخلفاء والواثق بالله والمتوكل كانا مبغضين لاصطهادهما من لم يوافقهما في خلق القرآن

وقد كان المعتصم اعطاهما مثلاً بسلحه حياً رجلاً اسمه احمد لقولوه بعدم خلق القرآن . والمتوكل امر ان لا يخرج احد من المسيحيين واليهود بدون وضع الغيار تمييزاً لهم عن المسلمين والغيار زنا من جلد اسود . وكان اذا اذنب احد اهل الذمة يوم يجلده اولاً على كنفه بالغيار المذكور . وهذا الخليفة لما رأى نفسه مكروهاً من عموم الشعب التي كل اتكأ على الانراك . وهؤلاء لما كانوا نظير سيدم مقوتين وجدوا ان الافصل لهم كان لقاء الفتن والحركات بين القوم وتحالفوا مع المستنصر بن المتوكل على قتل الاخبر وقطعوه بالسيف سبعة اقسام وهو على الطعام في قصره قيل ان المتوكل كان يتظارف بعض الاوقات مع جلسائه بارائهم الموت وتخويفهم فكان يامر بافلات بعض السباع وهم على الطعام او بوضع الحيات تحت السفراو بكسراوعية مملوءة من العقارب قدامهم وكان يامرهم بعدم الهرب ولزوم مكانهم وكان اذا لسع احدهم يعطيه نوعاً من الترياق محفوظاً عنده لهذه الغاية . ولما نظر احد حاشيته الانراك داخلين لقتله . قال اليوم يوم السيوف لا يوم السباع والعقارب . والمتنصر بعد جلوسه على تخت الخلافة (سنة ٨٦١) اراد ان يبرىء نفسه من قتل ابيه امام الجمهور بالسيف والخطابة وامر الوزير ان يقتلهم بذلك فاجابه وزيره على الفور غير خائف من الموت « ارتكاب الذنب اسهل من الثبوت منه » قالوا وهذا الامير رأى اياه في الحلم يوجهه على اغتيال اياه ويبيشه بالموت وبقي هادساً زماناً من هذا الحلم المرعب واعتراه نوع من الما ليغوليا ومات بعد ستة اشهر . وقيل ان سبب موته كان رويته بساطاً مرسوماً عليه صورة ذنب اس كسرى الشبيه بذيب وكيف انه قوص عليه فلم تكن تتركه تلك الروما

والخلاصة ان الانراك كانوا يلعبون بالخلفاء لعب الاعصار بالغبار فكانوا يتزعون الملك ويولونه عن ومن ارادوا فولوا وخلصوا وقتلوا ثلاثة خلفاء في اربع سنين . واضطر المستعين بالله ان يسلم اليهم انتخاب امير الحرس وامارة الامراء وهي الرتبة الاولى الاجرائية في الخلافة واخيراً خلع نفسه ونهى الى مسكن حسن بن علي في بغداد . والمعتز بعده حبسه ومات عطشاً لانهم لم يخلطوا منه الفدرهم قال ابو الفدي انهم جروا من رجله الى خارج القصر ووضعوه في الشمس مدة وبعد ان ضربوه ضرباً مؤلماً منعوه عن الاكل يوماً كاملاً وجعلوه في سرداب عميق . واقع من ذلك ما جرى المهدي فانه بعد حرب دموية بينه وبينهم وقتله بليكبال رئيسهم دخلوا عليه وتفلوا في وجهه ومسكوه ولطموه بارجلهم وبالذهب وس وعذبوه ليخلع نفسه وهو كان يحبهم نفاقاً ثللاً الموت اخيراً كل مولود اما الحكماء فيقتضي ان يذهبوا الى القبر تذكيت الملك بجأله واخيراً طرحوه على الارض وداسوه بارجلهم ولم يزالوا يعذبونه حتى مات

... اما في عهد المعتصم مات موسى رئيس الانراك وهو مع اخيه الموفق بالله اضعفاهم جنونهم في

الاماكن المختلفة من المملكة ولكن ذلك لم يجدهما سوى راحة وقيمة لانهم فيها بعد استبدوا بالولايات والاماكن التي ارسلوا اليها كما سيأتي

وبينما الامور كذلك واذا بني جديد ظهر الى ساحة الوجود وهو قرمط وادعاه روحانية الانبياء السابقين وقد تقدم خبره والبعض يصفون خبره هكذا انه (سنة ٢٧٨-٨٩١) كان في نواحي الكوفة رجل شيخ بواظب على الصوم والصلوة والعيشة القفرية وكان يعتبر كولي ثم اخنار من اتباعه اثني عشر رجلاً وارسلهم لينذروا بشريعته ولما شاع امره امر حاكم الكوفة بنحو فشقت عليه جارية الحارس وفكرت بنجاته فتركت الى ان نام سيدها وسرقت المفاتيح وحلت الشيخ من اغلاله ورجعت المفاتيح الى مكانها دون ان يعلم احد ففي اليوم التالي دخل السجبان السجن فلم يجد الشيخ والحال ان الابواب كانت مغلقة كما تركها فتعجب من امره ومن الخوف اعلن في البلد ان بعض الملائكة اتوا وحلوه واخرجوه من السجن وكان الشيخ لما سمع بذلك وجذب اليه حزناً وبقي زماناً ينذر بمذهبه في جبال الشام لانه كان هرب اليها ثم اخفى ولم يعلم مكانه فقال تلاميذه انه عرج الى السماء وصحبة ثلاثة ملائكة

وتفرقوا بين عرب البادية يعظون بدين امامهم ويحزون العامة على العباسيين وعلى اسرافهم وكان رئيسهم ابو سعيد فرض عليهم عوض المفروض من الشرع اب يدوه خمس ما ملكوه وخمس الغنائم وكان يطلب ممن يدخلون في مذهبهم يميناً بالطاعة العمياء لاوامره ويحفظ السر القائم بانحاده حفظاً لم من الاضطهاد ولما تكاثروا نهضوا لحرب الخلفاء وحارب ابو سعيد المذكور عباس قائد جيش الخليفة واتصر عليه واسره واسر القنا وثمانمائة من عسكره وامر فربط عباس الى شجرة وبينما هو مقيد آيس من الحيوة جاءه ابو سعيد وقال له ان وعدتني انك تقول للخليفة ما اقول لك فخلص حياتك وبعد ان حلفه اليمين على ذلك قال له قل للمعتد « انا من سكان البادية اقع بالليل وهكذا اتباعي ولم اتعد له الى الان على قرية ولا على مدينة بل انما حاربت من تعدي علي فقط لاختلافي عنه مذهباً وكنت الظاهر فان رجالي معودون على التعب والكد وليس كعساكره يحبون الراحة فاذا قدموا الى هذه القنار امكن هزمهم والغلب عليهم حالاً فاي معتد اذا المعتد قلة المفعة له من حربنا ويقدم على تركنا فتعيش بسلام » فبلغ عباس كل ذلك للخليفة فتركوا مدة فزاد عددهم ونقوا جداً وعادوا بغزون في النسمائة من المسج المملكة العباسية من الجانب الواحد الى الشام ومن الجانب الثاني الى البصرة وملكوا ولاية البحرين في خليج العجم وخضع لهم جملة قبائل من العرب واشتهر ابو سعيد وابنه ابو طاهر وكانا يركبان على اكثر من مائة الف محارب كلهم مملون بنار التعصب لدين امامهم ويغلبان عساكر الخلفاء حيثما التقيا بهم واخذوا اخيراً مدينة الكوفة والبصرة ورقه وبعلبك

جدول خطأ وملاحظات الحز الأول

إذا أمكن طلبك لفظ أو معنى فانظر إلى هذا الجدول فإن لم تتم الفائدة فلا ذنب علينا

وجه	مطر	خطا	صواب	وجه	مطر	خطا	صواب
٠٠٤	١٨	بخاري	بخارا	٠٨٥	١٦	حادتهم	خامتهم
٠١٨	٠٢	البصرة	البصري	٠٩١	١٥	الحرث	الحديث
٠١٨	١٥	بالشام	بدمشق	٠٩١	١٧	الحرث	الحديث
٠١٩	٠٦	بالشام	بدمشق	٠٩٤	١٦	الصليحي	الصليحي
٠٢٢	٢٧	وعزاز	وعزاز	١٠٠	٠٧	البدندون	لملة اليردان
٠٢٥	١٧	(باب اليون)	٠٠	١١٤	٢٤	(١٢٤)	(٢٤١)
٠٢٨	١٠	جامع الحلم	جامع الرحمة	١١٨	١١	وتبعة	وتبعة
٠٢٩	٠٩	مروذور	(مروالروذ)	١١٨	٢٤	نظار	ناظرا
٠٤٢	٠٧	وإلى المغيرة	والمغيرة	١١٩	٠٦	بن	ابن
٠٤٤	٢٤	قبسية	قبسية	١٢٢	٢٥	سباط	سباط
٠٤٥	١٥	الحنفية	الحنفية	١٢٤	١٧	خاتقو	خاتقو
٠٤٧	٢٤	دامية	(دهيا)	١٢٥	٢٠	السراة	السراة
٠٤٨	١١	حسن	حسان	١٢١	١٦	بنو	بني
٠٥٤	٢٥	اربعمائة عشر	الاصح اربعة عشر	١٢٦	١٨	بملية	بملية
٠٦٢	٠٢	وباسم الباب	وباب الابواب	١٢٦	١٩	وجار	وجازا
٠٧٢	٠٣	عبدالله وعبدالله	القاضي وعبدالمومن	١٢٧	٠٨	مختبر	(مختبر)
٠٧٤	٠٥	الجولاني	الجولاني	١٢٧	٢٤	المسلمين	المسلمون
٠٧٨	٠٦	الحديث	الحديث	١٥٤	١٥	مضيف	مضيف
٠٨٠	٠٢	فيها	منها	١٥٥	٢٦	منه ٢٥٠	منه ٢٥٠
٠٨١	٠٩	رابهم	ثالثهم	١٥٩	٠٠	الاربعة	الثلاثة
٠٨١	٢٥	تدير	تدير	١٦٢	٠٢	الفل	الفل
٠٨٤	٠١	بشار	بشارا	١٦٧	١٦	فوص	فوص
٠٨٤	٢٤	الحديث	الحديث	١٧٠	١٧	القسطاس	القسطاس
٠٨٩	٠٢	الحديث	الحديث	١٧١	١٦	ولاوي	والعراي
٠٨٩	١١	خامهم	رابهم				

الحرب



فهرست

الجزء الاول من تاريخ الوافي

صفحة

المقدمة	٧-١
بذ اولى في بواعث الحرب	٠٠٣
نبذة ثانية في منشأ آل عثمان والتتارية الكبرى	٠٠٣
نبذة ثالثة في العز والسلجوقية والعثمانيين وارااء المؤرخين في ذلك	٠٠٤
في ان البحث في التواريخ القديمة لا بد منه	٠٠٨
فصل في الجاهلية الى الاسلام . مدينة عرم . سد مارب . التبابعة . سبل العرم . ملك الحيرة . العساويون في دمشق . الحجر الاسود . بير زمزم . سدانة البيت . ابرهة ملك الحبش . دين الجاهلية . امتداد اليهودية . ذو نواس ملك اليمن . النصرانية في العرب . اتحاد العرب تحت لواء الاسلام	٠٠٩
ولادة بني العرب . هجرته . بدء التاريخ الهجري . موت النبي . الملك الروم والرس	٠١٣
فصل في سياسة الاسلام الاولى . الشام قريش . غزوات النبي . كنية الى قيصر ملك الروم وكسرى ملك العجم والنجاشي ملك الحبشة والمقوقس عظيم القبط وامراء العرب وعامة المسلمة يؤمنون بالصاري اليهم . وصايا ابي بكر الصديق في بعوث الشام . سياسة عمر بن الخطاب	٠١٤
(فصل في حوادث الربع الاول) خلافة ابي بكر . قتل مسيلمة . اخذ خالد الحيرة	٠١٧
اجتماع العرب جوار المدينة . عقد امر بعوث الشام لابي عبيدة . قتال خالد الروم في مسيره الى الشام خارج اجنادين وانتداه . حصار دمشق . عقد الصلح مع ابي عبيدة . الشقاق بينه وبين خالد في امر الصلح . نزح الاهالي	٠١٨
يونس ويودوصية . اتباع خالد النازحين . وفاة ابي بكر . خلافة عمر	٠١٩
وقعة القادسية . بناء البصرة . بساط كسرى . اخذ المدائن . قتل يزيد جرد . اختطاط الكوفة . وقعة اليرموك . بعوث القدس . سفر عمر الى بيت المقدس . انقسام العساكر	٠٢٠

- الى فلسطين وحلب . حصار حلب . كتاب عمر الى ابي عبيدة . المدد
- ٢٢ . امر البطريق يوحنا . داس ابو الاهوال . تسلفه سور القلعة . اسلام يوقنا
- ٢٣ . بعوث انطاكية وقتنها . اكال فتح سورية . كتاب عمر الى ابي عبيدة بحثه على الاحسان
للجاهدين .
- ٢٤ . ركوب الروم . فتح الدروب . وفاة ابي عبيدة وه ٢ الفاً من المسلمين بالطاعون . وفاة
خالد . اخذ قيليقية وطرسوس . امتداد العرب بحرًا . غزوة رودس وقبرس . نثال ابولص
- ٢٥ . عمرو بن العاص . زحفه الى مصر . اخذ فارمه . قلعة مصر القديمة . قيام الفسطاط وجامعها
- ٢٦ . كتاب عمرو بن العاص الى عمر امير المؤمنين عن حسن مصر . المقوقس بن داعيل
القبلي . عهده مع عمرو
- ٢٧ . الاقباط وعددهم . مساعدتهم لعبرو . ركوب عمرو على الاسكندرية . حصارها واخذها .
كتاب عمرو الى عمر عنها
- ٢٨ . هيمن القسطنطينية من انقطاع الغلال . ركبتهم على اسكندرية مرتين دون نفع . مكتبة
الاسكندرية . مراسلة عمرو وعمر فيها . ادارة عمرو الاحكام في مصر
- ٢٩ . حفر نهر امير المؤمنين بين النيل وبحر الحجاز . مصالحة برقعة على الخراج . فتح طرابلس
الغرب . فتح هراة . مقتل عمرو . بعض مآثره
- ٣٠ . خلافة عثمان بن عفان
- (فصل في الربع الثاني من الهجرة) . بعوث افريقية . مقتل جرجير . عبد الله بن الزبير
- ٣١ . ابنة جرجير . قرطاجنة . قنول العرب الى مصر . غزوة نافع بن الحسين جهات المغرب
- ٣٢ . الاقصى . غزوة قبرس ومصالحتها على الجزية . خاتم الرسول . وفقده في شراريس . تبديد
عثمان . كره المسلمين له . المحالفة عليه وقتله
- ٣٣ . التحزب ضد علي . عائشة ام المؤمنين . قتال علي العصاة عند البصرة يوم الجمل . مقتل
طلحة والزبير . تحزيب معاوية للاسلام ضد علي . حرب صفين
- ٣٥ . المحالفة على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص . مقتل علي . الخوارج . السيوف الخمسة
الشهيرة عند العرب
- ٣٦ . عمرو بن معدى كرب وسليمان بن ربيعة امير الجيش . الاختلاف بين الشيعة واهل
السنة . المحدثون عن النبي . عدد الاحاديث المصححة عنه

- ٣٧ . خلافة الحسن . خلعه نفسه . موته بالمسم . استبداد معاوية بالخلافة . بثه العمال
- ٣٨ . ركوب القسطنطينية وافريقية . بناء القيروان . اعمال عقبة ومقتله
- ٣٩ . ركوب سعيد بن عثمان على سمرقند . فتح ترمذ . مقتل قثم بن عباس . صوائف العرب . ركوبهم على القسطنطينية . النار الاغريقية
- ٤٠ . (فصل في الربع الثالث من القرن الاول) اخفاق ركوب القسطنطينية ومصالحة الروم
- ٤١ . وفاة معاوية . عهده لولده . اروي بنت الحارث مع معاوية وعمرو بن العاص . استخلاف معاوية زياد بن سمية . ابو مرجم الخمار
- ٤٢ . يزيد بن معاوية . خروج الحسين عليه ومقتله . وقعة كربلا
- ٤٤ . اولاد علي . رأي المسلمين فيهم . المهدي . خلافة معاوية بن يزيد وخلعه نفسه . مبايعة ابن الزبير في مكة واليمن والحجاز ومصر ونحوها . مبايعة مروان بن طريد الاموي في الشام . انقسام العرب بين امويين وفاطمي . وفاة مروان . خلافة عبد الملك بن مروان . خروج الخنار دعواه ودعوته . مقتل مصعب بن الزبير . مقتل الخنار
- ٤٦ . الحجاج بن يوسف وابن الزبير . مقتل بن الزبير . اخذ الحجاج مكة . الصوائف (الربع الرابع من القرن الاول) وفاة خالد بن يزيد العالم الشهير . اقامة المستشفيات . وفاة عبد الملك . خلافة الوليد . اكمال العرب فتح افريقية في عهده . احراق قرطاجنة . غزو مسلمة بلاد الروم . الصوائف . نهوض السودان ضد المسلمين . الملكة دهبيا (اودامية)
- ٤٨ . انهزام العرب . رأي دامية . رجوع العرب الى افريقية اخذها وقتل دامية . صدم العرب كعبوته . تحالفهم مع بليان ملكها على الغوط حكام اسبانيا
- ٤٩ . ركة العرب اولاً بامر موسى بن نصير الى سبتة . ركبهم الثانية تحت قيادة طارق بن زياد . مواقع قادس . هزيمة الغوط . مقتل رودريكس ملكهم
- ٥٠ . تقدم العرب وفتحهم الاندلس . المائدة الزمردية . كتب الحكمة
- ٥١ . اخلاف موسى وطارق
- ٥٢ . عهدة الصلح بين عبد العزيز بن موسى وتدمير . همة موسى . ارادة فتح اوربا ومملكة الروم . استدعاء الخليفة موسى وطارق الى دمشق . هديته الفاخرة التي اخذها معه
- ٥٣ . وفاة الوليد . نهوض سليمان اخيه . معاملته لموسى وطارق . اشتراك عرب افريقية ومصر

بختراوات الاندلس

- ٥٤ . ما كانت عليه قرطبة والاندلس والاسلام والحرية . الامتداد الغريب . بنا جامع دمشق
- ٥٥ . ضرب النقود في مملكة العرب . الارقام الهندية . تجدد الحرب بين العرب والروم . وفاة ملك الروم . خلافة ثيودوسيوس . موته . قيام ليون
- ٥٦ . اخفاق العرب . ملاشاة مراكيهم بالنار الرومية . فتح خراسان وجرجان وطبرستان . بعض صفات سليمان . خلافة عمر بن عبد العزيز . نهاية حرب القسطنطينية . غارات عرب الاندلس على فرانسه . امراء القصور واهل الاقطاعات . توقف قوة العرب . سيرة عمر العدل
- ٥٧ . (فصل في الربع الاول من القرن الثاني) ابطال عمر لعنات العلويين . طلب اليهودي
- ٥٨ . زواج ابنة عمر له . وفاة عمر . خلافة يزيد بن عبد الملك . حرب الترك والخزر .
- ٥٩ . وفاة يزيد . خلافة هشام . غزوة الترك . رجوع المسلمين هزيمة . موت سليمان بن يسار احد فقهاء المدينة السبعة . مداومة حرب الترك . غزوة صاحب السريبر . خروج زيد بن علي بالكوفة ومقتله
- ٦٠ . ثوران العصاة وكثرة المرشحين للخلافة . غني هشام وبخله . هزيمة المسلمين في حرب كارلوس مرتللو في فرنسا . اختلاف الراء في مدة وقوع ذلك .
- ٦٢ . وفاة هشام . الصوائف
- ٦٣ . (تنمة الفصل) في دول الاسلام والخوارج واقسامهم
- ٦٥ . ازارقة . نجدية . اباضية . صفرية
- ٦٧ . الشيعة وانواعها
- ١٠٠ . (فصل في الربع الثاني من القرن الاول) خلافة يزيد الناقص . واخيه ابراهيم
- ٦٩ . خلافة مروان بن محمد . حربه مع ابراهيم . ما حصل من الفتنة . تجدد دعوة العباسيين وانتشارها في خراسان . موت ابراهيم الامام بمصايقة مروان له
- ٧١ . مبايعة السفاح بالكوفة . محاربة مروان للعباسيين . هزيمة مروان . اخذ دمشق . فرار مروان الى مصر ومقتله
- ٧٢ . مقتل الامويين . مدة خلافتهم وعددهم . مقتل اي الورد . بث العمال . استيلاء ملك الروم على ملطيه . انتقال السفاح من الحيرة الى الابرار .

- ٧٢ . وفاة السفاح . مدة تسلط الامويين على الاندلس بعالم
- ٧٤ . اسماء عمال الاندلس الى عبد الرحمن الداخل . خلافة المنصور .
- ٧٥ . اختلاف مع ابي مسلم وقتله . خبر ابي مسلم . ترميم ملطبة . زيارة المنصور القدس والرقبة .
فرار عبد الرحمن الداخل الى الاندلس
- ٧٦ . امتداد روح الشرف في اوربا من العرب . قتل الراوندية . كره المنصور الهاشمية
واختياره موضع بغداد وبنائها
- ٧٧ . خروج محمد بن عبد الله العلوي . مقتله . خروج ابراهيم اخيه . مقتله . الصوائف
- ٧٨ . (فصل في الربع الثاني من القرن الثاني) - انتقال المنصور الى بغداد . خلع عيسى بن
موسى اخي المنصور عن العهد ومبايعة ولده محمد . ظهور اعتاديس بالنبوة وحره واسره
غزوة كابل . الصوائف . بناء سور الكوفة والبصرة . حج المنصور .
- ٧٩ . وصيته لولده . وفاة المنصور . بعض مآثره . بنخيشوع الطيب
- ٨١ . نوبخت النجم . ابوسهل بن نوبخت . خلافة محمد المهدي . غزوة الهند . حجة المهدي
بذلة المال . اتخاذ المصانع وتجديد الاميال والبرك وخر الركايا في طريق مكة .
تصوير المنابر . خبر عبد الرحمن بن حبيب النهري . مقتله
- ٨٢ . ركبة محمد المهدي على الروم . يوسف الزم المدعي النبوة . ثم يوشيا . ثم المنقوع ومذهبه
ومقتله . ركبة هرون الرشيد بامر ايو المهدي على الروم في عهد ابريني الملكة . اشتغال
المهدي باللهو والطرب وحبه ابن داود لنهيو عن ذلك
- ٨٣ . وفاة المهدي مسموما وامر ذلك . ابو قريش الصيدلاني . طيوفيل الماروني النجم الشهير
ترجمته كتب اوامير . الصوائف
- ٨٤ . خلافة موسى الهادي . ظهور دعوة الحسين من ولد علي . مقتله . فرار ادريس بن عبد
الله الى المغرب . ذكر مناقب الحسين المذكور
- ٨٥ . خلافة هرون الرشيد . توفي عبد الرحمن الاموي . جامع قرطبه . وفاة خيزران ام
الرشيد
- ٨٧ . (فصل في الربع الرابع من القرن الثاني) - خروج يحيى بن عبد الله العلوي . فتنة دمشق
مصرية وبماينة . موت هشام صاحب الاندلس . قيام ابو الحكم . منازعة عبيد الله . اقامة
الرشيد سور الموصل . خروج الخزر . حجة الرشيد . كتاب العهد لاولاده .

- ٨٨ . اعطيته . ايقاعه بالبرامكة وعباسة اخنو . بعض اخبارهم
- ٨٩ . مراسلاته مع شارلمان ملك فرنسة . هديته له الساعة . مقاليد القبر . خلع ابريني وإقامة
نيقوفور على الروم . مكاتبة للرشيد . جواب الرشيد له . ركوب الرشيد عليه
- ٩٠ . غزوة قبرس . حصار هرقله . شخص هرقل . الصوائف
- ٩١ . حرب الليث بن الصفار . مقتل بشير بن الليث
- ٩٢ . وفاة الرشيد . بعض مناقبه . بخيشوع بن جيورجيس بن بخيشوع الطبيب . جبريل
بن بخيشوع . ابن ماسويه . صالح بن نهلة الهندي . خاتم المهدي
- ٩٣ . نبذة في الخوارج . ملبد بن حرملة . هزمه لنزار وزياد بن مسكان وصالح بن صبيح وغيرهم
حسان بن خالد الخارجي . البرة منهم . حمزة بن مالك . ياسين التميمي . وليد بن
طريف
- ٩٤ . خوارج المغرب . قتل مسيرة الظفري . وابي يزيد ونحوها . خلافة الامين . عصاة
حمص . مقتل نيقوفور ملك الروم
- ٩٥ . الفتنة بين الامين والمأمون . مقتل الامين . وفاة ابراهيم بن الاغاب . سيرة الامين .
خلافة المأمون . ما جاء عن القاضي صاعد بن احمد الاندلسي بشأن المأمون
- ٩٦ . خروج محمد بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا . وفاته . ابوالسرايا . مقتله
- ٩٨ . خروج ابراهيم بن موسى العلوي باليمن . مقتل هرثة . عدد بني العباس . (فصل في ابتدا
الربع الاول من القرن الثالث) كثرة القتل والنصوص ببغداد . عهد المأمون لعلي
الرضا . فتنة العباسيين . مبايعة ابراهيم بن المهدي . قيام المأمون من بغداد . مقتل
الفضل بن سهل . القبض على قاتليه
- ٩٩ . عقد المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل . زواج ابتو من علي الرضا . موت علي
المذكور . خلع البغداديين ابراهيم . مبايعة المأمون . زلازل عظيمة . جنون الحسن
بن سهل . قتل الروم ملكهم ليون . ولاية ميخائيل ثم ولده طيوفيل . قدوم المأمون
الى بغداد . انقطاع الفتن . رجوعهم الى اللباس الاسود . موت هشام صاحب الاندلس .
دخول المأمون ببوران . ولاية العباس بن المأمون الجزيرة . المعتصم على الشام ومصر
- ١٠٠ . وفاة ادريس بن ادريس . اقتسام المملكة بين اولاده . وفاة المأمون . الصوائف
- ١٠١ . دولة بني زياد . مناقب المأمون . حية للعلم والعلماء . حبش المروزي . احمد بن

- ١٠٢ كثير الفرغاني . عبد الله بن ابي سهل . محمد بن موسى الخوارزمي . ما شا الله اليهودي .
يحيى بن ابي منصور . ابو معشر الفلكي
- ١٠٣ محمد بن موسى الجليس . نادرة في معرفة الطالع . يوحنا بن بطريق . سهل بن شاپور .
ذكرى الطينوري . قصة جبريل الكمال مع المامون . مسألة قياس الارض
- ١٠٤ كرم المامون . بذلة في دمشق . خلافة المعتصم . شغب الجند . تخريب ملك الروم
زبطره . ركبة المعتصم على الروم
- ١٠٥ خروج محمد بن القاسم العلوي . حرب الزط . اكال مدينة سامرا . نكبة الفضل بن
مروان . اتقاض مازيار بن قارن
- ١٠٦ (فصل في الربع الثاني من القرن الثالث) غصب المعتصم على حيدر الافشين وحاكمه
١٠٧ موت مازيار تحت الصرب . اسرا بن المبرقع الفتنه بدمشق . خروج بابك . وفاة
المعتصم . حنين بن سلمويه الطبيب
- ١٠٨ استخدام الاتراك . خلافة الواثق . تجدد الدين بالشام . فتح مسينه . سبب حرب صفليه
١٠٩ كتاب الراهب ثيودوسيوس من سجن ايلرم . سيرفوسة . خروج المجوس على الابدلس .
الفتا بين المسلمين والروم
- ١١٠ وفاة الواثق . مصادرة الكتاب . وقعة بغا في الاعراب .
١١١ مقتل احمد بن نسر نادرة بين الواثق ويوحنا بن سلمويه
- ١١٢ خلافة المتوكل . القبض على ابن الزيات . وثوب ميخائيل ملك الروم بامو . عهد
المتوكل لاولاده الثلاثة . دعوى محمود بن فرج النبوة واهلاكه . وفاة اسحق الموصللي .
هدم قبر الحسين . وفاة ديك الجن . منع المتوكل القول بخلق القران . ولاية يوسف
بن محمد وقله
- ١١٣ احراق تفليس . اخذ قصر يانه في صفليه . قدوم مراكب الروم الى مصر ونهبها . زلازل
عظيمة وانقطاع الجبل الاقارع وموت اهل اللاذقية . انتقال المتوكل الى دمشق . ثم
تركها . قتل المتوكل . نكبة اتياخ وقتله
- ١١٤ اغارة الحجة . الصوائف . حنين بن اسحق العبادي الطبيب . سرجيس الراسعيني
١١٦ خلافة المنتصر . بعض اخبار صفليه
- ١١٧ وفاة المنتصر . خلافة المستعين . غارة الروم . شغب المجنود وقتلهم

(فصل في الربع الثالث من القرن الثالث)	٠٠٠
ظهور يحيى بن عمرو ومقتله بالكوفة . ظهور المحسن بن زيد العلوي بطبرستان	١١٨
المحسن بن علي الناصر . عصاة حمص وقتل الفضل بن قارن . قتل باغر التركي . حصار المستعين وفراره . تحرير المعتز . حرب المعتز والمستعين وخلع المستعين . خلافة المعتز . قتل المستعين	١١٩
ابن الشيخ . اخذ يعقوب الصفار هراة وبوشنج . ولاية احمد بن طولون على مصر . ولاية الصفار على كرمان ونحوها . هديته للخليفة . محمد الشاربي . خروج مساور البيجلي	١٢٠
خلع المعتز وموته . ساور بن سهل . خلافة المهدي . مطهرة قبيصة ام المعتز . شرح بعض المكائيل والاوزان . ظهور صاحب الزنج	١٢١
خلع المهدي وقتله . مقتل بلكيال . خلافة المعتمد . تقدم صاحب الزنج . مقتل ميخائيل ملك الروم . ركوب الموفق على الزنج . خبر بني موسى بن شاكر الشهريين	١٢٢
خبر بني سامان . وفاة محمد الاغلي . خروج صاحب الزنج . قتل بن كنداج لمساور الخارجي . ظهوره على الخلفاء مراراً . ولاية الموصل	١٢٣
مرون بن عبد الله البيجلي الخارجي . محمد بن حرداد . خارجي صيني . موت يعقوب الصفار . خبره . الزنج بالنعمانية	١٢٤
الضيقة في حروب الزنج . تغلب القواد . مقتل صاحب الزنج . الصوائف وابن طولون . وفاة ابن طولون . قلعة يافا	١٢٥
(فصل في الربع الرابع من القرن الثالث) . وفاة الموفق . تولية ولده ابي العباس المهدي بعد المنفوس . امر القرامطة وخبرهم	١٢٦
خلع المنفوس من ولاية المهدي . وفاة المعتمد . خلافة ابي العباس المعتضد . وفاة نصر بن سامان . ركبة المعتضد على اعراب واكراد الموصل . هدية خمارويه للمعتضد . مقتل خمارويه وقيام ابنه جيش . مقتل جيش . تهيب مصر . اقامة اخيه هرون . حملة مال الطاعة الى بغداد . ركوب الصقالبة على بزنتية . النداء بين المسلمين والروم . قول المنجمين بفرق عظيم . اختلال حال هرون بن خمارويه . اقامة المعتضد سوراً على البصرة . ابو سعيد الترمطي	١٢٧
القبض على عمرو بن الليث . خبره مع المعتضد ومقتله . اسر زيد بن محمد العلوي .	١٢٨

- ١٢٠ مقتل رافع بن الليث . خروج ابي جوزه . هرون الشاري . اتمام المعتضد ببني شيبان .
هلك هرون الشاري . عمل المعتضد مع العمال وتاديبهم
- ١٢١ الصوائف . وفاة المعتضد . بنو موسى بن شاكر وخبر اخدم حسن مع المروزي
- ١٢٢ ثابت بن قرة الصاي . دين الصائبة . احمد بن محمد السرخسي الفيلسوف . مقتله . خلافة
المكتفي
- ١٢٣ القرامطة وابن طنج . صاحب الشامة حربته مع المكتفي ومقتله . خروج الترك . هزيمتهم .
مخرج الروم والابقاع بالمسلمين . حرب المكتفي لهرون بن خمارويه . انتهاء دولة بني
طولون . غزو الروم قورس . خروج النخعي . القرامطة . ابن كيغلغ عامل دمشق . العقد
لابن حمدان على الموصل
- ١٢٤ الاكراد الهدبانية . حبس ابن حمدان . الصوائف . وفاة ابن الراوندي
- ١٢٥ اخذ القرامطة الحجاج . اسر ذكرويه قائدهم . وفاة المكتفي . خلافة المتقدر . خلع المتقدر .
قتل العباس بن الحسن الوزير . بيعه ابن المعتز و لقب المرتضي . وقوع الفتنة ببغداد .
القبض على ابن المعتز ومقتله
- ١٢٦ انقضاء ملك الاغالبية . زيادة الله الاخير منهم . ابتدا دولة العبيديين . هب الله ونسبه
- ١٢٧ ابو عبد الله الشيعي . مقتله . بنو مدرار . بنو رسم . نكبة ابن الفرات الوزير . تولية محمد
بن يحيى الوزارة . انتفاض صقلية . رجوع الدعوة العباسية اليها مدة قصيرة في عهد موهب
مقتل موهب . عزل محمد بن يحيى . ولاية علي بن عيسى الوزارة . ختام القرن الثالث من
الفجرة
- ١٢٩ فصل في امراء الاندلس الامويين . في عبد الرحمن الداخل
- ١٤١ في هشام بن عبد الرحمن الداخل
- ١٤٢ في الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
- ١٤٣ في عبد الرحمن الاوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
- ١٤٥ في محمد بن عبد الرحمن الاوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
- في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
- في عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
- ١٤٦ (فصل في الريح الاول من القرن الرابع) . مقتل احمد الساماني . اخذ المدي العلوي

- مصر والاسكندرية . اجملا مونس الخادم له اولا وثانيا . الطبري . بناء المهدي . وفاة الاطروش
الناصر العلوي . ولده الحسن . انقراض ملكهم من طبرستان . خروج ابن حمدان
١٤٧ وفود رسل الروم في طلب المهادنة . انقراض الادارسة . مختصر خبرهم . بنو العافية .
يوسف بن ناشئين . مقتل الحلاج . خبره
١٤٨ القرامطة والحجاج . مقتل ابي الحسن بن الفرات وابنه حسن . ابو طاهر القرمطي وابن
ابي الساج
٢٤٩ مونس الخادم . عبد الرحمن الناصر وطليلة . مرداويج بن زيار . اسفار بن شبرويه .
خلع المعتذر . بيعه اخيه محمد ولقب بالقاهر . فتنة العساكر . اعادة المعتذر
٢٥٠ ابو طاهر القرمطي ونهب مكة . اخذه البحر الاسود . خلفه الحنايلة ببغداد . الصوائف
١٥٢ تقوي مرداويج على عساكر الخليفة . وحشة مونس مع المعتذر . مقتل المعتذر
١٥٣ خلافة القاهر . ظلمه . قتله مونس وابن دليق واباه . بو بويه
١٥٥ خلع القاهر وسمل عينيه وموته . خلافة الرازي . وفاة المهدي عبيد الله . مقتل الشلغاني
وشيعته
١٥٦ غزوة الدمستق . مقتل مرداويج . نرد الحنايلة ببغداد . مواخذه الرازي لم . ولاية الاخشيذ
على الشام ومصر . مقتل ابي العلا بن حمدان
١٥٧ فتح جنوة . وشمكير بن زيار . ابن رابق . البريدي
١٥٨ خلاصة تاريخية . عدد الخلفاء . صفة الامة العربية . تقدم العرب بعد الاسلام . توقفها . انتشار
التمدن في مسلمي اسبانيا . غنى الاسلام . ثروة الخلفاء . اسرافهم
١٥٩ بناء جامع دمشق . بذل المنصور في حجه . اسراف المهدي . المامون . ما اظهر المعتذر
في قبول رسل الروم . اسراف الخلفاء اجمالا . قصر اللؤلؤة
١٦٠ بذل الامويين في اسبانيا . جامع قرطبة . قصر الزهراء
١٦١ فتور الحماسة . حروب الاندلسيين وفتوحاتهم . فتح كريت وصقلية
١٦٢ غزوم ملك العباسيين والروم . خوف ايطاليا منهم . ركوبهم اولا وثانيا على رومة
ونحوها . موت البابا . محاربة خليفته مع العرب . انتصاره عليهم
١٦٤ نكبة من المسلمين
١٦٥ طوفيل ملك الروم وايقاعه بالمسلمين خمس مرار في المشرق

صفحة	
١٦٦	بربرية تلك الحروب . الفرق بين العرب والأتراك في الجراحة
١٦٧	موت شوكة الخلفاء العباسيين بموت المعتصم . الاختلال . النتن بتغلب الأتراك
١٦٨	ظهور أنبياء . تشعب الآراء . كثرة الدعاة
١٦٩	استبداد الولاة بالعمالات مغرباً ومشرقاً
١٧٠	استدعاء العباسيين بني سامان . استبداد ابن طولون بمصر . تجزؤ الخليفة
١٧١	غياب شمس الخلافة بعد الرشيد والمأمون
١٧٢	نتيجة عامة من تقدم الإسلام والمدن والحرية أولاً . ثم سوء السياسة والاستبداد ودخول
...	الغرباء وحروب الصليب مما عجل خراب المملكة . الجواب أولاً على من قال ان قوة
...	الخلفاء محددة بنص القرآن والمنة . ثانياً على من قال ان مبادئ القرآن والسنة مغايرة
...	لشريعة العدل



To: www.al-mostafa.com